الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

الكلية: العلوم الإنسانية والإجتماعية

القسم: الفلسفة

مخبر التوطين: مخبر الفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية ومشكلات الإعلام والإتصال

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث

الميدان: العلوم الإجتماعية الشعبة: فلسفة

الاختصاص: فلسفة غربية معاصرة

من إعداد: دنيا مسعود خلوف

بعنوان:

نحو بناء هوية إنسانية كوكبية عند إدغار موران

بتاريخ: 30 أفريل 2025م أمام لجنة المناقشة المكونة من:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
السيد سعودي كحول	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945م قالمة	رئيسا
السيد عبد الحليم بلواهم	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945م قالمة	مشرفا ومقررا
السيد كمال حاج علي	أستاذ محاضر أ	بجامعة 8 ماي 1945م قالمة	ممتحنا
السيد رشيد دحدوح	أستاذ التعليم العالي	بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة	ممتحنا
السيد عبد الغاني بوالسكك	أستاذ التعليم العالي	بجامعة الحاج لخضر باتنة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2024-2025

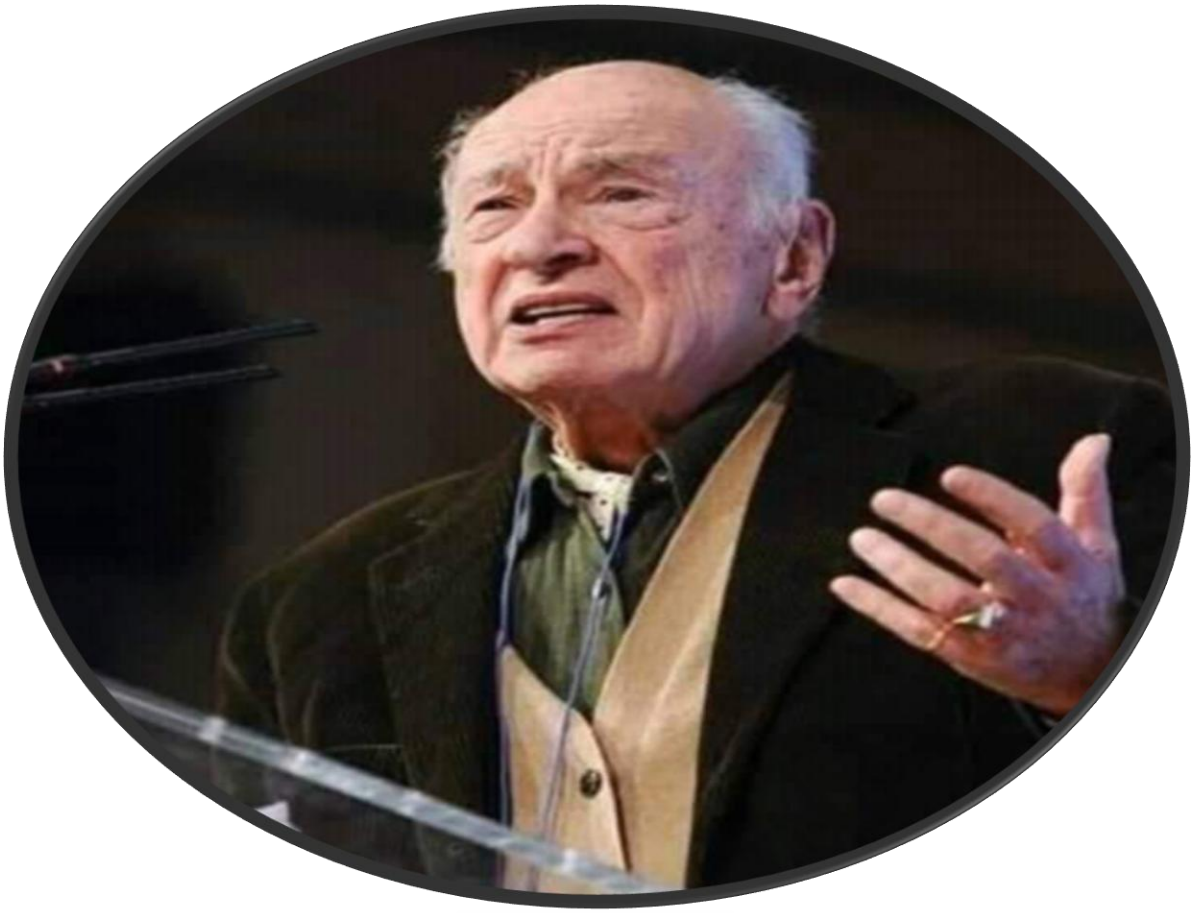

أنا إنسانٌ واحد من جملة ثمانية مليارات إنسان، أنا فردٌ فريد وعادي، مختلف عن الآخرين وشبيه بهم في آنٍ معاً... إنّ نبذ الهوية الأحادية أو المختزلة، وإدراك وحدة – تعدّد الهوية يعدّان من لوازم الصحة العقلية الكفيلة بتحسين العلاقات الإنسانية"

شكر وتقدير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

"من صنع لكم معروفا فجازوه، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أنكم شكرتم فإن الله يحب الشاكرين"

صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام

فالحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة ووفقنا وسدد خطانا، وأمددنا بالعون والصحة لإتمام هذا العمل المتواضع، الذي لا يسعنا ونحن بصدد إنهائه إلا التقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى الأستاذ الفاضل:

عبد الحليم بلواهم

الذي تفضل بالإشراف على هذه الأطروحة، وسار درب تقييمها وتقديم الارشادات والنصائح الكافية طيلة فترة إنجازها

الشكر موصول لجميع أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا مشقة قراءة هذا العمل وتقييمه

كما نتوجه بجزيل الشكر والعرفان إلى أساتذة قسم الفلسفة بجامعة قالمة، والأساتذة الأفاضل بالمدرسة العليا للأساتذة الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي ولم يذخروا أي جهد من أجل تعليمنا

لكم منا بالغ الشكر والعرفان

إهداء

إلى أصحاب الفضل الأول والوحيد في حياتي حفظهما الله

حبيبي أبي سندي وعلّة شموخ رأسي

غاليتي أمي ملجئي ومتكئي

إلى زوجي رفيق دربي، وبناتي قرة عيني "ميان" "آيلان"

إلى إخوتي وأخواتي

أهدي هذا العمل المتواضع

دنيا مسعود خلوف

مُقَدّمة

انفتحت حالة الحضارة الغربية في قرن مضى وهو قرن التنوير على حال من الارتقاء والتحرر الانسانيين، الذين سمحا بمدّ آفاق جديدة ساهمت في تحقيق الرقي الفكري، فإنسان هذه الفترة أضحى بعد سابقتها يعايش الرضا والتقبل الذاتي، ويميل إلى الحوار واستيعاب التناقض، وبالتالي سقط الاهتمام من السماء إلى الأرض، وصارت الذات الإنسانية محور الدراسة والبناء خصوصا بجانبها الهووي، فالهوية في هذه الفترة طفقت تنادي يتصور جديد يتجاوز الطرح الكلاسيكي الذي وقع في المماثلة والمطابقة وجعل الذات تنغلق على نفسها وترفض كل مخالف لها.

ان الذات الإنسانية غدت صاحبة ثقة وصيت وفي ظل هذا القرن وأضحت العقلانية مشعلها وشعارها إذ هي القاعدة الأساسية التي يتم التعويل عليها والعودة اليها، باعتبارها البديل الأفضل عن سلطان اللاهوت، فالعقل وحده مناط الحكم ومعيار الصواب واليقين، ومن ثم فهو الوحيد القادر على احداث أي نقلة نحو التطور والتمكن من السيطرة على الطبيعة. الأمر الذي سيقود لا محالة إلى بلوغ السعادة، وهي الوعود الثلاث التي قدمتها العقلانية إبان اكتمال الحداثة، إذ الانطلاق من تطويع الطبيعة والتحكم فيها، ما يمكن من تشييد التقدم والرفاه عبر مختلف الأصعدة وأبرزها الصعيد الاقتصادي، الأمر الذي يسمح بنيل الذات راحتها وتحقيق فرحتها. لذلك مكّن التقدم العلمي والتكنولوجي من تحرير طاقات الانسان من أي ضغط وتحكم كان ممارس عليه من قبل، وذلك عبر احداث التغييرات الجذرية على مختلف نواحي الحياة.

إلا أن المطلع على المسار الحداثي خصوصا في فتراته المتأخرة لا يعدم ناظريه ارتداد مفاعيله عكس المخطط لها، وانحراف وعوده عن مقاصدها، الأمر الذي كشف عن ازدواجية تأثيراته، فهي إلى جانب النتائج الإيجابية التي ساهمت في تحقيق الرفاه وتسهيل مهمة مجابهة الواقع، من ناحية وزاوية مغايرة أذعنت تشكل وإرساء أزمات إنسانية لا يحمد عقباها. فالإنسانية التي نالت نصيبها من التحرر وشأنها من العلو انما اغترت بإنجازاتها وتمردت إلى حال مكنها من زرع الوحشية والهمجية نتيجة التعالي والأنانية والسعي إلى خدمة مصالحها وأغراضها وتلبية احتياجاتها في مقابل طمس وفض كل مخالف لها، الأمر الذي أفشى أزمة وجودية أخلاقية على المستوى الإنساني.

إن المعطيات التي خرجت للعيان في فترة الحداثة إنما كانت الدافع الأساسي الذي جعل الفلاسفة ينتقلون إلى تحليلها والاهتمام بتقديم مساءلة نقدية للحداثة عبر تقويمها باعتبارها انحرفت وفي حاجة للتوجيه، أو حتى من خلال تجاوزها لكونها غالت وتمادت ولابد لها من بديل، لذلك فرضت حالة الكون والطبيعة

الغاضبة على الانسان المتمرد ضرورة إيجاد مخرج لهذا الوضع المتأزم، و لعل المفكر وعالم الاجتماع الفرنسي "ادغار موران"Edgar morin * أبرز الذين نذروا أنفسهم لهذا الغرض الإنساني المتعلق بتشخيص واقع "الأزمة" اذ شكلت المصطلح الجوهري في فلسفته التعقيدية، وذلك من خلال اعتبارها حالة العثرة التي تقف أمام الإنسانية اليوم وتحجب عنها استشراف مستقبلها.

إن العمل الذي بين أيدينا يركز على موضوع متشابك ينتقل بشكل ارتحالي بين عوالم الفلسفة الثلاث وأخصها الأنطولوجيا والأكسيولوجيا، ذلك أنه يشخص وضعية الذات الإنسانية في الوجود إزاء التقدم العلمو- تقني، وما قاد اليه من مشاكل متعددة أبرزها على المستوى القيمي، لذلك تمحور حول: "نحو بناء هوية إنسانية كوكبية عند ادغار موران" فهو مساءلة نقدية قدمها المفكر الفرنسي لحال الوضع الحداثي في مقابل السعي إلى إيجاد المخرج المناسب له، ولذا فأهمية أطروحتنا إنما تتحدد من خلال تسليط الضوء على أنموذج التبسيط والاختزال الذي تلونت به فترة الحداثة وما قاد اليه إلى جانب خلخلة النماذج المعرفية السابقة المشبعة باللاهوت، من تبسيط مفرط وتجزيئ مبالغ فيه للظواهر إلى حد فصلها عن بعضها البعض ومات للأمر من تشويه لفهم العالم الخارجي وتحريف لطريقة قراءته والتعامل معه، ولذلك لم يشكل هذا الأسلوب الأنموذج الأفضل بل على العكس قاد الذات الإنسانية إلى مصاف مضببة مبهمة، اذ زاد من الهوة والفراغ فيها وأوقعها في سوء فهم نفسها وغيرها وكونها.

إن أزمة الإنسانية متجذرة في العمق وأهمية هذا العمل تتحدد من خلال كشف أعطابها وأزماتها المتعلقة بعمى استبطان الذات لذاتها، في مقابل قطع روابط التواصل بالذوات الأخرى المقابلة لها، بل بلوغ حد محاربتها وطمسها ورفض تقبلها،وهو الأمر الذي استقطب اهتمام المفكر الفرنسي "ادغار موران" الذي خصص مشروعا فكريا لأزمة الإنسانية القيمية التي ها هي اليوم تسير نحو الفناء، أين تلاشت ملامحها وزالت دعائمها فصارت الهوية فيها تعاني التشرذم والضياع بفعل الارتداد العكسي لنتائج التقدم العلمي، الأمر الذي يستدعي التدخل تشخيصا لوضعها واقتراحا لمعالجتها، في سياق نقلها من الحيز المغلق الذي انحصر في المطابقة والمماثلة إلى حيز أكثر انفتاح واستشراف بالمستقبل، من خلال المغايرة والتقبل والارتحال إلى وعي واحد كوكبي.

* ادغار موران، ولد يوم 8 جويلية 1921م بالعاصمة الفرنسية باريس، جذوره يهودية من أصول يونانية، مفكر وباحث وفيلسوف فرنسي، صاحب نظرية التعقيد، عايش الحرب العالمية الثانية، يعرف بتأييده للقضايا الإنسانية العادلة على غرار القضية الفلسطينية.

لذلك يمكن القول أن أهمية هذه الأطروحة تتحدد من خلال شقين أحدهما نقدي عمد إلى الوقوف على انحرافات الحداثة وما خلفته من أزمات إنسانية متعددة الجوانب وأخصها الجانب القيمي، أوضحت طريقة موران وأسلوبه الخاص في وضع مختلف الإنجازات السابقة على طاولة النقد والشروع في مساءلتها. أما من شق مغاير وهو الشق البنائي فالعمل يتعلق بالسبل التي رسمها هذا المفكر الفذ للإنسانية من أجل الارتحال والانتقال بالوضع إلى مصاف أفضل في المستقبل عبر توسيع الوضع الهووي واحتضانه لمختلف التناقضات ضمن مصير مشترك واحد كوكبي.

من هذا المنطلق ونظرا لهذه الأهمية تبرز الدوافع الأساسية لاختيار موضوعنا، والتي في مجملها تنشطر إلى جزء موضوعي وآخر ذاتي: فالأسباب الموضوعية التي دفعتنا للاختيار تتمثل في محاولة توضيح موقف "ادغار موران" من حال إنسانية الحداثة في ظل انحراف وعودها وارتدادها خلاف ما خططت له من سيطرة على الطبيعة وتجسيد للتقدم والرفاه نحو بلوغ السعادة، اذ عوض ذلك قادت الهوية إلى تصدعات وأزّمت الإنسانية في حاضرها، ما جعل مستقبلها محتمل غير محتمل، ناهيك على أن الموضوع معاصر وجدير بالدراسة والاهتمام وذلك لكونه من راهن العصر خصوصا في ظل الأوضاع التي تشهدها البيئة السياسية اليوم. أما من جملة الأسباب الذاتية التي دفعتنا لاختيار الموضوع فتعلقت من ناحية بالتأسف لحال الراهن الذي سقط في المشاكل والأزمات وغلبت عليه الصراعات والمطاحنات خصوصا بعد الأحداث الأخيرة التي طالت فلسطين، وكيف أن العنصرية والتعالي والطمس كلها نماذج أضحت متفشية في وقت تعايش فيه الحضارة الإنسانية مختلف أنواع التقدم والازدهار، والأهم انتشار منظمات وقوانين حفظ حقوق الانسان والمناداة بالمساواة والأخوة والحرية في ظل بيئة واحدة معولمة. أما من الناحية الثانية فالرغبة والاهتمام بفلسفة الإصلاح والتقبل للاختلاف كانت السبب الملح للإقبال على الموضوع، من خلال الايمان بالإصلاح والتشجيع على التذاوت بين مختلف الاجناس مهما بلغ تردي الأوضاع، فالسعي يكون نحو مستقبل مشرق أفضل للإنسانية وكوكبة واحدة، وهو مجال اهتمام "ادغار موران" الطي يمثل خير أنموذج للإنسانية من خلال تبني مشروع إصلاحي يروم افشاء التضامن والتعاطف بين الذوات عبر إرساء قيم ودعائم التسامح والاعتراف والحب.

لقد حمل المفكر الفرنسي "ادغار موران" على عاتقه مهمة تقييم وتقويم حال الحضارة الراهنة: تقييمها من حيث الوقوف على مختلف افرازات العلم والتقنية والانحرافات التي أسقطت الإنسانية في وضع مضبب وجوديا وأخلاقيا؛ أما تقييمها فيكون عبر اقتراح السبل الكفيلة بنقلها نحو مستقبل أكثر إشراق وانفتاح، ولذا

من مختلف ما تم تقديمه تتضح لنا معالم اشكاليتنا والتي يمكن صياغتها في تساؤل أولي رئيسي: كيف اتطاع ادغار موران فك الأزمات المتعلقة بالهويات من خلال تأسيسه لهوية إنسانية مركبة؟

ومن أجل ضبط الموضوع أكثر انشطرت اشكاليتنا إلى جملة من التساؤلات والمشكلات الفرعية، والتي كانت على النحو التالي:

- اذا كان مصطلح الكوكبية نحت موراني محض، كيف صاغه وربطه بالوضع الهووي الإنساني؟
- ما هي المساءلات النقدية التي قدمها موران لعقلانية الحداثة التبسيطية وما قادت اليه من قلق حضاري؟
- كيف بلور أنموذج التعقيد وابستيمولوجيا التركيب في سياق السعي إلى مستقبل محتمل واحياء انساني جديد؟
- ثم، من أجل مستقبل انساني مشترك. كيف تتم المراهنة على التربية والأخلاق عند موران من أجل تشييد هوية كوكبية ومصير واحد مشترك؟

وقد وجهتنا طبيعة هذا الموضوع الى اعتماد منهج أساسي لمعالجة الإشكالية وهو المنهج التحليلي، الذي تمت الاستعانة به في تفكيك وتقسيم عناصر الدراسة إلى اجزاء وذلك بغية تسهيل وتيسير تقديمها وفك أي غموض يحيط بموضوعنا، إذ تم اللجوء اليه لأجل تحليل أفكار "ادغار موران" وبالأخص الأزمات التي طالت الإنسانية والتي عمد إلى التركيز عليها، فالتحليل أداة ضرورية لخطابه النقدي الذي طال منظومة التبسيط ودعائم الحداثة بشكل عام، إلى جانب تحليل أنموذجة البديل الذي عرضه كمشروع مغاير، هذا علاوة على تحليل مختلف الرؤى والتصورات الفلسفية التي سبقت أو زامنت فكر "ادغار موران" وذلك في سياق السعي إلى تقديم صورة واضحة عن مشروعه الفكري المتميز. هذا ناهيك على المنهج النقدي الذي يمثل جوهر وطبيعة النظريات الفلسفية.

ولمعالجة هذا الموضوع تم الاعتماد على خطة مقسمة على الشكل التالي:

المقدمة تمت الإشارة فيها إلى الموضوع وتكوين احاطة عامة به، ليتم بعدها التنويه إلى أهميته، إلى جانب الأسباب التي دفعت إلى اختياره كموضوع للتحليل والدراسة، إضافة إلى الإشكالية الأساسية للموضوع وتفرعاتها الجزئية، مع الإشارة إلى المنهج الذي تم الاعتماد عليه واتباعه بما يناسب الموضوع. ثم بعدها الإحاطة

بمراحل ومحطات الدراسة من المقدمة وصولا إلى الخاتمة، ليتم في الأخير الوصول إلى الصعوبات التي تم الالتقاء بها والتعامل معها أثناء انجاز الدراسة.

الفصل التمهيدي شكّل مدخل مفاهيمي عرّج على أهم مصطلحات موضوع الدراسة وأبرزها مصطلح الهوية، ومصطلح "الكوكبية"

أما الفصل الأول فقد عنون بـ "الحداثة وتصدعات عقلانيتها التبسيطية" والذي تناولنا فيه مبادئ الحداثة التي ارتدت إلى مفاعيل عكسية، إلى جانب انتقادات موران لعقلانيتها وما خلفته من قلق، حتى يتسنى لنا الوصول إلى أهم المساءلات التي قدمها لمنظومة التبسيط الكلاسيكية.

في حين تمحور الفصل الثاني حول "براديغم التعقيد وبداية التشكل الهوياتي" والذي تم فيه التعريج على أنموذج التعقيد الذي قدمه موران كمشروع بديل مغاير، بم يحمله من تفرعات أبرزها الانكباب على حال الإنسانية في سياق أزمتها الكوكبية، ثم بعدها التفاؤل بإحياء جديد لها وانبثاق كوكبي مغاير.

وبخصوص الفصل الثالث فقد حمل عنوان: "استشراف مستقبل الهوية الإنسانية في ظل رهان التربية وايثيقا العيش الكوكبي" وفيه تم التركيز على الثورة الإصلاحية التي يرومها موران على الدوام من أجل المستقبل الإنساني، من خلال المراهنة على التربية والأخلاق ذات البعد الكوكبي المشترك.

ومن الضروري الاستشهاد والعودة إلى الدراسات السابقة التي تناولت وعالجت فكر "ادغار موران" لأغراض تحليلية، فهي على قدر تعددها لا يتسع المجال لتسليط الضوء عليها ككل ولكن أخصّها البحوث الأكاديمية وبالضبط أطروحات الدكتوراه التي خضعت للمناقشة خصوصا على مستوى الجامعات الجزائرية أي في السياق القريب، إلى جانب بعض المقالات الفلسفية وعلى وجه الخصوص مقالات الباحث الأكاديمي زهير الخويلدي، ومن بين الأطروحات التي التقت بموضوعنا نجد:

أطروحة الأستاذ داود خليفة الموسومة بـ: "ابستيولوجيا التعقيد: دراسة لبراديغم التعقيد والفكر المركب عند ادغار موران" الصادرة عن قسم الفلسفة لجامعة وهران 02 (2015-2016)، اذ ارتكزت على تحليل منظومة التبسيط التي طغت على الفكر الحداثي لفترة من الزمن، في مقابل تشييد علم جديد هو علم التعقيد الذي عمد الأستاذ إلى التركيز عليه بشكل واضح متميز إلى الحد الذي ارتقى بالأطروحة إلى كتاب نشر بعنوان: "ابستيمولوجيا التعقيد والفكر المركب عند ادغار موران" عن منشورات الاختلاف "الجزائر"

أطروحة الطالب وحيد بلخضر الموسومة بـ "المعرفة والثقافة عند ادغار موران"، الصادرة عن جامعة وهران (2020-2021) اذ شخص فيها الباحث احدى المواضيع التي شغلت اهتمام موران وهي قضية الثقافة، والتي على علاقة واضحة مع المعرفة ولعله الأمر الذي يلمح التقاء مع أطروحتنا في عنصر دور الثقافة وعلى وجه الخصوص حين أشار إلى التربية كمشروع للتغيير، وهو الأمر الطي خصصنا له اهتمام في الفصل الأخير، مع اختلاف متميز.

هذا ناهيك على مقال الباحث الأكاديمي زهير الخويلدي الذي اهتم بموضوع "تعقد الطبيعة البشرية عند ادغار موران"، المنشور ضمن موسوعة الفلسفة الغربية المعاصرة، لدار الأمان سنة 2012م، من خلال إشارته بشكل واضح إلى طبيعة الأزمة الإنسانية وانتقالها إلى مصاف عالمية كوكبية تحتاج إلى المعاينة والتشخيص، وهو الأمر الذي ساعدنا في أطروحتنا من حيث تحليل طبيعة التأزم الهوياتي.

إن عناصر القوة المتوفرة على مستوى مختلف هذه الأبحاث إنما تتمثل في كونها سلّطت الضوء على فكر ادغار موران ومنهجه الفكري معالجة من خلال تنوع مواضيعها جانبا من جوانب مشروعه الفكري، غير أن أهم ما تتميز به أطروحتنا وهو عامل الجدّة والذي يتمثل في التشخيص الكلي والتغطية الشاملة لكل المشروع الموراني، وذلك عبر إثراء أهم موضوع ألا وهو موضوع الانسان خصوصا من زاويته القيمية، فعلى الدواء قرئ موران بعين ابستيمولوجية، وهذا انما يرجع إلى لغته العلمية الدقيقة، ولكن نادرة كانت الدراسات التي عبّرت على شخصية موران وجانبه المناضل المدافع على الإنسانية والغيور على هويتها، وشروط بلوغ شوملتها وكوكبتها، وهذا يحيل إلى ثاني تميز وهو العناية بمنحوت موران الاصطلاحي "الكوكبية" planitaire اذ مختلف الدراسات كانت تمر بشكل طارئ على هذا الابتكار المفاهيمي الموراني، ولكن لم يتم تخصيص دراسة قائمةبذاتها حوله، خصوصا وأنه سابق لا نظير له.

والأهم من كل ذلك راهنية الموضوع، خصوصا في ظل ما يشهده العالم من أوضاع حضارية متأزمة، اذ أنها أوضاع تجسد حال الإنسانية التي لا تزال تجابه التجزيء خصوصا إزاء ما يقع في فلسطين، ولذا من الضروري لفت الانتباه وتسليط الضوء مادام ادغار موران وإلى غاية يومنا هذا وقد تجاوز القرن من العمر لا يزال يترك مؤلفات حول الهوية الإنسانية وضرورة الارتقاء بها إلى التكوكب والتعقيد، لذا فالجدّة كانت من خلال الاعتماد والاطلاع على مؤلفاته المتأخرة خصوصا ما بين سنوات 2019-2024.

لذا فاعتمادنا على مؤلفات ادغار موران أمر لابد منه، اذ تم الاطلاع على مختلف مصادره حتى المتأخرة منها على سبيل: كتاب في مفهوم الأزمة سنة 2018م، السبيل لأجل مستقبل البشرية سنة 2019م، سبعة مبادئ من علم التعقيد سنة م2019، العقل المحكم سنة 2020م، التفكير الشامل سنة 2022م، دروس قرن من الحياة سنة 2022م. Changeons de voie les leçons du corona virus 2020.

وعن الصعوبات التي واجهتنا أثناء انجاز هذه الدراسة، فمن العسير الإقرار بوجود صعوبات اليوم حول فلسفة ادغار موران خصوصا من حيث المراجع فهي متوفرة وفي الإمكان الحصول عليها سواء بلغتها الأصلية أو باللغة العربية، غير أن أهم ما يمكن تحديده كعراقيل تتعلق بقلة الدراسات والمراجع المشخصة لموضوع الهوية عنده أو حتى فكرة الكوكبية، الأمر الذي حصر وقصر اعتمادنا على المصادر، هذا علاوة على مهمة الترجمة وما تأخذه من وقت ومشقّة التدقيق مادامت اللغة المكتوب بها فلسفية، فالسياق الفلسفي يستدعي ضبط المصطلحات والمعاني، هذا الى جانب الأسلوب السهل الممتنع الذي يتميز به موران فالقارئ لأفكاره والمطلع عليها بشكل سطحي يلمح التكرار بين كتبه وهذا في الحقيقة ليس سهوا وانما يتطلب القراءة بشكل أكثر تحليل من أجل الربط بين الأفكار هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية لغة والأسلوب العلمي الطي دفعه إلى نحت مصطلحاته الخاصة الأمر الذي يصعب إيجاد الترجمة العربية الأنسب لها.

ولكن يمكن القول أن أهم صعوبة طالت عملنا هي تعذر الحصول على آخر مؤلفاته والمتعلق بالهوية (أفريل 2024) وذلك بسبب نشره في وقت متأخر بعد انجاز مختلف محطات العمل، ثم نفاذ الطبعة الأولى منه فور نشرها. ومع ذلك لا يتسنى لنا في الأخير إلا التنويه إلى أن مختلف هذه الصعوبات لم تقف كعائق لنا بل على العكس كانت خير محفّز للإصرار أكثر والاجتهاد والبحث المعمق لأفكار وفلسفة ادغار موران التي وعبر تسليط الضوء على موضوع الهوية نأمل إيضاح هذا المفهوم والموضوع أكثر لأي باحث حتى يتم الاعتماد عليه كمنطلق لأن دراسة علمية مقبلة.

الفصل التمهيدي: الهوية والكوكبية بين المفهوم والنشأة

أولا: الهوية –جينيالوجيا المفهوم–

1: مفهوم الهوية

2: تاريخ المفهوم

ثانيا: من الكونية إلى الكوكبية عند ادغار موران

1: الكونيـــة –أركيولوجيا وتاريخ المصطلح

أ: الكونية –أركيولوجيا المفهوم–

ب: الكونية– تاريخ الفهوم–

2: موران والهوية الكوكبية

أولا: الهوية – جينيالوجيا المفهوم–

1– مفهوم الهوية

تعد الهوية من أبرز المفاهيم والمواضيع التي حظيت بعناية واهتمام عديد المفكرين والباحثين والفلاسفة، ولذلك فسؤالها وطرحها ليس بالمحدث بل متجذّر منذ الثقافات والفلسفات الكلاسيكية؛ بل تعد وفقا للاصطلاح الدولوزي من المفاهيم الترحالية التي لا تستقرّ على ضبط واحد، وانما تطلق على مفاهيم ومعاني عديدة، لذلك كان من الضروري وضعها في قالبها وسياقها المفاهيمي المناسب حتى يسهل فهمها واستخدامها، على وجه الخصوص في فهم المراد منها في بحثنا:

أ– لغة:

إن العودة الفاحصة إلى معاجم اللغة وأساطين اللسان العربي يكشف لنا بأن مصطلح الهوية مأخوذ من الفعل الثلاثي "هوى"، بالفتح، يهوى هوياً وهُويًّا وهويانًا، وانهوى: سقط من فوق إلى أسفل، وأهواه هو، يُقال أهويته إذا ألقيته من فوق، وقوله عز وجلّ: "والمؤتفكة أهوى" يعني مدائن قوم لوط هوت أي سقطت[1]. ويقال: هوت العُقاب على صيد أي انقضّت، وهوى فلان في السير أي مضى وأسرع، وهوت يده للشيء أي امتدت وارتفعت[2] وهي معاني بعيدة عمّا نريده في بحثنا. حيث نجد أقرب المعاني المذكورة والمتناغمة مع طبيعة صاحب بحثنا ما ذكره صاحب قاموس المنجد في اللغة العربية الذي اعتبر الهويّة مشتقة من الضمير المفرد الغائب المذكر "هو" الذي يطلق على كل ما هو مستقل بذاته منفصل عن ذوات وأشخاص الآخرين. فهي حقيقة الشيء أو الشخص،المطلقة، المشتملة على صفاته الجوهرية، وبذلك منسوب إلى هو.

أمّا الهوية في الاصطلاح الفلسفي فإن جذورها ترجع إلى أصل لاتيني قديم يتمثل في كلمة identitas المشتقة من كلمة idém والتي تطلق على الأشياء أو الكائنات المتشابهة أو المتماثلة تماثلا تاما، مع الاحتفاظ في ذات الوقت بتمايز بعضها عن بعض[3].

والملاحظ هنا أنها لا تختص بالإنسان فحسب بل حتى للكائنات الأخرى وللأشياء الجامدة هوية خاصة، طالما أنها متماثلة في جوهرها ومتمايزة في نفس الوقت مقارنة بسواها. فالأصل اللاتيني يعني الشيء نفسه، أو الشيء الذي هو ما هو عليه، أي أن الشيء له الطبيعة نفسها التي للشيء الآخر[1].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دط، 2016، ص4727.

[2] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008، ص1001.

[3] معلوف لويس: المنجد في اللغة العربية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، دط، 2009، ص875.

ويقابلها في اللغة الإنجليزية مصطلح identity أما في اللغة الفرنسية فيقابلها مصطلح identité الذي أطلق في قاموس la Rousse على مجموع الظروف أو الحيثيات التي تجعل من الشخص شخصا مميزا أو محدودا[2].

والذي نخلص اليه من كل ما سبق هو أن الهوية من الناحية اللغوية تدل على التشخّص، فالشيء إذا قيل ما به هو هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتا، وباعتبار تشخّصه يسمى هوية، وإذا أخذ أهم من هذا الاعتبار يسمى ماهية، إذا كان كليا كماهية الانسان، وإذا كان جزئيا كحقيقة زيد[3].

وبما أن المفهوم اللغوي يعبر عن الاشتقاق الظاهري الشكلي للمفهوم، سيكون من الضروري الاستعانة بالضبط الاصطلاحي باعتباره غوصا في المضامين الباطنية للمصطلح.

ب- اصطلاحا:

تدل الهويّة على المماثلة والمطابقة والتساوي بين موضوع ما وذاته، أو بين موضوعات كثيرة، فهي تطلق على العلامة الظاهرية التي ترفع كثرة المعاني في الموضوع فتردّها إلى الوحدة في الإشارة، فمثلا (أ) في هوية مع (ب) معناها أنه: على الرغم من الاختلاف في التعبير بين (أ) و(ب) فإن المقصود بهما شيء واحد.[4] أي أنهما يكونان متطابقين من حيث الهوية إذا وفقط إذا كانت كل الصفات التي تميز (أ) مميزة أيضا للموضوع (ب) والعكس بالعكس.[5]

وقد أشار اليها **أندري لالاند** من حيث أنها: **ميزة فرد، أو كائن يمكن أن يقال عنه أنه متماه، أو أنه هو ذاته في مختلف فترات وجوده.**[6] فهي عنده ترتبط بتلك الخاصة والميزة المطلقة القارة في الذات والتي تمتاز بالثبات وتدلّ على التماهي.

---

[1] البوني عفيف: في الهوية القومية العربية، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013، ص 23.

[2] منور أحمد: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، دب، دط، 2007، ص12.

[3] الكفوي أبي البقاء: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1998، ص961.

[4] بدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص 570.

[5] م.روزنتال، ب.يودين: الموسوعة الفلسفية، دار الطليعة، لبنان، ط4، 1981، ص564،565.

[6] لالاند أندري: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، ج2، عويدات للنشر، بيروت، دط، 2012، ص607.

وهي الفكرة ذاتها التي أشار اليها **الجرجاني** في التعريفات معتبرا إياها **الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في العقب المطلق.**[1] فالشيء يختص بجملة من الخصائص المتحدة فيما بينها وفي ذات الوقت المتغايرة عن غيرها دون أي تناقض أو تعارض، وفي ذلك يؤكد **إبراهيم مدكور** قائلا: **" الهوية هي حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره وتسمى أيضا وحدة الذات"** [2]

وتشير اليها **ماجدة حمود** بأنها: **" ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، اذ تلازمه مكونة شخصه ومحددة معالمه بشكل ثابت، مما يمنح ابداعه طابعا خاصا فلا يكون مسخا للآخرين، لهذا تعدّ شرطا ملازما للفرد، يؤثر في الجماعة ويمنحها سمة خاصة بها، لذا لا نستطيع فصل ((الأنا)) عن ((النحن))، لأن الهوية تحقق شعارا غريزيا بالانتماء إلى الجماعة والتماهي بها، فتتبادل معها الاعتراف، وبذلك لا يمكن اختزالها في تعريف صاف بسيط"** [3]

أما في المعجم الفلسفي لـ**مراد وهبة** فقد وردت بأنها **الأمر المتعقل من حيث امتيازه عن الأغيار، اذ تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود، إلا أنها ليست تنطلق على الصادق.**[4]

ويُشخّص **جميل صليبا** الهوية من ناحية أنطولوجية ميتافيزيقية باعتبارها **الوجود المحض الصريح المستوعب لكل كمال وجودي شهودي،** وقد حدد لها أربع معان عند المحدثين: [5]

أ- هوية عددية: تطلق على الشيء من جهة ما هو واحد، كقولنا: ان الشيخ الرئيس هو أبو علي ابن سينا.

ب- هوية شخصية: تطلق على الشخص إذا ظل ذاتا واحدة رغم التغيرات التي تطرأ عليه في مختلف أوقات وجوده، كقولنا: هوية الأنا، هوية الفاعل.

ت- هوية كيفية/ نوعية: وهي صفة موضوعين من موضوعات الفكر، إذا كانا رغم اختلافهما متشابهين في الزمان والمكان متشابهين في كيفيات واحدة.

---

[1] الجرجاني محمد: معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت، ص216.

[2] مذكور إبراهيم: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1983، ص208.

[3] حمود ماجدة: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، دط، 2013، ص15.

[4] وهبة مراد: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، دط، 2007، ص667.

[5] صليبا جميل: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني،بيروت، دط، 1982، 530،531.

ث- هوية منطقية: هي علاقة منطقية بين شيئين متحدين كالهوية الرياضية أو المساواة الجبرية التي تظل صالحة رغم اختلاف فهم الحروف التي تتقوم منها، ورمزها في الجبر (=) وفي المنطق (≡) فهي تستخدم للدلالة على هذه العلاقة العلامة (=) هكذا: س=ص وتقرأ س هي في هوية مع ص.[1]

ولذلك فإن الهوية وفقا للتعبير الدولوزي تعتبر من المفاهيم التي تأبى التأرضن؛ فهي ترتحل من مجال إلى آخر، إذ نجدها في **نظرية المعرفة** مبدأً إلى جانب مبدأي عدم التناقض والثالث المرفوع، وهي القوانين الضرورية للفكر المنطقي، فلا يكون الفكر سليما من الناحية المنطقية إلا إذا التزم بها وصيغة هذا المبدأ: ما هو – هو.

كما نلمحها في **علم النفس** متعلقة بوحدة ذات الطفل، أو الشاب، أو الشيخ رغم اختلاف أطواره وما يقوم به من أدوار،[2] فهي تطلق على ما تمتاز به شخصية الفرد مهما كان جنسه وسنّه من أفكار وآراء ومشاعر، وكيف تنعكس على مستوى سلوكات معينة، ونجدها مرتبطة بالضبط بمرحلة المراهقة كأول تشكّل لها نظرا لما يطرأ على الفرد من تغيرات فيزيولوجية تلقي بظلالها على الحياة السيكولوجية فيصبح الشخص يتأرجح بين رغبات الهو الغريزية وبين أوامر الأنا الأعلى السلطوية وفق مفهوم علم النفس الفرويدي. وهكذا تتشكل الهوية بالانتقال ال الشباب ثم الكهولة وحتى الشيخوخة.

أما على الصعيد **الاجتماعي** فهي متعلقة بضرورة شعور الشخص بهوية مع أشخاص المجتمع الذي يعيش فيه، وهو ما يسميه **جورج ميد** باسم تعميم الغير واندماج الذات فيه.[3]

ويرتبط مفهوم الهوية بتعارف جماعة معينة على أنها مجموعة متجانسة، إثنيا أو محليا أو مهنيا أو دينيا أو قوميا، فهي إحساس الانسان ووعيه بالانتماء إلى مجتمع أو أمة أو جماعة، انها معرفتنا بها، وأين نحن، ومن أين أتينا، وإلى أين نمضي، وبما نريد لأنفسنا وللآخرين.[4]

ولذلك نصل انطلاقا من التعريفات السابقة إلى أن الهوية من بين المفاهيم الثرية التي لا تحمل مدلول واحد، بل مدلولاتها عديدة تختلف من مجال إلى مجال آخر، ومع ذلك تشترك كلها في نقطة جوهرية تتمثل في كونها ما يعايشه الفرد من حالات نفسية، وما تختص به شخصيته انطلاقا من انتمائه إلى جماعة وعلاقة تأثره وتأثيره فيها وبها من خلال تفاعله معها نظرا لما لديه من خصائص مشتركة إلى جانبها، ولعلها الفكرة التي توصل اليها **تشارلز تايلور** عندما شخص الهوية بأنها غير منغلقة على ذاتها على شاكلة اختلاجات عمياء

[1] بدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، المرجع السابق، ص 568.

[2] المرجع نفسه، ص 569.

[3] المرجع نفسه، ص 569، 570.

[4] لبيض سالم: الهوية العروبة، الإسلام، التونسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2009، ص33.

وجوانية، انها مشدودة إلى ما يتجاوزها دون أن يلغيها مع ذلك، فالجماعة توجد منذ البداية داخل الفرد كاستعداد، كما أن الفرد نفسه يوجد داخل الجماعة الثقافية كحضور ملموس.[1]

2- تاريخ المفهوم:

يحظى مصطلح الهوية بقيمة مفاهيميّة ثريّة، إذ نجده قد شغل بال الكثير من المفكرين في شتّى المجالات المعرفية، حيث لم يبقَ منحصرا في مجال الفلسفة فقط وانما ارتحل إلى علم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا وغيرها، لذلك نلمح حضوره في مؤلفات كثيرة خصوصا تلك التي تهتم بتحديد قيمة الأنا وعلاقته بالآخر ضمن جدل إيجابي بنّاء وما ينجرّ عن ذلك من تأسيس حضاري، ومن هنا تقتضي منا منهجية البحث إبراز المسار التاريخي الفلسفي للهوية بدءا من البيئة اليونانية ومرورا بالحقبة الوسيطة وقد ركزنا على شقها الإسلامي، ووصولا إلى الفترتين الحديثة والمعاصرة.

أ: الهوية في الفكر الاغريقي (الفلسفة اليونانية):

لقد تجلت فكرة الهوية في الفلسفة اليونانية، واعتبرت احدى مبادئ المنطق خصوصا الصوري، ولما كان الفكر في هذه البيئة تغلب عليه الأنطولوجيا ويُخصص البحث فيه حول الوجود، أصله وماهيته، فإن الهوية كذلك ارتبطت بهذين المصطلحين وفسرت انطلاقا منهما، ونلمح ذلك عند فيلسوف التغير **هرقليطس*** **Héraclite** الذي تحدث عن أصل الوجود مؤكدا أن هذا العالم هو واحد وهو للجميع، لم يخلقه إله أو بشر ولكنه كان منذ الأزل، وهو كائن وسوف يكون إلى الأبد نارا حيّة تشتعل بحساب وتخبو بحساب.[2] فالوجود نشأ من إحدى العناصر الأربعة وبالضبط النار التي تمتاز بالحرارة وتساهم في النقلة من حال إلى أخرى ومن ثمة احداث الحركة، فالنار تحيي موت التراب، والهواء يحيي موت النار، والماء يحيي موت الهواء، والهواء يحيي موت الماء، فكل الأشياء تتحول للنار، وذلك وفق قاعدة جوهرية هي التغير الدائم، فلا شيء خلق من الثبات، لأن الثبات عدم والعدم موت وفناء، ومن ثمة لابد من وجود الاختلاف الذي يؤدي إلى صراع وتضاد انطلاقا منه

[1] هاشمي محمد: مقاربات الهوية عند تايلور، موقع مؤمنون بلا حدود، 2023/01/25، 13:51.

* فيلسوف يونان، عاش فترة ما بين 535 ق م و 475ق م، عاصر بارمنيدس وساير المدرسة الايلية في أعلى ذراها، ارتبطت أراؤه بأصل الكون ونشأته.

[2] حلمي مطر أميرة: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1998، ص62.

يحدث التغير. وفي ذلك مقولته الشهيرة: **"أنت لا تنزل إلى النهر مرتين لأن مياها جديدة تجري من حولك أبدا".**[1]

فكل شيء في حركة دائمة وتغير دائم غير مستقر (حتى مياه النهر التي تبدو هي نفسها راكدة ساكنة لا تتغير، الا أنها في حقيقة الأمر غير ثابتة وإنما ترتحل وتتحرك نحو مصبّ معين، وبالتالي فهي في حركة متجددة على الدوام، لذلك إذا نزلت اليها للمرة الأولى لن تجدها نفسها في حال نزلت لمرة ثانية، فالنهر عنده أشبه بالكون الذي لا يعرف الثبات بل جوهره التغير).

إن الهوية عند **هرقليطس** تتحدد انطلاقا من الصراع القائم بين المتضادات، حيثُ أنّ كل قضية في هذا الكون تحمل نقيضها ولا تعرف إلا به.[2] فالنهار لا يعرف الا من خلال الليل والحار لا يعرف الا من خلال البارد، وهكذا باستمرار من خلال التغير وتضاد الأشياء يتم تحديد ماهيتها وجوهرها، فالتغير هو الجوهر الأساسي والمبدأ الثابت الذي تسير وفقه الأشياء ويتم من خلاله ضبط هويتها، ذلك لأن الأشياء كلها دائمة السيلان، وأنه لا شيء ثابت غير القانون الذي يسير عليه هذا السيلان الدائم للأشياء.[3]

و**إذا** آمن هرقليطس بالتغير فإن **بارمنيدس*** **Parménide** ذهب إلى خلاف ذلك، إذ يؤكد على مبدأ واحد ضروري لنشأة الكون وهو مبدأ الثبات والوحدة والسكون، فالوجود لم يكن ولن يفنى وأنه من نوع واحد وهو ثابت لانهائي[4].

إن بارمنيدس اعتبر الآلهة الوجود شيء واحد ولم يفرق بينهما، ولذلك كل فلسفته مرتبطة بالوجود وتعود اليه بل **"ان الشيء الحقيقي الوحيد هو الوجود أما ما عداه فهو عدم، والعدم لا يمكن أن يفهم ولا يمكن أن يتحدث به وهو ليس وجود بأي حال من الأحوال."**[5] إذ يؤكد من هذه العبارة على أن الوجود هو الأساس والجوهر وهو يشتمل على كل صفات وسمات الحقيقة من خلال اشتماله على الثبات وخلوّه من العدم والتغير.

---

[1] آل ياسين جعفر: فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط، دار مكتبة البصائر، بيروت، ط1، 2012، ص65.

[2] آل ياسين جعفر: فلاسفة يونانيون مصدر سابق، ص67.

[3] بدوي عبد الرحمن: ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، دط، مصر، 1943، ص108.

* فيلسوف يوناني عرف في عهد ما قبل سقراط، لقّب بأب الميتافيزيقا، ندد بضوررة اعتبار الوجود ثابت لا يخضع للتغير.

[4] حلمي مطر أميرة: االفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، لمرجع السابق، ص90.

[5] بدوي عبد الرحمن: ربيع الفكر اليوناني، المرجع سابق، ص163.

ولذلك فالهوية تتحدد عند بارمنيدس من خلال أمر واحد وهو أن **ما هو موجود فهو موجود ولا يمكن ألا يوجد، وأن الوجود موجود واللاوجود ليس موجودا، ولا مخرج من هذه الفكرة أبدا.**[1] فالوجود واحد من ناحية وثابت من ناحية ثانية، ولذا نجد الانتقال منه واليه، لأنه إذا كان منه إلى خلافه يصير إلى العدم وهذا فيه موت، ومن ثم فالتغير غير ممكن، وما هو ممكن هو الثبات والوحدة الدائمين.

أما بالنسبة **لأفلاطون* Platon** فالهوية عنده تظهر من خلال الجدل بين ثنائية الأنا والآخر، أي بين الذات وما يقابلها من الآخر المختلف، أي أنّ الهوية بالنسبة اليه لا تقوم على التماثل وانما تتأسس على الاختلاف، إن الآلهة على حد تصور أفلاطون صنعت تراتبية بين البشر والطبيعة لم تجعلهم نسخة واحدة وانما جعلت فيهم السادة وجعلت العبيد، ولذلك فالهوية تقوم على مراعاة هذا الاختلاف بينهم، وبالتالي فهناك دوما الاختلاف والتغير.

في محاورة السوفسطائي نلمح تأكيد أفلاطون على ميزة تطابق الأشياء مع ذاتها وانطاقها على الوحدة، وفي نفس الوقت اختلافها وتميزها عن غيرها، وفي هذا تأكيد على مبدأ الهوية، فالوجود بالنسبة اليه موجود قائم بذاته، وفي مقابله هناك اللاوجود وهو الآخر القائم بذاته كذلك، فهناك الوجود الحقيقي الذي يتناوله العلم، واللاوجود أو العدم الذي نسبته إلى الجهل نسبة الوجود الحقيقي إلى العلم.[2]

إن حقيقة الهوية تتحدد من خلال الخصائص المميزة لكل شيء، وهذا لا يدل على أن اختلاف الأشياء عن بعضها البعض هو تناقض يؤدي إلى النفي، اذ يؤكد قائلا: " **ونحن عندما نتكلم عن اللاوجود، نفترض أننا نتكلم ليس عن شيء ما مضاد لوجود بل مختلف فقط. أثبتنا وجود اللاوجود، وأن الأشياء التي لا تكون تكون، وأن طبيعة الغير موجودة، ومهما يكن جزء الغير فإنه مضاد للوجود، وهذا ما قد جازفنا لأن نسميه اللاوجود، وهو ليس مضاد للوجود بأي حال**"[3]

---

[1] كرم يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، 1946، ص30.

* فيلسوف يوناني، عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، تلميذ سقراط وأستاذ أرسطو، صاحب أكاديمية الأعمال الفلسفية ونظرية المثل.

[2] أفلاطون: جمهورية أفلاطون، تر: حنا خباز، مطبعة المقتطف والمقطم، دب، دط، 1929، ص122.

[3] أفلاطون: الكحاورات الكاملة، تر: شوقي داود تحراز، مج 2، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، دط، 1994، ص201،200.

كما نجد حضور فكرة الهوية عند **أرسطو*** **Aristote** وذلك من خلال علم المنطق الذي يمثل أورغانون الفكر أي تلك الأداة التي تعصم مراعاتها الذهن من الوقوع في الخطأ، فموضوعه أفعال العقل من حيث الصحة والفساد.[1] والهوية تعد أحد قوانينه الأساسية إلى جانب قانوني عدم التناقض والثالث المرفوع:

- **الهوية**: كما يصطلح عليها الذاتية، فهي تمثل أول مبادئ العقل، وتعني أن الشيء هو ذاته، أو أن الشيء هو هو، أي تقرير الشيء نفسه ورمزه " أ هو أ " أي ثابت لا يتغير، فلا نخلط بين الشيء وما عداه ولا نضيف للشيء ما ليس منه.[2]

فالهوية تشتمل على المطابقة بين الشيء وذاته، أي الثبات والمماثلة، فالشيء هو نفسه ولا يمكن أن يكون غيره، حتى وان تبدلت أحواله فلا يمكن أن يتحول أو أن ينتقل إلى غيره، فالأب هو الأب وان انتقل من الكهولة إلى الشيخوخة.

- **عدم التناقض**: يمثل وجه آخر للهوية وصورة ثانية لها، لأن اثبات الفكر وتأكيده يعني أيضا تناسقه وعدم تناقضه، فلا يمكن أن أثبت شيئا وأنفيه في آن واحد ومن جهة واحدة.[3]

ان الشيء لا يمكن أن يحمل صفتين متناقضتين في نفس الوقت، فإما أن أكون موجودا أو أن أكون لا موجودا ولا أستطيع أن أجمع الحالتين معا، وهذا هو عدم التناقض، فلا يمكن للشيء أن يكون وألا يكون في آن واحد ومن جهة واحدة.[4]

- **الثالث المرفوع**: يسمى أيضا بقانون الوسط الممتنع أو قانون الحد المستبعد،[5] فإذا كان هناك شيئين متناقضين، فلا وسطية بين الاثبات والنفي، ولذلك فالوسط الذي من الممكن أن يكون سيُرفع ولا يوجد، فالشيء إما أن يأخذ صفة الإثبات أي صفة القضية الأولى، أو أن يحمل صفة النفي أي صفة القضية المناقضة للأولى دون أي وسطية بين القضيتين، فإما أن أكون حاضرا موجودا، أو أن أكون غائبا لا موجودا، ولا أستطيع أن أكون نصف حاضر ونصف غائب.

* أحد عظم الشخصيات الفكرية اليونانية، 384ق م/ 322 ق م، هو مؤسس المنطق الصوري.

[1] كرم يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص113.

[2] المرجع نفسه، ص120.

[3] المرجع نفسه، ص120.

[4] المرجع نفسه، ص120.

[5] المرجع نفسه، ص121.

ولذلك فالهوية تتحدد عند أرسطو من خلال مطابقة الأشياء لذواتها واختلافها عمّا يغايرها ويناقضها دون أي وسطية، فلا تستمد وجودها الا من نفسها، من مكانها وفي زمانها دون اعتماد واستعانة بغيرها.

ب: الهوية في الفترة الوسيطية: (الفلسفة الإسلامية أنموذجا)

إن الفلسفة اليونانية وبعد قرون من الزمن لم تذهب مهب الريح، وانما مثلت عظمة الفكر الإنساني وتركت تراثا لا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنه، وهو الأمر الذي سعى فلاسفة الفترة الوسطى جاهدين للقيام به خصوصا من الناحية الإسلامية، إذ طفقوا يترجمون مؤلفات الفلاسفة اليونان من ناحية، ويؤقلمونه حسب تعاليم الدين الإسلامي من ناحية ثانية، فكان تأثرهم بالغ بها خصوصا في مسالة الوجود، ولعل من أبرز فلاسفة هذه الفترة **الكندي*** اذ يعبر عن مصطلح الهوية من خلال عبارة **"التهوّي" "التهوية"** يقول: **" البحث عن الشيء، هل يمكن أن يكون علّة كون ذاته أم لا يمكن ذلك، فنقول إنه ليس ممكنا أن يكون الشيء علة كون ذاته، أعني يكون ذاته تهوّية من شيء أو لا من شيء"**[1] فالتهوي عند الكندي هو صيرورة الشيء. وقد أشار اليها من خلال حديثه عن فكرة الوجود وبالضبط وجود الله تعإلى ووحدانيته، أين استخدم لفظتي الايس والليس، فالأيس هو الله وهو الوجود المحض الخالص، الثابت، الأزلي، السرمدي، الذي به يكون كل شيء واليه تعود كل الموجودات، أما الليس فهو اللاوجود فالله هو العلة الأولى وهو الفاعل الأول والمتمم لكل شيء ومؤيس الكل عن ليس.[2]

كما نلمح مساهمة **الفارابي*** والذي يشير إلى الهوية من خلال عبارة **"استين"** اليونانية، اذ يؤكد أن العرب **استعملوا "هو" في العربية مكان "هست" في الفارسية في جميع الأمكنة التي يستعمل الفرس**

*الكندي هو أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن الصباح بن عُمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، من أبناء قبيلة كندة، ولد في الكوفة بمدينة العراق في القرن 09 الميلادي. وهو علّامة عربي مُسلم يُقلب بفيلسوف العرب.

[1] أبو ريدة محمد عبد الهادي: رسائل الكندي الفلسفية، دار الفكر العربي، مصر، دط، 1950، ص123.

[2] أبو ريان محمد علي: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (المقدمات العامة–الفروقات الإسلامية وعلم الكلام–الفلسفة الإسلامية)، دار المعارف الجامعية، دب، ط2، 1990، ص225. واحدًا من أبرز الفلاسفة المسلمين، وكان يُنظر إليه على أنه أعظم سلطة فلسفية بعد أرسطو

* ولد أبو نصر محمد بن محمد بن ترهان بن أوزلا غ الفارابي التركي في عام 870 ميلاديًّا في مدينة فراب، يعد واحدا منأبرز الفلاسفة المسلمين، وكان يذنظر اليه على أنه خليفة أرسطو.

فيها لفظة "هست" وجعلوا المصدر منه ((الهوية)) والأمثلة في ذلك عديدة مثل الإنسانية من الانسان، والرجولية من الرجل...[1]

فلفظة استين اليونانية تدل على الوجود وتتعلق بالكينونة كما أشار اليها من قبل أرسطو، إذ تتعلق بالربط بين الموضوع والمحمول، ولذلك استعمل العرب قولنا هو مكان الوجود والهوية.[2]

أما بالنسبة **ابن رشد:** يشير إلى الهوية باعتبارها اسم دخيل على اللغة العربية، اذ يقول: " **وينبغي أن نعلم أن اسم الهوية ليس هو شكل اسم عربي في أصله وإنما اضطر اليه بعض المترجمين فاشتق هذا الاسم من حرف يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع وهو حرف (هو)** "

إذ يؤكد أن الهوية مرادفة للوجود والذات والجوهر، فعوض أن نقول زيد ذاته انسان أو زيد وجوده انسان، قلنا: زيد هو انسان، لأن زيد جوهره انسان وهي كلها واحدة.

ولذلك فأهم ما ميز فكرة الهوية في الفلسفة الإسلامية أنها ارتبت بخصوصية الدين الإسلامي واصطبغت ببعد أنطولوجي، فكانت مكافئة لفكرة الوجود أي وجود الله الخالق الواحد.

ت: الهوية في الفترة الحديثة:

إن مفهوم الهوية في الفلسفة الحديثة اتخذ منحى جديد مختلف عن المنحى الإسلامي السابق، فإذا ربط الفلاسفة المسلمون من قبل الهوية بالوجود، فإن الفلاسفة المحدثون وانطلاقا من **ديكارت*** René descartes استبدلوا البعد الأنطولوجي للهوية ببعد ابستمولوجي جديد هو "الذات" فالأنا التي كانت في ظلمات العصور الوسطى الكنسية **أنا أؤمن"** بدءا من الفلسفة الحديثة تم قلبها إلى **"أنا أفكر"** ويتضح ذلك من خلال **ديكارت** في فكرة الكوجيتو **cogito** قدم تصور جديد قوامه جعل الفكر أساس كل شيء وبالتالي أساس تحديد هوية الانسان، وقد توصل إلى هذه الفكرة من خلال منهج الشك الذي قاده في البداية إلى رفض واستبعاد كل ما من شأنه أن يعرقل الوصول إلى المعرفة، اذ يقول: " **ليس بالأمر الجديد ما تبينت من أنني منذ حداثة سني قد تلقيت طائفة من الآراء الباطلة وكنت أحسبها صحيحة، وأن ما بنيته منذ ذلك**

[1] الفارابي أبو نصر: كتاب الحروف، دار المشرق، بيروت، دط، 1986، ص112.

[2] المرجع نفسه، ص114.

* عالم وفيلسوف وفيزيائي، لقّب بأب الفلسفة الحديثة، 1596م/ 1650م، يعتبر الى يومنا الحالي أهم مرجع أساسي لمعظم كليات الفلسفة في العالم.

الحين على مبادئ هذه حالها من الزعزعة والاضطراب، ولا يمكن أن يكون الا شيئا مشكوكا فيه جدّا ولا يقين له أبدا. فحكمت حينئذ بأنه لابد لي مرة في حياتي من الشروع الجدي في إطلاق نفسي من جميع الآراء التي تلقيتها في اعتقادي من قبل ولابد من بدء بناء جديد من الأسس إذا كنت أريد ان أقيم في العلوم شيئا وطيدا مستقرا"[1]. فكل ما توصل اليه وآمن بأنه أصدق الأشياء وأوثقها إنما في حقيقة الأمر اكتسبها من الحواس أو بواسطتها، ولما قام باختبارها وجدها خادعة، ومن الحكمة ألا نطمئن كل الاطمئنان إلى من خدعونا ولو مرة واحدة.[2]

وقد أشار إلى ضرورة استبدال المعرفة القائمة على الحواس بمعرفة أخرى أرقى منها، وهذا في مؤلفه "تأملات ميتافيزيقية"، فبعد أن نفى دور الحواس في التأمل الأول، انتقل في التأمل الثاني إلى استبدال الشيء المفكر بالأنا أفكر، وبالتالي التأسيس لهوية إنسانية عاقلة مفكرة، وهذا ما عبر عنه من خلال عبارة الكوجيتو: **"أنا اشك، أنا أفكر، أنا أفكر إذا أنا موجود"** فالإنسان يُعمل العقل لذا لا يقبل أي شيء على أنه صحيح بالضرورة، ومن الشك سيفكر، وبما أنه يفكر سيكون لا محالة موجود وبالتالي يثبت أن له هوية، فالوصول إلى تحديد هوية الأنا كان من خلال الإجابة عل سؤال: أي شيء أنا؟ اذن، أنا ((شيء مفكر))، وما الشيء المفكر؟ إنه شيء يشك، ويفهم ويتصور، ويثبت، وينفي، ويريد، ولا يريد، ويتخيل ويحسّ أيضا.[3]

أما **هيغل*** **Friedrich Hegel** فقد قدم مفهوم خاص للهوية إذ فتحها على الاختلاف والمغايرة، فالهوية التي كانت ترد إلى الوحدة من أرسطو، فإنها مع الفلسفة الألمانية وخصوصا مع هيغل لم يعد بالإمكان طرحها بعيدا عن مسألة الاختلاف.[4]

ان الهوية عند هيغل تتحدد من خلال العلاقة (أ) = لا (أ) فالألف الأولى تحمل معنى الايجاب والمطابقة لذاتها، أما الثانية فهي تدل على الآخر المخالف والمقابل لها، ولذلك فوجودها أي (أ) لا يتحدد إلا من خلال الـ لا (أ).

---

[1] ديكارت: التأملات في الفلسفة الأولى، تر: عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، دط، 2009، ص71.

[2] المرجع نفسه، ص73.

[3] ديكارت: المرجع نفسه، ص101.

* جورج فيلهلم فريديريش 1770م/ 1831م، أحد نوابغ الفكر الفلسفي الألماني.

[4] بنعبد العالي عبد السلام، أسس الفكر الفلسفي المعاصر (مجاوزة الميتافيزيقا)، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 199، ص90.

وقد طرح هيغل هذه الفكرة من خلال أسلوبه الديالكتيكي الذي قوامه وجود القضية ونقيضها والتركيب بينهما، فالقضية تتحدد هويتها بمطابقتها وتوافقها مع ذاتها أولا ثم بتناقضها مع ما يخالفها بالدرجة الثانية، دون أن تلغي نقيضها بشكل تام ولا أن يلغيها هو كذلك، فالهوية عنده لا تقوم إلا بمعارضتها للآخر، فلا معنى للوحدة إلا كتركيب ولا للتطابق إلا كاختلاف. إذ يقول: " **فليست المساواة إلا تطابق حدود ليست هي ذاتها، انها حدود لا تتطابق، واللامساواة هي العلاقة التي تربط بين حدّين غير متساويين. هذان الحدان لا يتفرعان إلى حدود ووجهات نظر متباينة لا يبالي أحدها بالآخر، بل إن أحدها يظهر في الآخر التنوع اذن هو الاختلاف ذاته، انه اختلاف متعين**"[1]

إن النتيجة التي توصل اليها هيغل بخصوص الهوية، أننا في حال نظرنا اليها من زاوية المساواة (أ) = (أ) فلن يتم الوصول إلى أي جديد ولن بتم التعرف ولا إدراك ذات أي واحدة، لأنه سيتم الوقوع في التماهي إلى حدّ الإلغاء والتلاشي، أما إذا نظرنا اليها من زاوية (أ) = لا(أ) فإن هذا التناقض وحده ما يجعل كل طرف يصل إلى تحديد هويته انطلاقا من اختلافه عن الطرف الآخر، ولذلك فالهوية تتطابق مع الاختلاف وهذا هو أساس الجدل عنده.

وفيما يخص **شلينغ*** **Friedrich Chelling** في الفلسفة الألمانية يعتبر أول من شخّص الهوية بشكل صريح مباشر، اذ خصص لها كتاب "الهوية" معتبرا إياها أهم مبدأ تستند عليه الفلسفة للخروج من المشكلات العويصة التي تتردى فيها.[2] وقد انطلق من العقل باعتباره أول وجود، فماهية الأشياء هي الوحدة، والوحدة هي أساس الهوية ولذلك فالهوية هي أساس كل الأشياء، وهذه الوحدة ستتجلى من خلال عدم التفريق بين المادة والروح أي بين ما هو ذاتي وبين ما هو موضوعي.

إن الجوهر الأعمق للأشياء هو الواحد، وهذا الواحد الكل هو المعرفة، وهذه هي الفكرة الأساسية في مذهب شلينغ، فإن سميت وحدة الأشياء هوية، فإن المذهب الفلسفي سيكون "مذهب الهوية المطلق"، ان العقل والهوية المطلقة شيء واحد. ان المطلق واحد أحد، ماهية واحدة هي هي عينها، ولهذا ينعته أحيانا بقوله أنه الهوية.[3]

---

[1] بنعبد العالي عبد السلام: أسس الفكر الفسفي المعاصر (مجاوزة الميتافيزيقا)، المرجع السابق، ص92.

* فريدريك فيلهيلم يوزف شيلن 1775م/ 1854م، أحد أقطاب الفكر الألماني الى جانب هيغل وفيخته.

[2] صليبا جميل: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص532،531.

[3] بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المرجع السابق، ص30.

ان اصطلاح فلسفة الهوية يطلق على مذهب شلينغ القائل بوحدة الطبيعة والفكر، ووحدة المثل الأعلى والواقع، وكل فلسفة لا تفرق بين المادة والروح ولا بين الذات والموضوع، فهي فلسفة من هذا القبيل لأنها تجمع بينهما في وحدة لا تنفصل وترجعهما إلى شيء واحد هو المطلق.

ج- الهوية في الفترة المعاصرة:

إذا كانت الذات هي محور اهتمام الفلسفة الحديثة وهي المرتكز الذي تقوم عليه الهوية، من خلال عبارة "أنا أفكر" فإن الفلسفة المعاصرة عمدت إلى احداث الزعزعة وقلب الأسس والخروج من المطابقة المطلقة، وهو الأمر الذي حمله عدّة فلاسفة على عاتقهم بدءا بـ**هايدغر*** **Martin Heidegger** أحد فلاسفة المنعطف الفينومينولوجي، إذ انطلق من التأكيد على أن الهوية منذ القدم قدمت على أنها تتمتع بطابع الوحدة مع اهمال فكرة التوسط، وهو الأمر الذي استغرق قرابة ألفي سنة، ذلك أن الفلسفة المثالية التأملية بعد أن مهد لها كل من ليبنتز وكانط، وبعد أن اكتملت مع ثلاثية هيغل، فيخته وشلينغ، أصبح من غير الممكن أن يتم تمثّل الهوية كوحدة وكانسجام باهمال التوسط الذي تتوفر عليه.

والمقصود من ذلك أن الهوية من قبل كان ينظر اليها دونا على أنها (أ) = (أ) أي من جانب المساواة، وهذه الأخيرة لا تقدم (أ) هي ذاتها، ولذلك فهي لا تمثل جوهر الهوية. اذ يقول: " **ماذا تقول إذن الصيغة أ = أ والتي من خلالها تعودنا تمثل مبدأ الهوية؟ إن هذه الصيغة تساوي أ ب أ، والحال أن كل مساواة تقتضي وجود طرفين على الأقل أ مساو لآخر. هل ذلك ما يعنيه هذا المبدأ؟ الظاهر. لا... فإذا ردّد أحدنا الشيء نفسه: النبتة هي النبتة، فإنه يحصّل الحاصل، ولكي يمكن أن يكون شيء ما "هو نفسه" يكون حدّا واحدا كافيا باستمرار ولا حاجة لحدّين اثنين كما في حالة المساواة"**[1]

ولذلك فهو ينبه إلى ضرورة استبدال المعادلة أ = أ بـ أ هي أ ذلك لأن هذه الصيغة الثانية الجديدة هي أصح صيغة معبرة عن مبدأ الهوية، اذ تفصح عن كينونة كل ما هو موجود، ذلك لأن كل كائن له الحق في ذاته والوحدة مع ذاته، ولذا فنداء الهوية عند هايدغر هو نداء الوجود، فالوجود ينادينا باستمرار وما علينا الا أ، ننصت له بلا من الإنصات لموجوداته. اذ يقول: " **إن ما يعنيه مبدأ الهوية مسموعا اليه من خلال نبرته**

* مفكر ألماني 1889م/ 1976م، اهتم بالأنطولوجيا خصوصا ضمن مؤلف الوجود والزمان.

[1] هايدغر مارتن: الفلسفة، الهوية والذات، تر: محمد مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص29.

الأساس، هو بالضبط ما يفكر من خلاله الفكر الغربي أو الأوروبي إنه يعني الهوية تشكل خاصية أساس لكينونة الموجود، إذ حيثما قمنا بعلاقة كيفما كانت مع موجود كيفما كان نجد أنفسنا بصدد نداء الهوية، وبدون هذا النداء لا يمكن للموجود أن يظهر في كينونته وبالتالي يستحيل العلم تماما"[1]

وفيما يتعلق **بتشارلز تايلور*** **Charles Taylor** فمن خلال مؤلفه " منابع الذات" قدّم مشروعه الخاص لتطوين ووضع دعائم تشكيل هوية حداثية جديدة قوامها العودة إلى جوهر الذات وكنهها، اذ شخّص الهوية باعتبارها كيانا وذاتا باطنية، تطمح للظهور والبروز في سياق مجابهة متغيرات الواقع المعاصر. فما على هذه الذات إلا العودة إلى أناها، وتأمل باطنها، لأن ذلك وحده ما يقودها إلى ادراك نفسها ووعي ما يحيط بها في نفس الوقت، أي التواصل مع غيرها وعدم الترفّع عنه أو الأنانية تجاهه، اذ يؤكد قائلا: **" وهكذا نتوصّل وبصورة طبيعيّة إلى التفكير بأن لنا ذواتا مثل حيازتنا على رؤوس وأذرع، ولنا أعماقا داخلية مثل حيازتنا على قلوب وأكباد، وأن ذلك حقيقة صلدة خالية من التأويل... إن الكينونة ذاتا لا تنفصل عن الوجود في فضاء من المسائل الأخلاقية، لها علاقة بالهوية"**[2].

أما على الصعيد العربي فالملاحظ أنّ مصطلح الهوية انتقل إلى البيئة العربية في بدايات القرن العشرين، أين عني بمعالجة عديد المفكرين وأبرزهم **محمد عابد الجابري*** الذي اعتبر الهوية هي تلك العلاقة الناشئة بين الأنا والآخر، ذلك أن الأنا لا يمكنها أن تحدد وتحقق ماهيتها ووجودها في العالم في الحاضر والأهم مستقبلا إلا من خلال وجود الآخر المقابل لها، لأن ماهيته هي الأخرى تؤثر وتتأثر بها، اذ يقول في كتابه "مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب: **"يجب أن ننظر إلى التفكير في المستقبل على أنه في جزء منه على الأقل، عبارة عن محاولة ترمي إلى إعادة ترتيب العلاقة مع الآخر مفردا كان أو جمعا، بل يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك والزعم بأنه لولا وجود الآخر لما كان هناك تفكير في المستقبل: فنحن انما نفكر في**

[1] هايدغر مارتن: الفلسفة، الهوية والذات، المرجع السابق، ص31.

* تشارلز ماغريف تايلور 1831م، فيلسوف كندي اشتهر بمساهماته للفلسفة السياسية وفلسفة العلوم الاجتماعية ووتاريخ الفلسفة والتاريخ الفكري.

[2] تايلور تشارلز: منابع الذات (تكوّن الهوية الحديثة)، تر: حاج إسماعيل حيدر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2014، ص182-183.

* مفكر وفيلسوف مغربي 1935م/ 2010م، متخصص في تشريح العقل العربي طيلة عقود من البحث والإنتاج، سلط خلالها الضوء بعمق تحليلي على مكونات هذا العقل وأدوات اشتغاله والعوائق التي تجعله حبيس التقليد والاجترار والتخلف والتبعية للغرب.

المستقبل لأن شيئا ينافسنا في حاضرنا، يهددنا أو يستهوينا أو يتقدم علينا، وبعبارة أخرى يتحدى هدوءنا وسكينتنا وغفلتنا"[1]

كما نجد كذلك **حسن حنفي*** الذي خصص كتاب أطلق عليه تسمية "الهوية" اذ اعتبرها أهم خاصة وميزة يتميز بها الإنسان فهي أساس وجوده، وطالما هي موجودة فهو كائن حي عاقل متوازن، أما غيابها فيؤدي إلى اللاتوازن والتوتر، ولذلك ربطها بالحرية **فالهوية تعبير عن الحرية الذاتية، الهوية إمكانية قد توجد وقد لا توجد، ان وجدت فالوجود الذاتي وان غابت فالاغتراب**[2].

ان الهوية عنده موضوع انساني خالص، فالإنسان هو الذي ينقسم على نفسه وهو الذي يشعر بالمفارقة والتعالي والقسمة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، بين الواقع والمثال، بين الحاضر والماضي والمستقبل...الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون على غير ما هو عليه.[3]

ولذلك فهو يؤكد أنها تجربة ومشكلة شعورية نفسية إلى جانب كونها موضوع ميتافيزيقي، فإن حظرت كانت الحرية، وان غابت تفشى الاغتراب.

[1] الجابري محمد عابد: مسألة الهوية (العروبة والإسلام..والغرب)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 2014، ص90

* هو مفكر مصري، وأستاذ جامعي1935م/2021م يُعدّ واحدًا من منظّري تيار اليسار الإسلامي، وتيار علم الاستغراب، وأحد المفكرين العرب المعاصرين من أصحاب المشروعات الفكرية العربية.

[2] حنفي حسن: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012، ص11.

[3] المرجع نفسه، ص11.

ثانيا: من الكونية إلى الكوكبية عند ادغار موران – أركيولوجيا وتاريخ المفهوم–

لطالما عبّر الكون منذ القديم على المطلق الخالد اللانهائي، ذلك النموذج الكامل المتكامل الذي يطابق الوجود بمختلف معانيه مادية كانت أم معنوية، ولعلّه الأمر الذي ترجمته مختلف الميثولوجيات القديمة وأبرزها اليونانية، خصوصا عندما ربطته بالعناصر الأربعة (ماء، هواء، نار، تراب)، ولذلك فقد تقاطعت دراسته مع عالم الفلسفة، ذلك أن كل منهما يقوم على الاستفهام الدائم والافتراض المستمر، فالطرح الإنساني للاستفهام الفلسفي وجد في الكون خير ملاذ لاستقاء مختلف الإجابات. ولذا كانت الكونية بما تحمله من مضمون أهمّ لغز سعى ولا يزال يسعى الانسان للكشف عنه، لا لشيء الا لغاية قصوى عبّرت عنها مقولة سقراط الشهيرة: "اعرف نفسك بنفسك"، فالذات هي ذلك الأساس الذي تقوم عليه مختلف أبحاث الإنسان منذ الأزل، اذ تمثّل ذلك البئر العميق الذي لابد من غوصه حتى يتسنى فهم كل شيء، وبالطبع مفتاح ذلك هو إزالة اللثام على غموض الكون.

وبالاطلاع على المشهد الفلسفي المعاصر نلمح أنه أكثر توجه فكري تجلى فيه الطرح والتصور الكوني كسعي لفهم الذات الإنسانية، ولعلّ ذلك يبرز من خلال المناداة بحقوق وحريات الانسان والدعوى إلى المواطنة والديمقراطية، ليس من باب العولمة، وانما من باب أوسع منها هو الكونية، فالعولمة تقوم على دمج الخصوصيات إلى حدّ التطابق، تطابق ضمن هوية ومركزية واحدة هي المركزية الغربية، أي الخضوع لجهة واحدة مهيمنة ومسيطرة باسم ثقافة واحدة قوامها فرض التجانس، ولذلك فالأساس هو نبذ التواصل وتكريس ثقافة القطب الواحد الذي يلغي ويقصي الآخر.

في خلاف ذلك تقوم الكونية على دمج الخصوصيات مع الحفاظ على الاختلاف ضمن بوتقة الكل المشترك، فالأساس فيها هو التواصل بين مختلف الثقافات العالمية، والسعي إلى اغناء القيم الإنسانية المشتركة عبر فتح المجال لإبراز الذات وانفتاحها وتحاورها مع غيرها، وبالتالي التعدد ضمن الواحد وتجاوز الثقافة الواحدة إلى ثقافات متكثّرة، في سياق الايمان بالتنوع بين الجميع، فلا وجود لأي تعارض بين الخاص والكوني بل على العكس كل منهما يتداخل مع الآخر ولا يمكن فصله عنه، فالعلاقة بينهما هي علاقة الجزء بالكل اذ تبقى الهويات البشرية الخاصة جزء أساسي من الهوية الكونية العالمية.

ويعدّ **إدغار موران** من أبرز الفلاسفة الذين حملوا على عاتقهم مهمّة الدفاع على هذا التصور الكوني، اذ نحت منه مصطلحه المتميز "الكوكبية" تعبيرا على الاهتمام بالجنس البشري، وسعيا لردّ الاعتبار له والمناداة

بكرامته، من خلال تحديد القيم الكوكبية التي تؤصّل لهوية عالمية قوامها التسامح والاعتراف والتواصل ونبذ العنف.

ولذلك سيكون لزاما علينا قبل الارتحال إلى الكوكبة وبلورتها عند ادغار موران، أن نشخّص في البدء التأصيل المفاهيمي للكونية مع الإشارة إلى بعدها ومسارها التاريخي على اعتبار أنها ارتحلت منذ الحضارات القديمة الأولى ووصولا إلى فيلسوفنا، وكيف عبّر عنها "بالكوكبية".

1- الكونية – أركيولوجيا وتاريخ المصطلح –

أ- مفهوم الكونية:

ان الحديث على الكونية يقودنا في البداية إلى ضبط بعض المصطلحات التي ترتبط بها بشكل كبير على غرار:

➢ **الكون :(cosmos)** هو لفظ مشتق من اللفظ اليوناني kosmos وهو يعني في الأصل "**النظام**" order، ثم أطلقه الفيثاغوريون على العالم.[1] وقد اعتبره **جميل صليبا: " مرادف للوجود المطلق العام، ويطلق على وجود العالم من حيث هو عالم، لا من حيث هو حق، أو على العالم من جهة ما هو ذو نظام محكم".**[2] وبالتالي فالكون بهذه المعاني هو ذلك الوجود الذي يخضع للترتيب والتجانس والنظام المحكم، فلا يمثل العدم ولا يتبع العشوائية، بل هو العدم الذي صار وجود.

أما **أندري لالاند** فالكون عنده هو العالم بوصفه منظومة منتظمة تماما، ففي الأصل كوسموس معناه الراتوب أي النظام[3]

➢ **علم الكون (cosmologie)** : هو العلم الذي يبحث في القوانين العامة للعالم من جهة أصله وتكوينه، سواء كان ذلك من الجهة التجريبية أو من الجهة الفلسفية.[4] فعلم الكون هو كل ما يُعنى بذلك النظام الكوني ومختلف الضوابط والقوانين التي تحكمه، ولأن هذا الكون يتجاذبه الجانب المادي من ناحية والجان بالمعنوي من ناحية ثانية، فإن علم الكون يركز على القوانين المتحكمة في الكون: إذا كانت مادية فمجالها العلم والتجريب، وان كانت معنوية فمجالها الفلسفة.

➢ أما مصطلح **الكونية** من الناحية الفلسفية فهو يتخذ اصطلاح **universelle** والذي يحمل معنيين أحدهما يعود إلى النشأة الفلسفية الأولى في بلاد اليونان أين كانت الكونية تُطلق بصيغة الكليّة، ذلك أن الفلسفة ومنذ بداياتها تهتم بالكلي خصوصا مع أرسطو في علم المنطق، فالكوني في قولنا: " كل انسان فان" هو شمولية حكم الموت على مختلف وجميع أفراد النوع الإنساني الذين يمتازون بالجزئية، فهي بذلك مقابلة الكل للجزء، أما المعنى الثاني فهو الذي أخذ يبرز بدءا من الفلسفة الحديثة خصوصا مع كانط وهيغل، ووصولا إلى

---

[1] وهبة مراد: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، دط، 2007م، ص513.

[2] صليبا جميل: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، مكتبة بيروت، لبنان، دط، م1982، ص247.

[3] أندري لالاند:موسوعة لالاند الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001م، ص234.

[4] صليبا جميل: المرجع نفسه، ص247.

الفلسفة المعاصرة كدلالة على "العالمية" أي كل ما يمثل جملة القيم والمبادئ الواحدة المشتركة التي وقع حولها اتفاق واجماع بين الناس مثل: العدالة، الديمقراطية، الحرية، حقوق الانسان... مع الحفاظ على خصوصية كل انسان، لأن الكونية لا تعني التماهي إلى حدّ طمس الذات فهي لا تتناقض مع الخصوصية، وانما تبقى الحقيقة الكونية ليست الا مجموعة خصوصيات متضافرة فيما بينها، فهي عبارة عن منظورات مختلفة لشيء واحد لا يمكن أن ندركه في ذاته من حيث هو مستقل عن هذه المنظورات التي تتوارد عليه.[1]

ب- الكونية وتاريخ المصطلح:

ان الكونية كفكرة ليست بالتصور الحديث، بل ان التأمل والتصور الفلسفي للكون قديم متجذر يعود إلى بداية النظر والتساؤل والبحث حول هذا العالم والسعي إلى اكتشاف كل ما هو غيبي ميتافيزيقي، من أجل الوصول إلى حقيقة الذات الإلهية، فالانسان ومن القدم يحاول جاهدا فهم قضية الوجود. ولعله الأمر الذي أثّر على تكوين وتوجه عديد الفلاسفة إلى غاية يومنا هذا.

ولذلك فالبحث في الكونية يقودنا إلى الغوص في الجذور التاريخية الفكرية الفلسفية لها، والتي انطلقت من الحضارات الأولى القديمة، ثم أخذت تتطور وتتنوع من بيئة ومرحلة إلى أخرى، إلى أن وصلت إلى الفترة المعاصرة أين أصبحت مطلب كوكبي ضروري، خصوصا عند فيلسوفنا ادغار موران. ومن أبرز النماذج التي تبنت فكرة الكونية:

❖ **الحضارات الشرقية القديمة:**

تبرز فكرة الكونية في الحضارات الشرقية القديمة من خلال تقديمها لتصوراتها الخاصة حول الكون وكيفية نشأته وتأثير ذلك على الانسان، فالكون في هذه الحضارات قديم أزلي نشأ من جوهر واحد كلي غير متجزئ غير قابل للعيان، سرمدي لا تُحدد له بداية ولا نهاية، ثم منه وبعد موافقة الخالق حدث انقسامه إلى قوتين ثنائيتين متعارضتين، لكن دون طمس أو نفي بل على العكس انطلاقا من تفاعلهما ينشأ الوجود المادي والخلق، ولعل جوهر الكونية عند هذه الحضارات يتجلى في أنه مهما كان التعدد والاختلاف الا أن الأصل والجوهر واحد، فمهما انشطر الوجود إلى قوى متعارضة إلا أنه من الضروري التوليف والتكامل، كذلك في الإنسانية مهما حدث فيها من اختلافات إلا أنه من الواجب على الانسان حسب هذه الحضارات أن يسعى إلى الموازنة بين الثنائيات الكونية لأن أصله في البداية كل متكامل، ولعل أبرز الحضارات التي تناولت فكرة الكونية **الحضارة الصينية القديمة** وذلك من خلال ثنائية (ين/يانغ) يتم تفسير فكرة الكونية، فالكون

[1] عبد الرحمن طه: الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2013م، ص118.

والوجود الحسّي نشأ من أصل أول هو "التاو" والذي يعتبرونه مبدأ كل الأشياء وجوهرها. ان "التاو" هو بداية كل الأشياء، وبداية البدايات، هو ليس شيئا وانما هو بداية الأشياء[1].

فالتاو عندهم هو المحرك الأول، فهو الذي يوجد الأشياء والكائنات وهو الذي يعطيها الحركة والقوة، وان شاء يمنحها السكون والعدم، ومنه انبثقت القوة الأولى وهي "ين" والثانية "يانغ" فهنا قوتين مختلفتين تمثلان الايجاب والسلب، فال"ين" مبدأ سكوني وال"يانغ" مبدأ دينامي، من خلال تعاقبهما وتفاعلهما ينظمان انبثاق الكون وتطوره.[2] أي بروز كل المحسوسات بما فيها الانسان، ولذلك فهي كلها –المحسوسات– تعود رغم اختلافها وصراع أصلها وهما القوتين في النهاية، إلى ذلك الأصل الأول وهو ال"تاو" وهذا هو جوهر الكونية التي تجسد الاتحاد تحت لواء الكال الواحد.

وقد سارت **الحضارة الهندية** نفس مسار سابقتها، من خلال الأصل الأول الذي تنبثق منه ثنائية رغم اختلافها تتكامل لتصدر وتكون الموجودات وأهمها الإنسان، وتتجلى هذه الفكرة من خلال "البراهما" الذي يمثل الكائن الكلي فهو الجوهر أي الاله الخالق والموجد لكل الموجودات ومانح الحياة والحركة لها، "**لقد اقتضت حكمة براهما الذي لا يدركه الا العقل أن يبرز ما في مادته المخلوقات المختلفة، فأوجد الماء أولا، ووضع فيه جرثومة، فصارت الجرثومة بيضة لامعة لمعان الذهب، وعاشت داخلها الذات الصلبة على صورة برهما وهو جدّ جميع الكائنات...وخلق عددا عديدا من الآلهة، وخلق طائفة غير مرئية من الجن وخلق الزمان وأقسامه، والكواكب والازهار والبحار والجبال...**"[3]

فالإنسان هو الكائن الذي نشأ عند الهنديين القدامى عبر مراحل عديدة مختلفة، وهو الذي يسعى رغم اختلافه تدريجيا وتصاعديا نحو الاتحاد بالبراهما وهذا هو جوهر الكونية عندهم، لأن البراهما يضم الكل والجميع رغما مغايرته، وبالتالي على الإنسان السعي إلى التكامل مع بني جنسه من أجل العيش ضمن بوتقة البراهما الكلية الكونية الواحدة.

وبالنسبة **للحضارة البابلية** فالعالم كان عبارة عن خواء حقيقي وهوة سحيقة يختلط فيها الماء العذب[4]، أي أن الكون حسب تصورهم الأسطوري يعود إلى مبدأ أولي هو الماء، وهو أزلي أوجد نفسه بنفسه، ثم منه

[1] لاوتسه، تشوانغ تسه: التاو، تر: العلوي هاني، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط1، 1995م، ص16.

[2] آن شتغ: تاريخ الفكر الصيني، تر: حمود محمد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012، ص306.

[3] شلبي أحمد: مقارنة الأديان4 اديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية)، مكتب النهضة المصرية، القاهرة، ط11، 200م، ص

[4] فيروللو شارل: اساطير بابل وكنعان، تع: خير بك ماجد، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، سوريا، ط2، 1990م، ص20.

انبثقت مختلف الموجودات، من خلال انشطارها إلى ثنائيات أبرزها "ابسو" الذي يمثل الذكر، و"تيامة" التي تمثل الأنثى، ومن خلال اتحادهما تكونت مختلف الموجودات الأخرى، التي ومهما كان اختلافها جميعا وتمايزها إلا أنها في النهاية تتحد تحت راية الأصل الأول وهو الماء.

ليؤكد قدماء **المصريين** على أنه لم يكن ثمة في البداية شيء سوى اللاوجود أو الفوضى ذاتها وذلك في تصورهم للكون، ثم بعدها بدأت قوة وبذرة داخلية في التكوّن والتشكّل، ليتفجر منها الوجود والحياة، هي التي مثلت عندهم الإله "نون" الذي أطلق عليه اسم "الواحد القديم" فهو "المبدأ الأول" أو "الأصل الأول"، ومنه انبثق إله الشمس "رع" والإله "آتون" وكل منهما مظهر للآخر فالاثنين اندمجا في مركب إله واحد، ان "آتون" هو الكامل المطلق الذي أتى إلى الوجود بنفسه، وهو الأقدم أو الأزلي، كما أنه الأوحد المنفرد بذاته..."سيد الجميع"[1]. ومن هذا الإله تبث الروح في مختلف الموجودات وينشأ الكون، ولذلك فالكونية عندهم تعود إلى أنه رغم الكثرة في الآلهة والتعدد في الموجودات إلا أنها تعود إلى نفس الخالق وهو الإله "نون".

ومن ثم فإن الثقافات والحضارات الشرقية قدمت تصورها الفلسفي للكون، عبر فكر أسطوري تناسب وروح العصر الذي ظهرت فيه، من خلال التفسير بالأصل والمنشأ الأول الذي منه تنبثق جميع ومختلف الأشياء والتي على الرغم من اختلافها تعود في النهاية اليه، وبذلك تكون بشكل غير مباشر عبّرت على فكرة الكونية بمفهومها الحالي، فهي تقوم على الاختلاف الذي يقود ويعود إلى الوحدة في النهاية، فالإنسان في هذه الحضارات كان عليه الموازنة بين تلك الثنائيات ليحصل على اكسير الحياة ويعيش السعادة، وبالتالي يدرك ذلك الجوهر الأول الكلي. وكذلك هي الكونية الحالية، على الإنسان فيها أن يتجاوز الصراع والتناحر، ويدرك قيمة الموازنة مع ما يغايره ويختلف عنه، وذلك من أجل غاية واحدة وهي العيش براحة أبدية.

❖ **الكونية في الحضارة اليونانية: "الرواقية أنموذجا"**

مع أن الرواقية* لم تكن أول من أشار في البيئة اليونانية إلى فكرة الكونية، بل سبقها اليها هرقليطس، والكلبيون، إلا أنها تعد الجماعة الأولى التي قدمت نظرية فلسفية متكاملة حول المدينة العالمية، مذعنة بذلك ميلاد فكر شمولي عالمي كوني، فالكون عندهم لا يخضع للفوضى، وانما هو عالم مرتب منظم، اذ يقول الرواقي **مرقس أوريليوس: "الأشياء جميعا متسلسلة متشابكة، وكأنما قد ربطت برباط مقدس وثيق...وهي تتعاون على تحقيق ما في العالم الواحد من حس نظام. ذلك أن العالم المؤلف من جميع الأشياء**

[1] المرزوقي جمال: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، دار الأفاق العربية، بيروت، ط1، 2002م، ص77.

* هي مدرسة فلسفية، انتشرت في إطار الثقافة اليونانية، في القرن الرابع قبل الميلاد، تحت تأثير الأفكار التي تدعو إلى المواطنة العالمية.

واحد، والله المنبث في كل مكان، والمسيطر على الجميع واحد، والمادة والكون واحد، والقانون واحد، والعقل الشائع في جميع الموجودات العاقلة واحد، وكذلك العقيدة واحدة: لأن الحقيقة هي كمال الموجودات التي هي من أسرة واحدة والتي منحت عقلا واحدا"[1]

ان فكرة الكلية وضرورة إرساء معالم الكونية أقرت بها الرواقية من خلال إحلال الانسان محلّ المواطن، فالإنسانية عندها عبارة عن أسرة واحدة مؤلفة من جملة أعضاء هم البشر أي المواطنون، ولذلك نادت بشكل صريح بالمدينة أو الدولة الكونية والمواطنة العالمية cosmopolitisme التي قوامها التعايش السلمي بين الآلهة والبشر، فالكون هنا يصير مدينة كبرى يرتبط فيها الجميع ويتعايشون تحت راية قانون جماعي واحد، ويشير إلى ذلك **بلوتارك plutarique**: **"هذه الجمهورية التي تستحق الاعجاب كثيرا...يكمن في أن الناس يجب ألا يتفرقوا في مدن وشعوي، لكل منها قوانينها الخاصة: لأن كل الناس مواطنون، ولأن لهم حياة واحدة، ونظاما واحدا للأشياء، كما هو حال القطيع الموحد في ظل قاعدة قانون مشترك"**[2] فالقانون الذي يحكم الجميع هو القانون الإلهي فهو اللوغوس logos أي العقل الكلي.

ولعل أبرز رواقي أشار وأكد على فكرة الكونية من خلال الجمهورية العالمية هو **زينون** الذي نادى بضرورة إرساء دعائم مدينة جديدة عوض القديمة، تقوم على وحدة الوجود المنظم الذي يقوم على توافق الآلهة والبشر اذ يؤكد قائلا: **"لما كنا جميعا لنا جسم واحد – النار الإلهية– ولنا أب واحد بث فينا النفس (الإله) ولما كان يوجد تداخل كلي بيننا وبين بعضنا البعض، فإننا ننتمي إلى وطن واحد هو المدينة الكونية وندين بالولاء إلى قانون واحد هو قانون هذه المدينة"**[3] وبالتالي فمن الضروري أن نتحدد جميعا مهما كنا مختلفين متباينين تحت لواء مدينة وجمهورية كلية كونية واحدة، فالإله واحد والإنسانية هي الأخرى واحدة وذلك لأن العقل معطى جماعي مشترك، الأمر الذي يقود إلى إقامة مجتمع سياسي عالمي.

ان الرواقية اهتمت بشكل كبير بالإنسان ولذلك أعطت له دور هام في الكون، فهو ابن الإله وهو الكون الصغير أمام الكون الكبير، فمثلما يتألف من أعضاء تتكامل في وظائفها في الحفاظ عليه، هو الآخر تناط به مهمة التكامل مع غيره للحفاظ على الكون، ولا يكون ذلك إلا من خلال رباط وثيق يجمع كل

[1] أمين عثمان: الفلسفة الرواقية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، 1945م، ص211.

[2] شوفالييه جان جاك: تاريخ الفكر السياسي (من المدينة الى الدولة القومية)، تر: صاصيلا محمد عرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993م، ص122.

[3] مراد محمود: دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2004م، ص331.

سكان المدينة العالمية وهو "الحب" فالقوة العسكرية لا تحقق التعايش والوحدة بين الناس، والمقصود به عندهم ليس الحب باعتباره الشهوة، وانما الحب كفضيلة وممارسة سامية نبيلة، لذلك اعتبره **زينون** الإله القائم هناك، والرفيق المساعد الذي يحفظ المدينة ويصونها.[1]

لهذا تجسدت الكونية عند الفلسفة الرواقية من خلال الطموح إلى المدينة العالمية المتحدة التي يجتمع مواطنوها تحت رقعة واحدة تزول فيها الفوارق وتسير حسب قانون إلهي واحد، يساوي بين الجميع رغم اختلافاتهم، لا يدعوا إلى المطابقة إلى حد التماهي، وانما يؤمن بالاتحاد رغم الاختلاف، ولعله الأمر الذي يجعلها فلسفة إنسانية كونية سعت إلى مدينة فاضلة، فتركت بذلك آثار عميقة على فلسفات عديدة جاءت بعدها.

❖ الكونية في الفكر المسيحي:

ان المطلع والمتأمل لتاريخ الفكر المسيحي في العصور الوسطى وما تلاهى لا يعدم ناظريه أنه قام على فكرة جوهرية قوامها اعتبار النوع الإنساني واحد متكامل، ولعله الأمر الذي جعل المسيحية كديانة تدعوا إلى الشمولية، وتقدم رؤية كونية سواء ضمن سياقها الخاص وبين متتبعيها، أو حتى مع الثقافات والديانات والحضارات الإنسانية الأخرى، ولذلك قامت على نظرة موحدة قوامها الاختلاف دون خلاف. فعلى صعيدها الخاص، كان التعدد بارز بين اتجاهاتها (بروتستانت، كاثوليك، أرثوذكس) ولكن مع ذلك كانت كلها تمثل المسيحية، فحتى وان تصادمت إلا أنها تعايشت، لأنها تعود في النهاية إلى كنيسة الرب، وكذلك على الصعيد الخارجي نصبت المسيحية نفسها الأم والمنبع الذي ينطوي تحت جناحية كل شعوب وثقافات وديانات العالم، وهذا تحت شعار "**الكنيسة العالمية**" أي ضرورة تحقيق التقارب والاتفاق والتفاهم مع الجميع، ففي الكتاب الجديد للإيمان المسيحي وردت عبارة: "...**إن تاريخ الثقافات المختلفة يصبح اليوم تاريخا عالميا، بحيث تحمل مسؤوليته الإنسانية بأجمعها...الأمر الذي سيقودنا حتما إلى حوار جديد ومثمر مع الديانات غير المسيحية**"[2].

[1] مراد محمود: دراسات في الفلسفة اليونانية، ص343.

[2] جورافسكي أليسكي: الإسلام والمسيحية، تر: الجراد خلف محمد، عالم المعرفة، الكويت، دك، 1996م، ص21.

ولذلك فالجماعات المسيحية كانت دوما تشعر وتنادي بالاتحاد والتلاقح ضمن كنيسة كونية عالمية واحدة، ولعله الأمر الذي نلمحه في أفكار كبار المفكرين المسيحيين بدءا بأ**وغسطين*** **Augustin** الذي عمد إلى تقسيم الوجود إلى قسمين: أحدهما فوقي أطلق عليه تسمية مدينة الله، فهي المدينة الأولى الأصل، التي تمثل العالم المثالي الذي يقطنه الخالق، أما القسم الثاني فهو مدينة الأرض أي المدينة السفلى التي يعيش فيها البشر والتي أقيمت عليها الكنيسة باعتبارها الرابط بين المدينتين من أجل إفشاء واحلال السلام بين مختلف الناس وعلى اختلاف أجناسهم ولغاتهم، دياناتهم وثقافاتهم، فالوحدة ضرورية والكنيسة هي التي تحققها، "**اذ تعيش الكنيسة على الأرض مؤقتا، وتستنجد بالمواطنين من جميع الأمم وتؤلف بين قلوب أناس مختلفي اللغات والعادات والشرائع والنظم فيستقر السلام على الأرض بفضل وحدة الناس في خدمة الرب**"[1]

ولذلك فالكونية عنده تتحقق من خلال الدور المنوط بالكنيسة لأن فضاءها يمتد إلى الكون بدل أن يكون محدود بشعب معين[2]، فمن الضروري تحقيق الانسجام والتوافق بين كل الناس حتى يسهل عليهم الوصول والارتقاء إلى مدينة الرب، ومن ثم فلابد من التكامل بين وظيفة الكنيسة ووظيفة الدولة، فالكنيسة تشرف على الدولة فتوجهها في الحياة السفلى، والدولة بالمقابل تساعد الكنيسة في مهامها تسهيلا لأوامر المدينة العليا، وهذا ما يجسد الكونية.

أما بالنسبة ل**توما الإكويني*** **Thomas D'aquin** فهو الآخر أكد على ضرورة الوحدة الكونية بين البشر، وذلك عندما نادى بالعدالة، فالناس وان كانوا مختلفين إلا أنه من الواجب تحقيق الموازنة والعدالة بينهم، ذلك أنهم تحت لواء الكنيسة الواحدة فقط سيرتقون جميعا وبنفس الصفة إلى مدينة الرب العليا، ولذلك انصب اهتمامه على وحدة الدولة والسلام الاجتماعي، خصوصا في كتابه "**المجموع**"[3] أين أكد على أهمية الحكم الجيد للناس، الحكم الذي قوامه قانون انساني بشري يقوم على النظام والخير المشترك بين الجميع، كل ذلك

* قديس عاش بين فترة 354/ 430 في هيبون الجزائر حاليا، يعتبر أعظم آباء الكنيسة، يعتبره الكاثوليك تانى أهم شخصية أثرت فى الفكر المسيحى بعد القديس بطرس.

[1] النشار مصطفى: تطور الفكر السياسي القديم (من صولون حتى ابن خلدون)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999م، ص188.

[2] شوفالييه جان جاك: تاريخ الفكر السياسي، المرجع السابق، ص158.

* راهب دومينيكاني 1225م/ 1274م، تبنى الإكويني الأفكار التي طرحها أرسطو الذي دعاه «الفيلسوف» وحاول المزاوجة بين فلسفته والعقيدة الكاثوليكية ،على عكس العديد من التيارات في الكنيسة الكاثوليكية أنذاك.

[3] شوفالييه جان جاك: المرجع نفسه، ص193.

سعيا إلى التعايش الأنسب بين الناس وان حصل اختلاف بينهم، فالجميع يعودون إلى الإله الواحد فهو خالق وحاكم كل شيء، تماما مثل القلب في الجسد الذي يحرك كل الأعضاء الأخرى، ومثل الملكة في مجتمع النحل، كذلك الله بالنسبة للكون والبشر[1].

لكن مع ذلك تبقى هذه الكونية بالنسبة للمسيحية مجرّد قشّة تمسكت بها، اذ كانت حبر على ورق، فلم يتم تجسيدها على أرض الواقع، وذلك يعود إلى نزعة الانسان الأنانية ورغبته في التملك وفرض الهيمنة والسيطرة بدل الاتحاد والتعايش.

❖ **الكونية في الفترة الحديثة:**

يعتبر الفيلسوف الألماني **ايمانويل كانط*** **Emmanuel Kant** أكثر فيلسوف حداثي عني بمسألة الكونية، اذ دعا اليها في مؤلفه **"مشروع للسلام الدائم"** أين طالب بضرورة انشاء مجتمع عالمي تضمحل فيه الفوارق ويصبح في الجميع تحت لواء أمة واحدة، ولذلك قام مشروع كانط الإنساني على المناداة بفكرة الوحدة والتحالف بين بني البشر وهذا ما مثل رؤيته الكونية، ذلك أن الكون الذي نعيش فيه لا يخضع للسيطرة الواحدة ولا يقع تحت لواء أمة واحدة، بل هو جملة ومجموعة من الأمم المختلفة والمتحدة في نفس الوقت فيما بينها دون أي فواصل وحدود.

ان الدولة عند كانط بما تشتمل عليه من أناس تشبه الشجرة التي لها أصولها وبالتالي فجذعها متميز، وأي سعي لدمجها بشجرة أخرى هو أشبه بمحاولة تطعيم نبات بآخر، **"فالدولة ليست متاعا وانما هي جماعة إنسانية لا يحل لأحد سواها أن يفرض سلطانه عليها أو أن يتصرف في شؤونها"**[2] فلكل دولة خصوصياتها وبالتالي لا ينبغي الاقدام على ضمها إلى أي دولة أخرى، بل علينا احترام اختلافها وتميزها، وفي هذا إشارة إلى فكرة الحرية، فالإنسان عند كانط مدني اجتماعي بطبعه ولكن ذلك لا يعني خضوعه لغيره أي ولأي سلطة خارجية تمارس عليه الاكراه والالزام، وانما لابد تركه على سجيته وبمحض ارادته يختار فعل الخير وذلك من خلال القوة والطبيعة الثابتة في هذا الكائن والمشتركة بينه وبين بني جنسه ألا وهي **"العقل"**، فالكونية كفكرة عند كانط تقوم على مبدأ العقل باعتباره أهم مشرع وأبرز طريق نحو السلام، ومتى اتبعنا

[1] النشار مصطفى: تطور الفكر السياسي القديم، مرجع سابق، ص199.

* مفكر وفيلسوف ألماني1724م/ 1804م، يعتبر أحد أبرز الفلاسفة الألمان المحدثين ومن أعظم فلاسفة عصر التنوير الأوروبي، كما يعد من أكبر الفلاسفة تأثيرا في الفلسفة الغربية الحديثة.

[2] كانط ايمانويل: مشروع للسلام الدائم، تر: أمين عثمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1952م، ص26.

أوامره "**يكون اقترابنا من ذلك المثل الأعلى ممكنا. فيقوم ذلك الحلف بين الشعوب: يكون حلفا جزئيا أول الأمر، ثم يقترب رويدا رويدا من ((الإنسانية)) التي هي آخر حدوده، يومئذ تقل الحروب ويندر وقوعها، وتتسع رقعة العدالة، ويصبح حكمها الحكم المطاع، وتتوطد أواصر القربى بين الأخلاق والسياسة، ويأوي السلام إلى ركن شديد**"[1].

وقد ربط كانط هذا العقل بفكرة الواجب، ذلك أن الانسان عندما يتبع أحكام عقله بحرية معينة، لابد عليه أن يجعل أفعاله موجهة للآخرين من باب المعايشة والتواصل لا من باب الصراع والتناحر، وفي ذلك دعوة إلى الأخلاق الكونية، فالأرض عند كانط ساحة جماعية تضم الكل، فهي مكان مشترك يحوي الجميع على اختلافهم، ومن الأفضل الدخول في علاقات بين هؤلاء الناس حتى يحصل الاتحاد بينهم تحت لواء قوانين واحدة، ووفق دستور عالمي يضمن لهم الوفاق أكثر من الخلاف، ومن ثم تجاوز الصراعات والحروب، يقول كانط: " **لابد لكل شعب، ليضمنه أمنه وسلامته، أن يطلب إلى الآخر أن يشاركه في نظام شبيه بالدستور المدني الذي يرى فيه كل واحد ضمانا لحقوقه: هذا النظام بمثابة ((حلف للشعوب))**"[2] ومن ثم فالحلف الذي يدعوا اليه كانط هو حلف عالمي، يقوم على التعاهد والاتفاق بين كل البشر المختلفين، والائتلاف بين كل الدول من أجل الوصول إلى إحلال سلام كوني دائم، ودولة عالمية شاملة[3].

كما نلمح فكرة الكونية عند الفيلسوف الألماني **هيغل** الذي عمد إلى ربطها بالتاريخ، وذلك من خلال الحديث عن "**الروح الكوني**"، فالروح بالنسبة اليه في رحلة زمنية، وفي سياق صيرورة نحو التحقق، وإذا ما قمنا بتتبع مسارها ومحاولة رصد حضورها عبر التاريخ فإننا سنلمح اتصالها بالحرية، ان الروح تصل إلى المطلق عند هيغل من خلال انفتاحها على حريتها، ومن أجل هذا فإن تقدم الروح في طريق الوحدة هو أيضا تقدم في الطريق إلى الحرية[4]. لذلك كانت الحرية بالنسبة اليه الدافع لتطور الروح وهنا نلمح بروز فكرة الكونية، ذلك لأن الروح عنده تقد وتتجه نحو الغير من أجل تحقيق ذاتها دون التماهي فيه، فهي تكشف عن ذاتها من خلال الغير وهذا ما أطلق عليه هيغل "**وحدة الروح**"[5].

---

[1] كانط ايمانويل: مشروع للسلام الدائم، المرجع السابق، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص51.

[3] المرجع نفسه، ص105.

[4] بدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984م، ص589.

[5] المرجع نفسه، ص589.

ان تتبع حضور الروح الكوني عند هيغل عبر التاريخ يكشف لنا أنها خلال سفرها تبرز وتتحقق عند شعوب معينة، وبالمقابل تضمحل وتتوارى عند شعوب أخرى، لذا حمل على عاتقه مهمة تتبع ملحمة الروح المطلق عبر تاريخ الحضارات، وهذا ما قاده إلى تقسيم التاريخ لمراحل ربط كل منها بمرحلة نمو الانسان، فالمرحلة الأولى هي مرحلة الطفولة، اذ تتعلق بالشرق وبالأخص المناطق الآسيوية، فالحرية موجودة غير أنها لم ترتقي بعد إلى مصاف الذاتية وذلك يعود إلى نظام الحكم الذي كان ملكي استبدادي، اذ يقول:" **ونحن نجد في الحياة السياسية في الشرق حرية عقلية متحققة تعمل على تطوير نفسها دون أن تصل إلى مرتبة الحرية الذاتية، فتلك هي طفولة التاريخ**"[1].

لتأتي المرحلة الثانية والتي تتعلق بالمجتمعات اليونانية، فمعها تبدأ الحرية في الظهور والاتصال بالذاتية، اذ بدأ الفرد في هذه المجتمعات ينظر إلى نفسه باعتباره كوني، وذلك يعود إلى أن الحكم لم يعد مثل ما كان في المرحلة السابقة استبداديا، وانما عرف حرية وتعددية في الطبقات دون استبداد وطغيان، وعلى هذا الأساس كنا يؤكد هيغل "**اذا ما واصلنا عملية مقارنة التاريخ بأعمار الإنسان الفرد، لكان علينا أن نقول أن هذه المرحلة هي مرحلة الصبا في التاريخ، فلا نجدها تعبر عن الهدوء والارتكاز المميز للطفل، وانما هي خاصة بالشجار والعراك**"[2].

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الدولة الرومانية التي لا تمثل ترديدا ومحاكاة لدولة الأفراد التي كانت عليها دولة المدينة في أثينا، ولا دولة الحاكم الواحد المستبد التي كانت في الشرق، وانما هي المرحلة التي تم فيها العمل والسعي إلى غاية سامية وهي دمج الفرد في سياق الجماعة ولذلك "**هي الجهد الشاق الذي يبذله التاريخ في رجولته**"[3].

وفي النهاية يصل النمو الإنساني لكماله مع العالم الجرماني، وهذا ما يمثل المرحلة الرابعة، التي تشكل آخر محطة يصل اليها الروح المطلق، وهنا يصبح الإنسان حرا لكونه انسانا، فالروح الكوني لا يتجلى ويتحقق الا عند الجرمان، وقد ربطها بمرحلة الشيخوخة، ولكن ليس من زاوية الهوان، ذلك أن شيخوخة الجسم والروح عنده ليستا واحدة، اذ يقول: "**وإذا كانت الشيخوخة في الطبيعة تعني الضعف والهرم، فان شيخوخة**

[1] هيغل: العقل في التاريخ، تر: امام عبد الفتاح امام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2007م، ص190.
[2] المرجع نفسه، ص192م.
[3] المرجع نفسه، ص192.

الروح تعني نضجها وقوتها الكاملة التي تعود فيها إلى الوحدة مع نفسها، لكن في طابعها المكتمل النمو بوصفها روحا"[1].

ومن هذا المنطلق عبّر هيغل على موقفه من مشكلة الكونية، فالروح المطلقة المسافرة عبر الكون نجد أنها تتحقق عند الشعوب التي صنعت التاريخ، ولذلك أطلق عليها تسمية الشعوب التاريخية، فهي فقط تعايش الكونية وبالضبط الشعوب الألمانية. أما بقية الشعوب الأخرى لم تتمكن من صناعة التاريخ وبالتالي لا تتحقق فيها الروح الكونية لأنها شعوب لاتاريخية.

ولذلك فحضور الكونية في الفلسفة الحديثة لم يكن بنفس التناول عند كل الفلاسفة، بل أننا نلمح شق شخصها بمفهوم الكونية الإنسانية الكبرى الشاملة لكل الأجناس والمجتمعات الحضارية، باعتبارها تعود في النهاية إلى أنسنة واحدة. وبالمقابل شق آخر تناولها باعتبارها أقرب إلى العولمة التي تسعى إلى اذابة الذوات الأخرى أي الذوات الأقل والأضعف، في ذات واحدة هي الأقوى، وذلك حتى يسهل توحيد الجميع وابعاد الشتات عنهم، بغض النظر عن هذه الدولة، أمريكية كانت أم ألمانية...

لذا سنلمح مساعي المفكر وعالم الاجتماع الفرنسي إدغار مورن فيما بعد والتي تروم إزالة اللبس القائم بين الكونية في مفهومها الإنساني العام الشامل الكوكبي الذي جاء مؤكدا عليه ومناديا به، وبين الكونية التي انحصرت في مجال خاص واقتصرت على فئة وقوة وجماعة معينة فحسب.

2- موران والهوية الكوكبيّة:

لطالما عتميزت فلسفة إدغار موران بأنها فلسفة "كوكبية" اذ استحدث هذا المفهوم ساعيا بلوغ ثقافة كونية شاملة تحكم هذا الكوكب ككل، ولقد وقع اللقاء عنده بين الكونية والكوكبية على مستوى الإنسانية، ذلك أن الإنسانية بالنسبة إليه تعايش في هذا العصر حالة من الضبابية، أين أضحى الفرد يعاني من التشرذم والتلاشي الهوياتي بفعل الوحشية والبربرية التي قادت اليها التقنية، لذلك نحن اليوم أمام أزمة عالمية هي أزمة الإنسان، إذ علينا أن نعرف ونعي الإنسان، ونعيد ميلاد إنسانية جديدة هي الإنسانية الكوكبية.

والبحث على هذا الإنسان عند موران لا يعني إبعاده عن الكون، بل العكس من ذلك لابد إعادته إلى أرضه وكوكبه أي كونه، اذ يقول:" **((من نحن)) هذا التساؤل غير منفصل عن ((أين نحن)) ((من أين أتينا))، و((إلى أين نحن ذاهبون))؟ لا تعني معرفة الإنسان فصله عن الكون، بل تحديد موقعه فيه".**[1]

[1] هيغل: العقل في التاريخ ، المرجع السابق، ص194.

ان الإنسانية عند موران هي نسيج من الأفراد، وهم يمثلون جزء لا يتجزأ من الكون، ولذلك فالعلاقة هي علاقة الجزء بالكل، فالأفراد كأجزاء يجتمعون على كوكب واحد في سياق الكون اذ يؤكد: "**إننا في الوقت ذاته، كائنات كونية وأرضية...يجب أن نعلم أن كوكبنا يسح في الكون...وبوصفنا كائنات حية من هذا الكوكب فإننا مرتبطون بشكل حيوي بالمحيط الحيوي الأرضي، يجب الاعتراف بالضرط الفيزيائي والبيولوجي لهويتنا**"[2] فالكون عبارة عن مجال ضخم يضم عدد كبير من الأجرام والكواكب تعد الأرض واحدة منها، ولذا فمادمنا ننتمي إلى الأرض، فنحن كذلك جزء من الكون بأكمله.

إن التقاء الكوكبية بالكونية عند إدغار موران كان في البداية على المستوى الفيزيائي، على اعتبار أن الأرض جزء من هذا الكون الهائل، وكما يحيلنا الكل إلى الجزء كذلك يتم العكس، أما نقطة الالتقاء الثانية وهي الأهم فترتبط بالمستوى والصعيد الإنساني، ذلك أن الجهود والمساعي كلها تصب في قالب شمولي يتمثل في أنسنة الإنسانية من خلال توحيد الجهود البشرية وبالتالي المناداة بمطالب كوكبية كونية أي عالمية، لا تقتصر على فئة معينة مهيمنة، وإنما تضم الجميع تحت راية العدالة.

لقد أشار موران الى الكوكبية وتحدث عنها بشكل مفصل عندما ربطها بالإنسانية، مقدما لها صورة واضحة جليّة، فقد جعلها تتوسط انسانيتين احداهما حالية حداثية، والأخرى مستقبلية هي الإنسانية المطموح بلوغها.

ان الإنسانية ومنذ بدأ التاريخ كانت تعايش الانفصال بين أفرادها، والدليل في ذلك هو ابتعاد القارات وانشطارها عن بعضها البعض، وهو ما أطلق عليه موران **بالتشتت الكوكبي**.[3] غير أن الأمر تغير مع مطلع القرن 16م اذ انطلق عصر يتسم بالكوكبية، وذلك من خلال ربط التواصل بين القارات، وتشجيع نقل الثقافات بين الجميع، وقد استمر الأمر إلى غاية القرن 20م الذي أذعن ميلاد عصر حديدي كوكبي[4]، يمثل عصر الأزمات، وذلك في الحقيقة يعود إلى التقدم الهائل الذي شهدته الإنسانية من خلال العلم والتقنية، فقد شكل هذا التقدم سلاح ذو حدين، اذ ساعد البشرية من ناحية وزودها بكل ما من شأنه كشف المجهول

---

[1] موران ادغار: النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، تر: صبحي هناء، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2009، ص33.

[2] موران ادغار: تربية المستقبل (المعارف السبع ضرورية لتربية المستقبل)، تر: لزرق عزيز والحجوجي منير، دار توبقال للنشر، اليونسكو، الدار البيضاء-فرنسا، ط1، 2002م، ص47،48.

[3] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر سابق، ص58.

[4] موران ادغار: الى أين يسير العالم، تر: العلمي أحمد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2009م، ص47.

وتسهيل الحياة وتحقيق التطور فيها، غير أنه من ناحية ثانية خلق أثار وأمراض لا يُحمد عقباها، فقد أنتج وحشية ساهمت في تأزم الكوكب: "**إن التقدم يعيش اليوم أزمة على مستوى كل مجتمع، وبطبيعة الحال على مستوى مجموع الكوكب**"[1].

. لقد حققت الحضارة نتائج معتبرة جعلت العقول منبهرة، غير أنها في نفس الوقت دفعت ضريبة ذلك النجاح وتلك النتائج عندما سقطت في زاوية الاحتضار أين طالتها أمراض عديدة بفعل التقنية، التنمية، الفردانية... فقد ساهمت ككل في دفع الإنسانية نحو العنف المجنون والموت الكبير، ومن الضروري بل الواجب إيقاف مسيرتها نحو هذا الموت[2]، فالإنسان أصبح يعاني التلاشي وذلك جراء ما نقل له بفعل التقدم، وما تم منحه إياه من طرف العلم من فرحة لفترة ثم حزن وتدمير فيما بعد. لقد عززت الحربين العالميتين إلى جانب الحرب الباردة تمزيق الإنسانية، وأعانت التقنية عملية قيادتها نحو فنائها، فلم تعد الإنسانية تملك في وجودها إلا ذلك الجانب المادي الفيزيولوجي، أنا انسانيتها فقد اضمحلت، فالإنسان عند موران:" **مازال مجزءا ومقطعا لذا فقدنا إمكانية النظر اليه كوحدة مركبة**"[3] اذ أضحى في هذا القرن ذو بعد أحادي، فإما النظر اليه على أنه كائن عاقل فقط، أو أنه صانع فحسبأ أو اقتصادي...ولم يعد ينظر اليه على أنه كائن كامل متكامل الجوانب، أنه كائن مركب، وذلك إنما يعود إلى الغربة التي خلفها العلم والتي ألقت بهذا الكائن وتركته يتخبط داخل دوامتها، اذ يقول: "**اننا أطفال الكون والحياة والطبيعة، ولكننا تحولنا بسبب انسانيتنا وفكرنا وثقافتنا ووعينا إلى غرباء داخل الكون الذي هو فضاؤنا الحميمي**"[4].

والعولمة تمثل المرحلة الراهنة من العصر الكوكبي، فقد عملت من ناحية على تحقيق الوحدة اذ قضت على التعددية، وساهمت في لم شمل الجميع داخل نسيج كوكبي موحد، فلم يعد الخلاف هو المسيطر، وانما التمّ الخلاف تحت راية وقوة واحدة. غير أنها على الطرف النقيض عملت على تجزيئ هذا النسيج، وخلق نوع من النزاع بين أجزائه، عبر هيمنة تلك القوة وسيطرتها على المشهد العالمي، لهذا السبب لم يتجاوز القرن العشرين العصر الحديدي الكوكبي فحسب، بل توغل فيه أكثر[5].

---

[1] موران ادغار: إلى أين يسير العالم، ص36.

[2] المصدر نفسه، ص 73.

[3] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص 45.

[4] المصدر نفسه، ص 49.

[5] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص 63.

ان الاحتضار هو مخاض يعيشه العالم، إما فيه يحدث الزوال والموت، واما أن الإنسانية ستولد من جديد، وذلك لا يكون عند موران الا بسلاح "المقاومة"، مقاومة العدم والنضال ضد الوحشية، ذلك أن المستقبل أضحى مجهول، ولم تعد إمكانيتا التنبؤ ولا اليقين متوفرتين، فلا يمكن لنا أن نتوقع ونتنبأ مثل ما كنّا في سياق العلم سابقا، كما أن التقدم وان كان موجود إلا أنه يخضع للايقين وذلك بفعل التسارع والتنامي اللامعقول، الأمر الذي يفتح المجال أمام إمكانية الموت والزوال، ولذا لابد حضور المقاومة، لأن هذا الموت يهدد وجود الأفراد من ناحية، خصوصا بسبب السلاح النووي، كما يعمل على تهديد الفناء الخارجي والمتمثل في البيئة بالاندثار. وهنا الأزمة ليست قصر على عصر وجزء معين، وانما هي أزمة الجميع بل هي أزمة الإنسانية والكوكب ككل، فالمقاومة ضرورية والثورة لابد منها، **"إنها تحول جذري ستؤثر في الآن الواحد في الفرد، والعلاقات بينفردية، والنظام الاجتماعي للأمم–الدول، والذي سيعمل على بزوغ الإنسانية من حيث هي إنسانية"**[1] هكذا فقط يحصل التمهيد نحو تحول حضاري جديد ومرحلة إنسانية مؤنسنة.

ان الأرض التي تحوينا ونعيش فيها ليست كيانا ماديا فيزيائيا فحسب، بل تجمع الجانب المادي والإنساني معا، فهي خلية تتفاعل فيها أناسي عدّة، فالإنسان باعتباره كائن أرضي له مصدر من الطبيعة الحية، ولكن له مصدر آخر هو الوعي والفكر، يقول موران: **"ان الأرض ليست جماع كوكب مادي ومحيط حيوي وبشرية، بل الأرض كلية مركبة مادية وحياوية واناسية".**[2] هكذا يتم بزوغ فكرة **"الإنسانية الكوكبية الكونية"**، ذلك أن تفكيرنا الحالي يعاني من العطب والاختناق، والسبب يعود إلى الاختزال والتبسيط، إلى فصل الجزء عن كله، لذا ما علينا إلا التصدي لهذا الداء عبر اصلاح الفهم، وهي مهمة التربية، أي **تعليم الفهم بين الناس، والذي هو الشرط والضامن لتحقق التضامن العقلي والأخلاقي للإنسانية.**[3] فالتضامن هو الأساس لإعادة الحياة الإنسانية الكوكبية، لأن الأرض لابد لها أن تكون عند موران مثل البستان الكبير الذي يشترك فيه جميع البشر، الاشتراك من جعله في أجمل صورة، وذلك لا يكون الا بوسيلة التعاون، فعوض أن أقول: **"سأمضي لأفلح بستاني"** علينا جميعا أن نقول بصيغة كونية عالمية: **"لنحاول أن نفلح بستاننا".**[4]

---

[1] موران ادغار: الى أين يسير العالم، المصدر السابق، ص83.

[2] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟، تر: حزل عبد الرحيم، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2012م، ص58،59.

[3] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص87.

[4] المصدر نفسه، ص144.

ومن ثمة فالطموح واحد وهو تحقيق الشمولية والعالمية بين الجميع، وهي الغاية الإنسانية الكوكبية الكونية التي أساسها ايقاظ الوعي بالمصير المشترك، مصير الأم وهي الأرض، فالأرض أمنا ونحن أبناؤها، وما علينا إلا أن نتحد، نتضامن، نتعاون، لأنه متى حصل ذلك نكون قد جسدنا وتعلمنا كيف ((**نكون هنا**)) أي كيف نعيش، كيف نتقاسم الأشياء بيننا، كيف نتواصل، وكيف نتوحد فيما بيننا.[1]

ان الوصول إلى الإنسانية الكوكبية، وبث الأمل في عودتها يكون من خلال مواطنة أرضية تعمل عليها الجماعة البشرية الكوكبية، تتجاوز التعارض الهوياتي إلى تعددية مندمجة داخل هوية إنسانية واحدة، هي **هوية الوطن . الأرض**، وهو الأمر الذي جعل المشروع الموراني يرفع شعار "هوية إنسانية كوكبية" مصرحا: "**إن الإنسانية واحدة ومتعددة معا، وان اثرائها في تنوع الثقافات، لكن يمكننا، وينبغي لنا، أن نصل الأناسي بعضهم ببعض، في الهوية الكوكبية الواحدة، فمتى صرنا حقا مواطنين عالميين نتقاسم ثقافة واحدة بمئات الورود صرنا متنبهين ومحترمين للمواريث الثقافية**"[2].

[1] موران اجغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص69.

[2] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟، المصدر السابق، ص105.

نتائج الفصل:

1– الانطلاق الأولي لأي مشروع فكري يقتضي على الباحث التعريج والضبط التام لأهم مصطلحاته، وهو الأمر الذي عمد موران إلى القيام به ضمن متون مختلف أبحاثه، ولعل ذلك يتجلى من خلال مؤلفه الرئيسي والشهير " الأزمة" الذي عبّر على روح فكره النقدي لفترة الحداثة، ولذلك بما أن اهتمامه بموضوع الهوية الإنسانية والسعي إلى مدّها بالإصلاحات وطموحات التغيير الكافية كان على الدوام شغله الشاغل، بل الإضافة التي أردفها إلى هذا الطموح تتجسد في نحته المتميز لمصطلح الكوكبية، الذي يعتبر ابداع واصطلاح موراني متميز لا سابق له، والذي يعبر على انفراده الخاص بطابع إصلاحي جديد صارم اليوم يمثل خير مرجع للفكر الغربي.

2– اذا كانت الهوية تدل على جوهر الفرد وخصائصه الثابتة القارة المتماهية، فإنها عرفت ترحالا وانتقالا متنوعا عبر مسارات الفكر الإنساني، ولعل أهم ميزة ارتبطت تتمثل في انفتاحها على الاثراء والتنوع، فإذا اتخذت طابع المطابقة والمماثلة في مراحل فكرية كلاسيكية وركزت على ضرورة التلاقي والتساوي بين العناصر، فإنها في مراحل فكرية لاحقة وخصوصا المتأخرة منها زعزعت هذا التماثل وطفقت تسير نحو الانفتاح والاقبال على التناقض، أي اخراج النظرة والاهتمام من البعد الواحد المغلق إلى أبعاد أكثر انفتاح واستيعاب للاختلاف مهما بلغت درجته.

3– ارتباط الكوكبية planitaire بادغارموران لا ينفي وجود تأسيس ممهد سابق لها تحت اصطلاح آخر، وهو الأمر الذي عبّر عليه مصطلح الكونية universelle والذي وضع للتأكيد على الاضفاء الشامل العالمي لملامح الإنسانية عبر نقلها من حيز الخصوصية المغلقة إلى ضم كلّي للخصوصيات تحت نفس اللواء شرط حفظ تنوعها، ولذلك فالانتقال الطس شهده المصطلح عبر مراحل التفكير المختلفة لا يشهد التغيير الكبير، وانما ركّز على نفس التصور العالمي الشامل، وهو الأمر الذي يرادف اليوم في الساحة الفكرية "العولمة"

غير أن الأمر المميز عند ادغار موران هو تفكيكه لطبيعة الاصطلاح الشوملي وتأسيسه على دعائم وجودية أكسيولوجية جديدة تتجاوز الحصر وتسعى إلى أنسنة وتغيير لحال الإنسانية عبر نقلها إلى مصاف أكثر كوكبية، مصاف تسمح بتقبل الوحدة والتعدد في سياق واحد، وتروم تفعيل التذاوت والتلاقي والتواصل بين الناس.

الفصل الأول: الحداثة وتصدعات عقلانيتها التبسيطية

المبحث الأول: الحداثة بين المبادئ ومفاعيلها العكسية

- ✓ **أولا: الإحاطة المفاهيمية بالحداثة ومبادئها**
- ✓ **ثانيا: المفاعيل العكسية لمبادئ الحداثة**

المبحث الثاني: قلق الحداثة وانتقادات موران لعقلانيتها

- ✓ **أولا: القلق الحداثي قلق حضاري**
- ✓ **ثانيا: عقلانية الحداثة في ميزان النقد الموراني**

المبحث الثالث: منظومة التبسيط ومساءلة موران النقدية لها

- ✓ **أولا: التبسيط ومبادئه**
- ✓ **ثانيا: نقد موران لمنظومة التبسيط**

لقد تعالت الأصوات المنادية في المجتمعات الأوروبية بضرورة تحطيم أصنام اللاهوت واحلال العقل والعلم محلّ الله، مذعنة بذلك ميلاد فلسفة جديدة تطلق العنان للإنسان وتزيل عنه قيود العبودية، بذلك فقط أشرقت شمس الأنوار على العصور المظلمة، وتنصبت الحداثة كمرحلة طاغية أعادت الاعتبار للوغوس بتحرير قدراته وتوجيهها نحو الإنتاج والاكتشاف من خلال التأمل والبحث، ولهذا فالحداثة مثلت مختلف التحولات التنموية التي شهدتها المجتمعات عبر مختلف المجالات (صناعية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، تقنية...) متجاوزة النزعة الميكانيكية التي عرفتها الفترات الكلاسيكية السابقة.

لذا فقد شكّل التقدم عمود الأساس ضمن هيكلة الحداثة باعتباره سيرورة نحو التغيير وثورة تجاه التجديد الدائمين، ولأنها _الحداثة_ كمرحلة ومنظومة لم تنشأ من العدم فقد استندت على جملة من الأسس والشروط مثلت لها خير دعامة على غرار العقلانية، الفردانية، الحرية...

غير أن الملاحظ لمسار التطور الحداثي يلمح أنه مثل ما انفتح على الأبداع والرقي والتغيير البنّاء، انفتح بالمقابل على حالة من الضبابية، أين أصبح المشهد الراهن غير قابل للرؤية والمعاينة، وذلك بفعل انحراف مسار مبادئ الحداثة وارتداد مفاعيلها بشكل عكسي، هنا فقط أصبحت الحياة على كوكب الأرض غير صالحة، وأصبحت الإنسانية تعاني من شطط وتشرذم هوياتي نتيجة انتشار السلاح النووي وازدراء المحيط الحيوي، من منطلق منح الكائن الإنساني القدرة والقوة على التحكم والسيطرة في كل شيء وبالتالي إمكانية القضاء حتى على ذاته.

ولعله الأمر الذي استقطب اهتمام مفكري هذه الفترة وأبرزهم إدغار موران الذي شخّص أزمة ضياع الهوية الإنسانية بسبب مآلات العقلانية التي وحّدت شكليا بين الذوات في حين ضمنيا نصّبت نوع منها مركزا بمنحها السيادة والاستقلالية، وبالمقابل جعلت باقي الذوات هوامشا بفرض التبعية والخضوع عليها، كل ذلك وفق منطق التبسيط والاختزال الحداثي.

المبحث الأول: الحداثة بين المبادئ ومفاعيلها العكسية

أولا: الإحاطة المفاهيمية بالحداثة ومبادئها:

1- مفهوم الحداثة: La modernité

ان الحداثة كمفهوم لم يضبط محتواه بشكل جليّ واضح، بل تعذر الإمساك به ولذلك فقد غاص في الغموض، ذلك أنه لا ينحصر في التحديد الزمني كحالة طارئة راهنة، وانما يتعدى ذلك إلى تشابك مفاهيمي فلسفي يتعلق بكل ما هو أنطولوجي من حضور انساني وما يصاحبه من إشكاليات وجودية. ومع ذلك تُضبط الحداثة بأنها:

1-1 لغة:

في اللغة العربية مشتقة من الفعل الثلاثي "حدث ح د ث" اذ أوردها ابن **منظور** في معجمه لسان العرب " الحديث نقيض القديم، والحُدوث نقيث القُدمة، حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة، وأحدثه هو فهو محدث وحديث، وكذلك استحدثه"[1]

وبهذا المعنى فالحداثة تطلق للإشارة على كل ما يتضمن التحديث أي احداث تغيير على وضع أو حالة قديمة بنقلها إلى مستوى يتميز بالجدة.

أما في اللغات الأجنبية فهي كلمة مشتقة من الأصل اليوناني "Modernus "، التي ترجمت إلى الفرنسية بصيغة الحديث Moderne،[2] وهي صيغة وظفت تاريخيا بتوقيت أقدم من صيغة الحداثة Modernité ذلك لتمييز الحاضر الذي أضحى معترض عما هو قديم وثني سواء كان يوناني أو روماني، أي الميل إلى الاهتمام بالانطباعات الراهنة بلا حكم على الماضي وبلا تفكّر فيه.[3]

[1] ابن منظور: لسان العرب: المرجع السابق، ص796.

[2] صليبا جميل: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص454.

[3] لالاند أندري: الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص822.

أما لفظة Modernité فقد استخدمت بالمعنى الزمني في وقت متأخر من العصر القديم تقريبا في منتصف القرن 19م[1]، الأمر الذي يفسر سبب احتشام واختصار حضور المعنى الخاص بالكلمة بين طيات القواميس والمعاجم في الفترات التي سبقت هذا القرن أين تمت الإشارة اليها فحسب دون توسع.

1-2 اصطلاحا:

لقد شخصها **محمد سبيلا** بأنها ظهور ملامح المجتمع الحديث بدرجة معينة من التقنية والعقلانية والتعدد والتفتح،[2] وبالتالي فهي تدل على مختلف أنواع التقدم التي شهدتها الحضارة الغربية بفعل التحرر من سلطات الكنيسة، والرقي بالوعي، الاقتصاد، السياسة ومن ثم نقل المجتمعات الأوروبية من حالة التبعية إلى حالة الاستقلال والابتكار، ولا يعني ذلك بأنها بقيت منحصرة في العالم الغربي، بل أخذت في الامتداد والتوسع إلى مختلف أنحاء العالم مادامت تقوم على النهضة بالعقل نحو التجديد.

وهو ما جعل جان بودريار* Jean boudrillard يوردها بكونها "**ليست مفهوما سوسيولوجيا ولا مفهوما سياسيا، وليس بالتمام مفهوما تاريخيا، بل هي نمط حضاري خاص يتعارض مع النمط التقليدي، أي مع كافة الثقافات السابقة عليه أو التقليدية، فمقابل التنوع الجغرافي والرمزي لهذه الأخيرة تفرض الحداثة نفسها على أنها شيء واحد متجانس، يشعّ عالميا انطلاقا من الغرب**"

وبالنسبة **لإدغار موران** فكلمة الحداثة تطلق على **الشيء الطارئ قريب العهد**[3]، أي أنها تتعلق بكل ما هو جديد يمثل ثورة على كل ما يطرأ بمعنى أنها لا تنحصر في التمرد على الفكر الكنسي فقط، بل هي في حركة مستمرة دائمة بتجديد دون تماثل، أي انها ثورة حتى على نفسها.

وبهذا تكون الحداثة زمنيا هي الوقت الراهن والحادث الطارئ، أما فلسفيا فهي تلك الثورة التي استهدفت بناء مرحلة جديدة تتجاوز كل ما هو سابق باعتباره جسّد للتخلف والتبعية، كل ذلك نحو ايقاظ

---

[1] هابرماس يورغن: القول الفلسفي للحداثة، تر: الجيوشي فاطمة، منشورات دمشق، دط، 1995م، ص17، 18.

[2] سبيلا محمد: مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009م، ص123.

* هو فيلسوف فرنسي وعالم اجتماع وعالم اجتماع ثقافي 1929م/2007م. اشتهر بتحليلاته المتعلقة بوسائط الاتصال والثقافة المعاصرة والاتصالات التكنولوجية.

[3] موران إدغار: هل نسير الى الهاوية؟، المصدر السابق، ص21.

الوعي من سباته وتوجيه طاقاته للنهضة والتجديد، هنا فقط يصبح الانسان سيّدا على الطبيعة وسيّدا حتى على ذاته، أي ميلاد إنسانية جديدة أساس تطورها هو العقل والعلم.

2- مبادئ الحداثة:

لقد انبنى المشروع الفلسفي الحداثي على جملة من الأسس والمبادئ شكّلت دعامة أساسية نحو التقدم، ومثلت التحول الكبير على مستوى العقل الغربي من منطلق نقله من الستاتيك إلى الديناميك والتمكن في النهاية من كشف قوانين الطبيعة وبالتالي السيطرة عليها وتطويعها لصالح الانسان، ويمكن اجمال أسس الحداثة الغربية في:

2-1 الذاتية (الفردانية- النزعة الإنسانية):

يطلق عليها كذلك تسمية وحدوية الذات أو وحدوية الإنسانية، وهي مبدأ يدل على مركزية الذات الإنسانية ومرجعيتها وفاعليتها، وحريتها وشفافيتها وعقلانيتها[1] بمعنى أن الذات في الفلسفة الحديثة أصبحت هي محور الاهتمام، والانسان أضحى هو حجر الأساس باعتباره الفعال في عملية الابتكار والابداع، هنا فقط تنبثق فلسفة جديدة مناهضة لفلسفة اللاهوت وهي فلسفة الذات الإنسانية، فالإنسان موجود منذ القدم أما ذاته فلم تظهر بشكل جليّ وبتجلي وجودي قيمي إلا مع الفلسفة الحديثة، اذ من خلالها فقط أصبح الانسان ذاتا، وهو الأمر الذي نلمحه في نص **هيدغر** الذي يرجع لسنة 1938م والذي ضبط فيه مفهوم الذاتية بأنها:"... **ذلك التأويل الفلسفي للإنسان، الذي يفسر ويقيم كلية الوجود انطلاقا من الانسان، وفي اتجاه الانسان"**[2]

ان الذات الإنسانية وفي فترة قبل حداثية انفتحت على حالة من التهميش والاقصاء واللااهتمام فكانت الأنا فيها مندمجة مطمرة ضمن بوتقة النحن، الأمر الذي أعدم صيت الذات وطرد حضور الأنا، لذا كن من اللازم إعادة احياء الوجود الذاتي وذلك عبر منح الأنا استقلاليتها، لأن هذا وحده ما يعيد لها ثقتها بنفسها ووعيها، وهو الأمر لذي عملت عليه فلسفة الحداثة، بدأ بأب الفلسفة الحديثة رونيه **ديكارت** الذي أولى

[1] سبيلا محمد: الحداثة وما بعد الحداثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء النغرب، ط1، 2000م، ص19.

[2] الدواي عبد الرزاق: موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر(هيدجر- ليفي ستروس-ميشيل فوكو)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط1، 1992م، ص43.

اهتمام كبير بالإنسان وأعطاه مكانة مرموقة من خلال تأليه الوعي وذلك من خلال عبارته الشهيرة " **أنا أفكر إذا أنا موجود**" فالأنا وبدءا من هذا التصريح أصبح لها وجود فعلي حقيقي مستقل غير تابع لأي سلطة ثانية، بل أصبحت واعية مفكرة وموجودة في ذات الوقت، عوض أن تكون مفتقرة إلى اتخاذ أي قرار ومترددة في الاستعانة بأي فكر، ولذلك فمع الكوجيتو الديكارتي أصبحت الذات هي المركز الأساسي للحقيقة، وبالتالي تم انزال الاهتمام من السماء إلى الأرض، وعاد بذاك الانسان كما كان في اليونان القديم مقياس كل شيء.

ان انسان الفترة الحديثة تمكن بفعل الذاتية من استعادة ثقته بنفسه، وبالتالي الانفصال عن التبعية لأي سلطة ثانية بل وعيه ويقينه، أصبحا يُستمدّان من ذاته، وهنا تم تعزيز عالم الذات ككيان مستقل عن الآخرين مهما كان نوعهم وتأثيرهم، فلا هم يمثلونه وينوبون عنه ولا هو ممثل لهم وهذا هو المقصود بالفردانية أي الفرد في ذاته باستقلال أفعاله وأحقيته باتخاذ قراراته في تقبل ما يناسب قناعته ووعيه، وبهذا فقط يموت الإله ويتأله الإنسان، " فالإنسان لا يمكنه أن يصبح فردا حرّا ومستقلا بنفسه على نحو حق، ان تتحقق له الذاتية المطلقة إلا إذا كفّ عن تصور عالم الألوهية، أي عندما يصير انسان نفسه لا انسان الهه وفرد ذاته لا فرد ربّه."[1] ومن هذا المنطلق فالذاتية والنزعة الإنسانية شكلت القاعدة التي تأسست عليها فلسفة الحداثة من خلال جعل الانسان المركز واعتماد الوعي كمرجع، الأمر الذي عاد بالتميز على هذا الكائن ودفعه نحو الابتكار ومكّنه من بلوغ شتى أنواع المعارف باستقلالية، فتأنسن الانسان وعاد الايمان به بعد كفر وظلام طويلين.

2-2 العقلانية:

لا يمكن الحديث عن الحداثة دون عقلانية، ولا الإحالة إلى العقلانية دون حداثة، ان العقل الحديث غدا أداة للحقيقة وذلك لكونه تمكن من الكشف عن الفوضى التي كانت الإنسانية الغربية تتخبط فيها في عصور الظلمات، فعوض أن يبقى الانسان أعمى يسير عاصبا عينية، مكنه العقل في هذه الفترة من الابصار، التأمل، التفكير والنقد.

ولذلك فالعقلانية هي ركيزة الحداثة ودعامتها الأساسية، وهي تمثل إعطاء الأولوية للعقل في تولي مختلف الشؤون وذلك لما له من ملكات ترتقي به إلى بلوغ الحقيقة وبالتالي الايمان بفاعليته في انتاج مختلف أنواع المعارف، وكما أشرنا سالفا فالعقلانية انطلقت بشكل تنويري مع ديكارت من خلال الكوجيتو الذي

[1] سمير حميد: خطاب الحداثة قراءة نقدية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الإصدار 15، الكويت، ط1، 2009، ص42.

صرح بشكل واضح حول أهمية الوعي ودور الكبير في اخراج الإنسانية من الظلمات السابقة التي كانت تتخبط فيها، ولذا العقلانية هي صورة ثانية مكملة للذاتية والنزعة الإنسانية التي سعت بالإنسان إلى النهضة والرقي عبر مختلف المجالات، بل وصلت إلى حد تحرير الطبيعة البشرية على حد تعبير **آلان تورين*** **Alain Toutine** من السلطة الدينية التي طمستها وسحقتها، فكان بذلك العقل خير سلاح وأداة لخدمة مصلحة الأفراد.[1]

ان العقل ومهما كان لمحتواه وبعده النظري من أهمية بالغة في تحصيل العلم، إلا أن قيمته الجوهرية تتحدد باعتباره أداة فعالة في التأثير واحداث التغيير، والانتقال من الاهتمام بمطابقة الطبيعة إلى التركيز على تشييد منظومات كلية شاملة لعديد الظواهر[2]. ولذلك فاتخاذ العقلانية كبند جوهري في الحداثة أدى إلى عقلنة شاملة لمختلف نواحي الحياة، وذلك عبر الانطلاق مما فات واجراء التغيير عليه، نحو فهم ما هو آني، والأهم الاستعداد لاستقبال ما هو قادم في مستقبل الإنسانية.

- فعلى الصعيد العلمي تمثلت العقلنة في الاعتماد على العقل البرهاني ما أدى إلى انفصال العلم عن اللاهوت، وقيام النموذج الرياضي كمقياس لمعلوماتية ومنهجية الفكر.[3]
- وبالنسبة للجانب السياسي فالعقلنة مثلها ميكيافيلي في فكرة الانفصال عن ميتافيزيقا التفكير في تدبير شؤون الدولة من جهة، والانفصال عن الأيديولوجيات الدينية من جهة أخرى، ومعنى ذلك منح السياسة صلاحية معالجة أمورها بعقلانتها الخاصة.[4]
- وعلى الصعيد الديني تجسدت العقلانية في قراءة النصوص المقدسة قراءة معقلنة بما يناسب معطيات العص، من خلال الابتعاد عن التفسيرات المنحرفة.[5]
- لترتبط العقلنة التاريخية بالقراءة الواعية للتاريخ لأنها وحدها تخوّل للشعوب أو للأمم إمكانية القبض على معطياته المتنوعة وتوجيهها نحو إرادة المستقبل. [1]

* هو عالم اجتماع فرنسي 1925م/ 2023م، يُعد من أهم علماء الاجتماع المعاصرين.

[1] A.Touraine , critique de la modernité, les éditions fayard, paris,1992,p22.

[2] الجابري محمد عابد: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط8، 2002م، ص24.

[3] التريكي فتحي، التريكي رشيدة: فلسفة الحداثة، مركز الانماء القومي، بيروت، دط، 1992م، ص29.

[4] المرجع نفسه، ص30.

[5] المرجع نفسه، ص31.

ان ميل العقل إلى محاولة التغلب على العقبات التي تعيق اكتساب المعرفة العلمية يتجلى بشكل أوضح في الفلسفة الوضعية التي أنتجت قطيعة معينة مع الأفكار الكنسية مؤكدة على أهمية المعرفة العلمية المعقلنة في جميع جوانبها، وغي هذا الصدد ظهرت الحداثة أيضا كنتاج للمنهج العلمي التجريبي الذي ظهر في شكل العقلانية الأداتية، التي أخذت في الاتسام بالموضوعية والتماسك، وأخذت تحتل مكانة مرموقة بارزة ضمن حقول مجالات المعرفة.[2]

- **أسس (مقولات) العقل الحداثي:**

ان العلم الكلاسيكي قد انبنى على فكرة أن عالم الظواهر معقد ومن الضروري والواجب القيام بحلّه وفكّه وذلك لا يكون إلا من خلال الاستعانة بمبادئ بسيطة وقوانين عامة، ولذلك كان التعقيد مظهر للواقع، والبساطة جوهر له، ولعل أبرز ما يميز هذا النموذج المبسط هو جملة مبادئ على غرار العمومية، الاختزال والانفصال، الأمر الذي يحدد وضوح المعرفة العلمية الكلاسيكية، فهو مبدأ أثبت نجاعته بشكل ملحوظ في تقدم الفيزياء من جاذبية نيوتن إلى النظرية النسبية لآينشتاين وتمكن الناس بفضل الاختزالية البيولوجية من تصور الخصائص الفيزيائية والكيميائية لجميع الكائنات الحية.[3]

لذا فالأساس الذي يقوم عليه العقل العلمي الحداثي هو مبدأ التبسيط الذي ينبع من فكرة أن العالم الخارجي لا يمكن تمثله الا من خلال مستوى واحد فحسب هو المستوى الأبسط. واللافت للانتباه هنا أن العقل سيمارس سلطته وهيمنته على العالم الواقعي الموضوعي من خلال التستر بستار التبسيط، ذلك بالاعتماد على منهج التحليل أي تحليل الواقع وتفكيكه من أجل انتقاء ما يناسب منه فقط. وما يجب الإشارة اليه هو أن أنموذج العلم الحداثي يقوم على دعائم الحذف والاقصاء، الاختزال والاستقلال المطلق.[4] وبذلك فقد أصبح التبسيط هو البراديغم الذي اصطبغت به الحداثة على حد تشخيص ادغار موران، الذي استعار هذه التسمية من **توماس كوهن*** Thomas Samuel Kuhn اذ يقول: "**االبراديغم هو أيضا شيء لا**

---

[1] المرجع نفسه، ص31.

[2] وطفة علي: مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فكر ونقد، العدد 43، نوفمبر 2001م، 107، 108.

[3] Edgar morin, science avec conscience, edition du seuil, paris, 1990,p304.

[4] سعيدي عبد الفتاح: نقد العقل العلمي الحداثي عند ادغار موران، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26، سبتمبر 2016م، ص340.

* توماس صاموئيل 1922 / 1996 مفكر أمريكي أنتج بغزارة في تاريخ العلوم وفلسفة العلوم، كما أدخل إضافات وأفكار مهمة جديدة في فلسفة العلم.

ينشأ من الملاحظات، بل هو بطريقة ما أساس بناء النظريات، انه النواة الغامضة التي توجه الخطابات النظرية نحو هذا المعنى أو ذاك".[1] ويمكن تحديد أسس براديغم التبسيط التي اصطبغ بها العقل الحداثي على النحو التالي:

أ: التحليل:

ان التحليل هو منهج عام يراد به تقسيم الكل إلى أجزائه وردّ الشيء إلى عناصره المكونة له،[2] وهو المنهج الذي أقره ديكارت للتأكيد على مهمة العقل في تقسيم وتجزيئ المشكلات الكبرى إلى أجزاء صغرى وذلك من أجل فهمها والتمكن من حلها ومن ثم تبسيطها على قدر الإمكان حتى يتسنى توضيحها، أي أن نقسم كل مشكلة من المشكلات التي نبحث فيها إلى أكبر عدد ممكن من الأجزاء وعلى قدر ما استطعنا إلى ذلك سبيلا بغية التمكن من حلها بشكل أفضل[3]، فالذات ومن خلال هذا المنهج الديكارتي تتمكن من تحديد الحقائق عبر البحث والتفكير التحليل للواقع الذي يحيط به الشك والغموض، اذ لابد من تفكيكه إلى عناصره حتى يسهل حسب ما تراه وما تريده هي وبالشكل الذي تفضله.

ان أهم ما يميز التبسيط والتحليل هو الاعتماد على خاصيتي الفصل والاختزال وهي كلها كلمات مترادفة، فالفصل يتعلق بكل ما هو مرتبط من خلال تفكيكه أي احداث الهوة بين الأجزاء حتى يسهل الانتقال من المركب المعقد إلى المجزأ البسيط؛ أما الاختزال، فالاختزالية Reductionism تنطوي على أن هناك نوع من الحقائق الأقل جوهري من حقائق أخرى يمكن ارجاعها اليها، كأن نرجع الكيمياء مثلا إلى الفيزياء[4]. والمقصود من ذلك أن الاختزالية هي التركيز على ذلك الأمر الغامض المبهم في العالم المادي سواء كان شيئا أو حقيقة، والقيام بتحليله حتى الوصول إلى اليقين والتمكن من الفهم، فالاختزال هو مفتاح الوصول إلى الحقيقة.

---

[1] Edgar morin, ibid , p144.

[2] مدكور إبراهيم: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص40.

[3] René descartes: discours de la méthode, librairie de l.hachette et giv, paris, 1856,p14.

[4] وانبرغ ستيفن: أحلام الفيزيائيين بالعثور على نظرية نهائية جامعة شاملة، تر: السمان أدهم، مكتبة دار طلاس، دمشق، ط2، 2006م، ص51.

ليتمّ الوصول بعد ذلك إلى التعميم الذي ينص على ضرورة التوليف والجمع بين العناصر التي سبق تحليلها، أي رد ما قمنا باختزاله وتفكيكه إلى عنصر واحد عام وكلّي، ولذلك يعرف التعميم كذلك بمبدأ الكلية، وذلك لأنه يرد الكثرة الموجودة في العالم الواقعي إلى وحدة والأجزاء المتعدّدة إلى كل، فالذات هنا ستركز على كلّها وترفض بالمقابل أي متعدد متنوع متجزئ يخالفها، وهذا ما ستكون له انعكاسات لا يحمد عقباها.

أ **النظام:**

يتعلق النظام في الفلسفة الحديثة بترتيب واحداث التركيب بين كل الأجزاء التي سبق من قبل تحليلها، وذلك وفق مبدأ ومنطق تسلسلي تدريجي بدءاً بالأمور السهلة البسيطة ووصولا إلى أكثرها ترتيبا،[1] فالنظام يؤكد على أن الذات عاشت فترات مطولة وهي تتخبط في الفوضى، ولذلك لابد في النهاية من وصولها إلى مرحلة أساسها التراتب بين مختلف الأجزاء، فالذات تتوصل إلى احداث النظام بنفسها بين مختلف الأفكار والحقائق التي طالها الضباب سالفا، وذلك بعد تحليلها واختزالها إلى ما هو أبسط أي تفكيك الكل إلى أجزاء منفصلة حتى يتسنى في النهاية الوصول إلى تكوين صورة نهائية مطابقة لمنطلقاتها ومقدماتها، وبالضبط الوصول إلى ما يطابق ذاتها بالابتعاد عن كل ما يناقضها وهذا فقط ما يجعلها السيدة والمالكة لكل شيء.

إن النظام كمفهوم ينطلق من الوصف الحتمي والآلي للعالم، حيث ينظر للفوضى على أنها نتيجة لجهلنا المؤقت، ووراء هذه الفوضى الظاهرة أي اللانظام يكمن لامحالة نظام معين يحتاج إلى البحث والاكتشاف.[2] وهذا معناه نفي وتجاوز الفوضى وفق منطق الحداثة وتغييبها كحقيقة يمكن النظر اليها.

ب **المنطق:**

ان العقل في فترة الحداثة بقي وفي للطرح الأرسطي الذي يقوم على انطباق الفكر مع نفس، أي توافق الوعي مع ذاته وذلك من خلال مبادئ الاستقراء والاستنباط وعلى وجه الخصوص مبدأ الهوية الذي ينص على أن هو ذاته وعينه، أي هو هو، كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك في المدخل التمهيدي، والذي بدوره ينحلّ إلى مبدأين هما: عدم التناقض والثالث المرفوع، فعدم التناقض يقوم على احداث القطيعة المطلقة مع ما لا

[1] ديكارت رينيه: مقال عن المنهج، تر: الخضيري محمود محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1985م، ص144.

[2] موران ادغار: نحو براديغم جديد، تر: تيبس يوسف، مجلة رؤى تربوية، العدد29، ص119.

يوافق العلم، وبالتالي فكل ما يطابق العلم هو حقيقة وما عدا ذلك يعدّ خرافة، فهذا المبدأ يضبط العلم ويضع له أسس وقوانين واضحة مضبوطة بعيدة عن الشك والضبابية، أي لا رضا إلا عما هو مطابق موافق. وهذا ما يؤكده مبدأ الثالث المرفوع الذي يتجاوز أي وسطية بين الشيء ونقيضه، ذلك أن الوسطية تقتضي الشك والشك يخلل بقيمة وحقيقة العلم البيّنة.

ويمكن القول بأن هذا المبدأ الهوياتي السائد في هذه الفترة أتى من أجل التأكيد على جوهر العقلانية وقيمة الذات التي تم تهميشها لقرون، فكانت مطمسة ضائعة ضمن مسارات ودهاليز لاهوتية مظلمة، اذ لم تتمكن مع معرفة نفسها ولا حتى تحديد هويتها، وانما كانت منساقة خاضعة تابعة. وعلى هذا الأساس لابد من إعادة الاعتبار لها عبر تحديد هويتها بشكل واضح جلي، وهي الهوية التي تثق في كل ما يصدر عن العقل، وما يطابق الفكر فقط دون إيلاء الاهتمام بالواقع وما فيه من ذوات أخرة، حتى وان حمل جانب من الحقيقة والصواب.

إن المنطق الهوياتي الذي أسسته أو بشكل أضبط عادت اليه الحداثة هو منطق يجهر بسلطة الذات وانفتاحها على ذاتها فقط ان لم نقل انغلاقها، ولذلك فهو منطق أحادي بامتياز أتى من أجل تجاوز التعدديات اذ يتجاوز في خطابه الآخر، ولا يقبل العيش والتعايش مع النقيض، بل يحتكر مختلف العمليات، وقد قام ادغار موران بتحديد سبب لهذا التمسك الشديد بالمطابقة والهوية المطلقة في هذه الفترة بالضبط و بالمقابل عدم الاكتراث للواقع، وذلك حينما أشار إلى أن العلماء وبعد ابعاد و تجاوز فكرة الاله عندهم لم يعد يتسنى لهم الايمان يه، لذلك وفي سبيل السعي إلى الشعور بالإيمان على الرغم من تواجدهم على سطح عالم مادي زائل، أرادو التعلق بما هو خالد وكامل.[1]

2-3 الحرية:

[1] موران ادغار: الفكر والمستقبل مدخل الى الفكر المركب، تر: القصوار أحمد والحجوجي منير، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2004م، ص61.

لا تقل الحرية هي الأخرى قيمة مقارنة ببقية المبادئ الحداثية، فهي تمثل كنه الكائن الإنساني الذي أضحى من خلال النقلة الحداثية صانعا لمصيره بنفسه حسب ارادته ونطاق أحلامه، لهذا تعلقت الحرية بالرغبة الإنسانية في هدم عالم الرقابة وتدميره بمختلف تجلياته وحدوده ومرتسماته.[1]

وبالتالي فالارادة هنا تصير هي المنبر الأساسي الذي يبني عليه الفرد والمجتمع ذاته، اذ أصبحت أهم أداة لتحريك عجلة الرقي الحضاري وذلك يعود لكونها تعمل على تعزيز التواصل بين الذوات الإنسانية، أي بين الأنا والأنت من خلال خاصية الاعتراف بكل ما يمايز الذات، ومد جسور التفاهم مع هذا المغاير لا القيام بنبذه وتجاوزه، وبالتالي الابتعاد عن كل ما من شأنه تجسيد التعالي والغلوّ.

ولعل فكرة الحرية ارتبطت بالفيلسوف الألماني **ايمانويل كانط** الذي حمل على عاتقه مهمة وضع دعائم مشروع الانسان الحر، وذلك عبر إزالة مفهوم الاستعباد والتبعية، وبالمقابل جعل التشريع خاصية إنسانية منبثقة من الإرادة الحرة، فالذات الإنسانية هي الوحيدة المشرّعة لنفسها والمسؤولة عن كل ما يصدر منها دون أي ضوابط، وهنا لا تبقى الحرية حبر على ورق ومبدأ دون تنفيذ، بل يتم تطبيقها على أرض الواقع عبر المؤسسات والتنظيمات المجتمعية.

ولذلك انطلاقا مما سبق ذكره عن مبادئ الحداثة الغربية يمكن القول أن هذه الأخيرة إنما انبنت على نظرة متجددة للحياة الإنسانية. نظرة قوامها احداث الزعزعة والخلخلة في كل ما تم اجتراره من قبل وذلك لأنه يمثل لحظة سقوط مُعدم في الميتافيزيقا واللاهوت الديني، وعلى النقيض تدعو إلى التأسيس الجديد للحضارة، انطلاقا من تأسيس جديد للذات التي تدرك وتعي بشكل متفرّد ذاتها، تجهر بفردانيتها، وتتفخر بعقلانيتها ضمن تحطيم لكل ما هوخاو من المعنى، بالمقابل إعادة انشاء معاني جديدة مغايرة وما لذلك من انعكاس على مختلف مجالات الحياة.

لكن هل سارت هذه المبادئ بالحداثة نحو مسار التقدم والتطور البنّاء أم أنها حادت على طريقها؟ وهل كانت كل مفاعيلها في السياق والمسار الذي وضعت من أجله منذ البداية؟

[1] وطفة علي: مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، المرجع السابق، ص105.

ثانيا: المفاعيل العكسية لمبادئ الحداثة

ان الحضارة الغربية الحديثة انفتحت بشكل لافت للانتباه على انتصار كبير وذلك بفضل أسسها ومبادئها، وما كان لذلك من ثراء فكري وتنوع معرفي وتقدم علمي هائل، غير أنها بالمقابل حادت عن مسار انتصاراتها وغدت بفعل عقلانيتها التي تنبأت بعالم مسالم سعيد، غدت سبب في التراجع الحضاري وأداة للتدمير والخراب والسعي للقضاء على كل شيء بما في ذلك الانسان، فهذا الأخير بعد أن استعاد مكانته واسترجع سيادته على الطبيعة لم يحسن استغلال عقله بالشكل الجيد، الأمر الذي انحرف به عن المسار السليم، وصار يتخبط في حالة من التشرذم والضياع والشك في كل ما تم تشييده في هذه الفترة التي عوض أن تسير إلى الأمام وتدفع بعجلة الحضارة الإنسانية نحو التقدم، سارت على العكس من ذلك في طريق جديد ملؤه التيه والضباب، وكل ذلك نتيجة مبادئ الحداثة التي أصبح يُنظر اليها كوصمة عار على الحضارة الغربية بعدما كانت نموذج للفخر ومصدر للمجد والشرف على حد تشخيص بول فاليري.[1] وقد شخص آلان تورين حالة الحداثة أنها نقلت الإنسان من الصمت إلى الضجيج، ومن جلاء العزلة إلى الضياع وسط الزحام، ومن استلام الرسائل القليلة وتبادلها إلى التشتت وسط الكوابل العديدة المنهمرة، ولذلك فعوض أن تنقلنا الحداثة نحو التغيير الإيجابي أخذتنا بعنوة من حدودنا الضيقة وثقافتنا المحلية وقامت بإلقائنا وسط دوامة الحرية والاستقلالية، سواء كانت على المستوى الفردي أو على الصعيد الاجتماعي. الأمر الذي جعلنا نعود إلى المعاناة والنضال مرة ثانية، لهذا كان انتصارها عزلة وعبودية للبشرية.[2] هذا الأمر كان الدافع الأساسي بعديد

[1] صديقي علي: الأزمة الفكرية العالمية نحو نموذج معرفي قرآني بديل، مجلة إسلامية المعرفة، السند 15، العدد 59، 2010م، ص25.

[2] تورين ألان: نقد الحداثة، تر: مغيث أنور، المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1997م، ص129.

المفكرين إلى حمل مطرقة النقد على المبادئ والأسس الحداثية، اذ انشقوا إلى تيارين: أحدهما ركز على الجانب السلبي فحسب من منطلق أن الأهداف التي وضعت من أجل بلوغها من طرف الحداثة لم يتم الوصول اليها، ذلك أن الحداثة انقلبت على مسارها ولذلك لابد من الثورة عليها باعتبارها سحبت الإنسانية نحو الانقراض، وعوض ذلك التأسيس لمبادئ جديدة مغايرة؛ أما التيار الثاني فقد اعتبر الحداثة مشروع يعتريه النقص، يتضمن سلبيات برزت نتيجة طغيان الانسان وعدم فهمه واستيعابه الجيد لمبادئها، لذا لم يحسن استغلالها، وعلى وجه التعيين التقنية، ولهذه الأسباب لابد من السعي إلى تتمة واكمال هذا المشروع.

ومع تباين نظرة التيارين، وتمايز مقاصد كل واحد منهما، إلا أن القاسم المشترك بينهما هو الانطلاق من نقد الحداثة وذلك لما انطوت عليه من انحراف عن مسارها، ولعل أبرز النماذج التي يتسنى الإشارة اليها:

➢ **نيتشه:** لا يمكن الحديث عن فترة الحداثة والأزمة التي غرقت فيها دون الإشارة إلى أحد أعمدة الثلاث إلى جانب فرويد وماركس، الفيلسوف الألماني فريديريك نيتشه* Friedrich Nietzsche الذي على حد تشخيص ميشال فوكو خير مدشّن للنقد الجذري للحداثة بل هو الأكثر جذرية[1]، فقد تمكن من إدراك ما آل اليه العقل الإنساني اذ أَضحى قوة معاكسة للطبيعة، فالحداثة عوض أن تسير بالإنسان نحو فهم العالم وإطلاق العنان لملكاته، دفعته إلى التخبط في الثبات والجمود بفعل عقله، الذي شكل له أبرز معيق. ولعله الأمر الذي حرك اهتمام نيتشه نحو قلب الموازين والمناداة بضرورة استبدال العقل باللاعقل، وفي ذلك دعوة إلى إعادة أنسنة الانسان من خلال العمل على تقويض ما حمله العقل من معنى سابق، واستبداله بمعنى مغاير قوامه الموافقة مع الطبيعة دون التسامي والتعالي عليها، بل على العكس من ذلك على هذا العقل أن يكون على مفاهمة معها من خلال تنظيمها وخدمته، ولذا فنيتشه اعتمد على نزعة لاعقلية أين حمل مطرقته الخاصة من أجل هدم أصنام العصر الذي عاش فيه.[2]

ان الحقيقة التي تفطن اليها نيتشه هي ضرورة الابتعاد عن فكر القطيع ومخالفة ما كان سائدا في فترته، فلم يكن على نفس نهج الذين عمدوا إلى تمجيد الحضارة الغربية من خلال التغنّي بإنجازات الحداثة وما منحته

* فيلسوف ألماني1844م/ 1900م، ناقد ثقافي، شاعر وملحن ولغوي وباحث في اللاتينية واليونانية .كان لعمله تأثير عميق على الفلسفة الغربية وتاريخ الفكر الحديث.

[1] عطية أحمد عبد الحليم: نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2010م، ص123.

[2] زكرياء فؤاد: نيتشه (نوابغ الفكر الغربي)، دار المعارف، مصر، ك2، 1966م، ص15،14،13.

من ارتقاء بالإنسان. بل على المخالف لذلك قام بالسير في طريق مناقض رسم معالمه بنفسه، وهذا ما جعل فكره متميز ويدل على تحليل عميق ووعي حقيقي بما يحصل فيلا راهنه، فالحكمة التي وصل اليها الانسان حسب رأيه هي حكمة باطلة زائفة، الامر الذي جعل عصر الحداثة عوض أن يكون عصر رقي وتقدم، صار عصر انحطاط وتخلف وتدهور على مختلف الأصعدة، ولعله الأمر الذي يدعوا إلى ضرورة وضع الحداثة في ميزان النقد من أجل الوقوف على البعد القيمي للعالم وللإنسان الحداثي على حد سواء، ذلك أن الحياة اعتراها الفقر، وصار يهتك بها الموت والتعب وهو السبب الفعلي في تفشي مظاهر الملل والتشاؤم.[1]

لقد أطلق نيتشه على الحداثة لفظة "البربرية الحديثة"، وكان ينادي على الحداثيين بـ"البرابرة المحدثين"، ذلك أن روحها بالنسبة اليه هي روح زائفة، عشوائية، سوقية جبانة، تمتاز بالغوغاء والانحطاط والدناءة وذلك تبعا للمجتمع الذي تجلت فيه، حتى انسانها أصابته اللعنة وطاله الزيف، ولذلك فقد غرقت في الظلام والتراجع ولا كاشف عن ضبابية مكامنها وكهوفها إلا مصباح نيتشه النيّر، باعتباره "ديوجين" الحديث الذي قام مثل "ديوجين الكلبي" القديم بالثورة على مجتمعه.[2]

يقوم مشروع نيتشه بالدرجة الأولى على نقد الأساس الذي قام عليه فكر الانسان وتصوراته، وفي ذلك عودة إلى الأحكام السابقة، وهو يقصد من ذلك الميتافيزيقا التي لابد من البحث في أصلها القديم بحثا أركيولوجيا أطلق عليه تسمية الجينيالوجيا التي من خلالها قام بتقويض مل ما هو ميتاطبيعي لاهوتي، والتشييد لما هو انساني، وذلك يتجلى من خلال فكرة العدمية التي تعرف كذلك بموت أو غياب المعنى، ذلك أنه بمجرد جهر نيتشه بفكرة موت الاله سقطت أصنام اللاهوت التي لم تُفد الإنسانية بشيء، فقد سجنت الذات لسنوات طوال وأعاقت سعيها لتحديد هويتها، ولهذا من الضروري تأسيس حقائق وقيم جديدة قوامها الذاتية والنسبية.

[1] الشيخ محمد: نقد الحداثة في فكر نيتشه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2008، ص308.

[2] مرجع نفسه، ص45،46.

ان العدم (Le néant) يشير إلى النفي والسلب التام المطلق لشيء معين أو معرفة أو قيمة ما، ولذا فالعدمية (Nihilisation) هي رفض لقيمة أو لنظام أو لشيء ما موجود في مجال معين، ولذلك ينبغي فهمها ببساطة على أنها انكار ورفض للقيم الراسخة.[1]

وليس معنى ذلك أن العدمية وفق التأسيس النيتشوي الحديث هي اعدام من أجل القضاء على القيم بل هي على العكس من ذلك، عدمية بنّاءة هدفها تحطيم قيم سابقة ناقصة سلبية بقيم أخرة جديدة كاملة إيجابية، وبالضبط القصد منها قلب وتعويض الأساس الميتافيزيقي القائم طوال قرون ماضية، بأساس جديد هو الأساس الإنساني.[2]

ان العدمية الحديثة انبثقت من التصريح المباشر لنيتشه، مع أنه لم يدعوا اليه كأسلوب حياة: "**إذا كان الله موجودا فإن الانسان ليس شيئا، وإذا كان الانسان موجودا، فالله مرفوض...الاله ميت...لذا لابد من تعليق القيم الأخلاقية في مكان آخر، في الانسان نفسه**". [3]فموت الاله هنا لا يتعلق بالخالق في حد ذاته وانما الموت يتعلق بالقضاء على الأقانيم الميتافيزيقية التي سيطرت لفترات طوال وقيّدت الحياة الإنسانية مكبّلة إياها بقيم لاهوتية كنسيّة. لذا لابد من تحرير هذه الحياة ودفعها إلى التجديد والتأسيس القيمي المغاير تبعا لثورة الحداثة، التي وضعت اله جديد هو الاله الإنساني مكان الاله الكنسي، فالانسان هو السيد والمشرع لكل شيء وبالتالي فالمرمى الذي سعت العدمية إلى بلوغه يتمثل في القيام بثورة قيمية شاملة ترتكز على العلم والمعرفة بالأساس. الأمر الذي من شأنه احداث تغيير شامل لمختلف الظروف المعيشية للناس في ذلك الوقت وما يأتي بعده، وعبر مختلف المجالات، من منطلق الخلق والابداع والقضاء على كافة العوائق والعراقيل التي تحد من قيمة الانسان وتعيق فعاليته.[4]

➢ **مدرسة فرانكفورت (هوركهايمر وأدورنو أنموذجا)**: يعد كتاب "جدل التنوير" جوهرة قيّمة تلخص جهد مشترك لثنائية من أقطاب مدرسة فرانكفورت، باعتبارها مدرسة ركزت على الممارسة والمساءلة النقدية لميثولوجيا الفترة الحديثة، وما وقع فيه العقل من أخطاء ومستنقعات أسطورية أراد تجاوزها فبقي أسير

[1] Christine daigl. Le nihilisme est-il un humanisme ? etude sur nietzche et sartre, théze de doctorat en philosophie. Université de montréal,2000,p60.

[2] Ibid,p63

[3] Ibid, p154-155.

[4] غالب مصطفى: نيتشه، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، دط، 1988، ص37.

لها، فمن خلال هذا الكتاب عمد كل من ماكس هوركهايمر* Max Horkheimer وثيودور أدورنو* Theodor Adorno إلى إرساء دعائم مشروع نقدي جديد تابع للمشروع الكانطي، قوامه وضع الحضارة الغربية موضع الشك والتمحيص، لهذا فالنظرية النقدية قامت بشجب عقلانية التنوير ومكوناته السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية المرتبطة بالحداثة في الغرب، وقد انطلقت من هذا الفهم للتراث الفلسفي الغربي الذي تعمق من خلال ارتباطه النقدي بحركات فلسفية مختلفة على غرار الكانطية، الهيغيلية، الماركية، الوضعية، البراغماتية، التوماوية الجديدة...وغيرها.[1]

يؤكد هوركهايمر وأدورنو أن التنوير أتى من أجل قلب التقاليد والتمكن من التحكم في الطبيعة الخالية من السحر، وذلك من خلال الاستعانة بالتقنية كأساس جوهري للعلم الذي كان يروم بلوغ التقدم والانتصار، غير أن الأمور لم تجري كما كان مخطط لها، وانقلبت بالتالي حالة العالم إلى شتات وفوضى.[2]

ان مشروع عصر التنوير كما يرى هوركهايمر وأدورنو يعد نقطة الانطلاق الأساسية في الحداثة الغربية، وأنه قام في حقيقته على جملة من الأسس سبق وأن أشرنا اليها، على غرار العقلانية والحرية وكرامة الانسان. كل ذلك من أجل تجاوز أنماط الظلم والعدوان التي تخبط فيها الانسان من قبل نتيجة ما كان متفشيا في أوروبا آنذاك من سيطرة مؤسساتية سواء على الصعيد الديني أو السياسي، ولكن بما أنه ابتعد كمشروع عن تحقيق هذه المبادئ فلابد إذا من توجيه الانتقادات اللازمة له.[3] وهو الأمر الذي يظهر في مقدمة كتاب جدل التنوير: " كانت المفارقة التي وجدنا أنفسنا بمواجهتها طيلة مسيرة عملنا، وهي ما توجب علينا تحليله في المقام الأول هي: تدمير العقل التنويري لنفسه...بل لقد كان علينا أن ندرك بوضوح أن مفهوم هذا الفكر ناهيك

* فيلسوف وعالم اجتماع ألماني1895م/ 1973، اشتهر بمجهوداته في النظرية النقدية كعضو في مدرسة فرانكفورت الفلسفية للأبحاث الاجتماعية.

* فيلسوف وعالم اجتماع وعالم نفس وموسيقي ألماني1903م/ 1969م، اشتهر بنظريَّاته النقدية الاجتماعية.

[1] بومنير كمال: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت(من ماكس هوركهايمر الى أكسل هونيث)، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص25،26.

[2] هوركهايمر ماكس، أدورنو ثيودور.ف: جدل التنوير (شذرات فلسفية)، تر: كتورة جورج، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2006م، ص24.

[3] بومنير كمال: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص12.

عن الاشكال التاريخية العينية، ومؤسسات المجتمع التي يتواجد فيها هطا الفكر، انما تنطوي على بذرة هذا التراجع الذي نعانيه في أيامنا في كل مكان".[1]

ولذلك فقد انصبّ النقد هنا على العقل بالدرجة الأولى، هذا العقل الذي تغير معناه بين القديم والحديث. وهذا ما أشر اليه هوركهايمر في كتابه "النقد الأداتي" فبعد أن كان العقل يرتبط في القديم بالسعي من أجل تحصيل المعارف المتسمة بالدوام على اعتبار أن هذا هو مقصد الناس، إلا أن دوره في الوقت الحديث انتقل إلى نقيض ذلك وهو إيجاد الطرق والأدوات المناسبة لمقاصد الأفراد حسب لحظاتهم المناسبة.[2] فالعقل الأداتي هو النتيجة التي توصل اليها الانسان بفعل الحداثة، بعد أن كان فردا ذا قيمة وحرية أصيح في وجوده مثل باقي موجودات العالم، اذ تشيأ وصار سلعة خاضعة لقانون العرض والطلب. الأمر الذي سيؤدي لا محالة إلى زواله واضمحلاله ذلك أنه فقد الروح الإنسانية المعنوية التي تتجه إلى الآخر وتتواصل معه، هنا فقط اضمحلت الإنسانية ببعدها الجمالي، وعلى هذا الأساس أتى المشروع النقدي من أجل إعادة تشييد مجتمع ملؤه السعادة، عبر إزالة الفوارق والقضاء على الاستغلال. وبالتالي تجسيد الذوات الواعية ببعدها الجماعي وهذا ما ورد في ملحق (النظرية التقليدية والنظرية النقدية 1937) عند هوركهايمر الذي أراد القصد إلى الانسان بغية تحريره مما أثقل كاهله من استعباد.[3]

➢ **هابرماس***: مع أنه من فلاسفة مدرسة فرانكفورت إلا أن هابرماس اختلف في أفكار وتوجهات عديدة عن باقي فلاسفة المدرسة، وذلك لأنه على الرغم من كونه انطلق هو الآخر من نقد الحداثة موضحا أهم ما وقعت فيه من انحرافات وأخطاء، إلا أن ذلك بالنسبة اليه لا يمنع من تقويمها وإعادة توجيهها نحو الوجهة السليمة، فالحداثة عنده مشروع لم يكتمل بعد، اذ يصرح في حوار له بأن الحداثة هي مرحلة تتسم بالحرية ولذلك فهي تنطوي على جوانب عديدة إيجابية، غير أنها بالمقابل يقول:" **وأنا لا أدافع عن الحداثة، فأنا على وعي تام بتناقضاتها وجوانبها المظلمة**"[4] ذلك أنها بالنسبة اليه ألقت على المجتمعات خطر متعدد

---

[1] هوركهايمر ماكس، دأورنو ثيودور.ف: المرجع السابق، ص15،16.

[2] تورين آلان: نقد الحداثة، المرجع السابق، ص208.

[3] مصدق حسن: النظرية النقدية التواصلية (يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م، ص29.

*Jürgen Habermas فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر 1929م، من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر، من أهم منظري مدرسة فرانكفورت.

[4] أبو سحلي كرم: ثمن التنوير حوارات مع فلاسفة ألمان، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 2019م، ص304

الجوانب خصوصا على الصعيد الاقتصادي والاستراتيجي-العسكري.[1] ولذا فهي عنده على الرغم من نواياها الإيجابية إلا أنها على واقع التطبيق والتجسيد الملموس لم تتمكن من الوصول إلى مبتغاها، وذلك نتيجة طغيان التقنية التي وضعت من أجل تسهيل الحياة غير أنها أصبحت في حد ذاتها أداة للهيمنة والتحكم في الطبيعة وفي الانسان على حد السواء، اذ جعلت الانسان يعاني من الضياع وذلك بفعل التقدم الاقتصادي والصناعي الذي هتك بالإنسانية ورمى بها للهامش.

ان هابرماس يدعوا بشكل علني إلى وضع حدود للعقلانية الوظيفية التي تمارسها التقنية، والسبب يتمثل في كونها قامت بفرض سيطرتها على الاقتصاد وقيدت الدولة بالبيروقراطية، الأمر الذي جعل المجتمعات تتخبط داخل أزمات حداثية، كل هذا يرده هابرماس إلى العقل الأداتي الذي كرّس لمظاهر سلبية عديدة وجعل الذات الإنسانية ممزقة، لهذا فالبديل عن كل ما يحصل هو قلب الأداة بالتواصل، فعوض أن تكون العقلانية أداتية لابد لها أن تكون تواصلية تحقق التفاعل بين الذوات الإنسانية بواسطة التعاون والحوار، وما لذلك من تحقيق شروط ضرورية لعلاقة إيجابية متناغمة بين الانسان وعالمه، كل ذلك بغية تهيئة وتجهيز الانسان للتأقلم وفي نفس الوقت التصدي لمختلف الأخطار خصوصا التقنية منها.[2]

ان الابتكارات التي تمكن الانسان من حصدها وتحصيلها قامت بغدره وخيانته على حد تصور هابرماس، اذ توسم فيها الخير غير أنها كرست لعقلانية أداتية أوهمت الانسان في البداية النجاح والتفوق، لكنها فيما بعد حرمته من التقدم وقضت على كل جوانب التميز والابداع فيه، بل أضحى مثله مثل باقي الأشياء يخضع للكم والثبات، الأمر الذي جعل الاغتراب ميزته الأساسية في هذه الفترة، ولذا فمخلفات الحداثة من تقنية، ومجتمعات صناعية تدّعي الإيجابية وتتغنّى بفائدتها ورفعها من شأن الانسان وتحقيقها السيطرة على الطبيعة. إلا أنها في الواقع شيأت الانسان وقيدته ووضعت حدود وأكبال كبرى أمام انسانيته وبعده الروحي الذي يتطلع إلى أن يعيش حياة حرة سعيدة.[3] فالانسانية هنا أضحت تعيش التقوقع والانغلاق على ذاتها عوض الانفتاح على نفسها وعلى غيرها وما لهذا الأخير من فائدة، ولذا كما سبق وأن أشرنا فهو يضع حل لذلك من خلال العقل التواصلي الذي ينشط التفاعل عن طريق اخراج الاهتمام من فلسفة الذات

[1] المرجع نفسه، ص305.

[2] مصدق حسن، النظرية النقدية التواصلية (يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت)، المرجع السابق، ص119، 120.

[3] ديون حياه: حدديث النهايات العقل التواصلي بديلا عن العقل الأداتي، مجلة مقاليد، لبعدد 05، ديسمبر 2013، ص140.

كما كان الشأن عند ديكارت مسبقا بالتركيز على الوعي وحده، وبالمقابل الخروج نحو الحوار أي التعاطي مع الذوات الأخرى، مع من هو مختلف، وما لذلك من مدّ لجسور التواصل بين الأنا (الفكر) والآخر (العقلاني).[1]

➢ **لوك فيري***: لقد عبّر هو الآخر عن مخالفته الشديدة لمآلات الحداثة من افراغ للحياة من معناها، فعلى الرغم من أنها بالنسبة اليه حققت الانتصار على المركزية اللاهوتية، إلا أنها لم تقضي على الخطر الأكبر، وانما تمكنت من افشاء مركزية جديدة. وهو الامر الذي يتجلى من خلال طغيان العقلانية التي نشرت مظاهر الحروب، التأزم، قتل الإنسان للإنسان... ولذلك ففلسفة الأنوار التي أرادت بلوغ السعادة وتحرير الانسان من سلطة الدين وتحكّم رجال الكنيسة، حاد مسارها عن جوهره، وبفعل التقنية أصبح العالم يسير بشكل آلي ميكانيكي مفتقرا لأي غاية ومقصد، ذلك أنه يخلو من التسيير بإرادة إنسانية واعية، ولهذا السبب فقط فعالم التقنية انتقل الموضوع فيه من السيطرة على الطبيعة أو على المجتمع إلى السيطرة من أجل السيطرة فحسب.[2]

لقد أفقدت الحداثة بفعل التقنية كل شيء قيمته، اذ أصاب الخواء كل شيء، فالطبيعة التي كانت من قبل خلابة غامضة تستقطب تعجب الانسان، صارت اليوم شيء عادي مادي لابد من تطويعه واستعماله في كل أمر يعود علينا بالفائدة، وفي ذلك يضرب لنا لوك فيري مثالا بالشجرة التي لم تعد صورتها مثل ما كانت في قصص الجنيّات، تتحول إلى ساحرة مثلا أو حتى إلى وحش، بل فقدت بريقها وتم التخلي عن صورتها المخيالية، ولذا فلا مانع من تحويلها إلى أثاث أو وضعها في المدفأة لتوفير الجو الدافئ.[3]

إن الغاية التي وضع من أجلها العلم في عصر الأنوار وبدايات الفترة الحداثية هي القيام بخدمة الإنسانية ومساعدتها على فهم ما يحدث حولها في العالم الخارجي، غير أن التقنية غيرت أهدافه ومرامي، يقول لوك فيري:" **لم يكن الاهتمام منصب على الوسائل التي كانت ستتيح السيطرة على العالم بل على الأهداف التي كانت تلك السيطرة نفسها ستتيح الفرصة عند الضرورة لتحقيقها...لم يكن المقصود السيطرة**

---

[1] سعد الله محمد سالم: مدرسة فرانكفورت النظرية النقدية وفلسفة النص، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، سطيف، العدد09، 2009م، ص168.

* Luc ferry هو أستاذ فلسفة وكاتب مقالات وسياسي فرنسي 1951م.

[2] فيري لوك: تعلم الحياة سأروي لك تاريخ الفلسفة، تر: الولي سعيد، أبو ظبي للثقافة والتراث، الامارات، دط، دت، ص 322.

[3] المرجع نفسه، ص317.

للسيطرة، بل كان من أجل فهم العالم والقدرة عند الضرورة على استخدام ذلك للتوصل إلى بعض الأهداف السامية والتي يمكن في النهاية تجميعها في قسمين رئيسيين: الحرية والسعادة".[1]

في كتابه (**الانسان المؤله أو معنى الحياة**) يشخص لوك فيري أزمة الإنسانية في الفترة الحديثة من منطلق أنها أرادت من خلال ثورة التنوير اسقاط مركزية الشيطان واستبعاده لكونه أعاق الانسان عن بلوغ مبتغاه، ولذلك عوض أن يتوجه الفلاسفة إلى القضاء على الشيطان أخطؤوا الطريق وتوجهوا إلى القضاء على الله، غير منتبهين إلى أن موته هو موت للإنسان في حد ذاته،[2] ولذا فالوعود بالتقدم التي منحتها الحداثة للإنسان ارتدت على نفسها، والشيطان الجديد الذي اتخذ صفة البطولة هو الانسان نفسه: " أيها الإنسان، لا تبحث بعد اليوم على المسؤول عن الشر، فهذا المسؤول هو أنت نفسك، إنه لا يوجد اطلاقا أي شر إلا ما اقترفت يداك أو ما تعانيه. ولا يأتي هذا وذاك إلا منك أنت"[3].

لهذا فانطلاقا مما سبق ذكره وتحليله نجد أن فترة الحداثة شكلت نقطة تحول أساسي في التاريخ الإنساني، سواء تعلق الأمر بالجانب النظري الفكري، أو حتى على الصعيد الواقعي الحياتي والعملي، وذلك لأنها نقلت الانسان من الظلام إلى النور، وأنزلت العناية من السماء إلى الأرض، فأعادت بذلك القيمة للإنسان وجعلته محور كل شيء ومقياسه، إلا أن الثقة الزائدة في عقل هذا الكائن الإنساني فتحت المجال للتمادي، الأمر الذي جعل الانتصار الحداثي ينحرف عن مساره بفعل افرازات العلم والتقنية والتطور الاقتصادي وبروز الرأسمالية. كل ذلك ساهم في توجيه العالم نحو فنائه من خلال تغليب المادية وافقاد الانسان وهو أهم عنصر فيه (العالم) روحه وطبيعته الوجدانية المعنوية، ولذا تعرضت هذه الفترة نظرا لما حملته من نقائص وانحرافات إلى انتقادات عديدة كما لمحنا في العناصر السابقة، ومع فلاسفة عدة ممن حملوا على عاتقهم مهمة ابراز مغالطاتها، وذلك على سبيل الإشارة والأخذ كنماذج، لأن نقّاد الحداثة عددهم لا يعد ولا يحصر (فرانسوا ليوتار- جيل ليبوفتسكي- ميشال فوكو...)

[1] المرجع نفسه، ص318،319.

[2] مفرج جمال، الفلسفة المعاصرة من المكاسب الى الاخفلقات، منشورات الاختلاف (الجزائر)، الدار العربية للعلوم ناشرون(بيروت)، ط1، 2009، ص17.

[3] فيري لوك: الانسان المؤله أو معنى الحياة، تر: هشام محمد، أفريقيا الشرق، بيروت، دط، 2002، ص76.

وإلى جانبهم نجد ادغار موران الذي قدم نقد صريح للحداثة انطلاقا مما أوصلت الانسان اليه من تمزق هوياتي وذلك بفعل المنطق التبسيطي الذي ساد فيها والذي انعكس على كل نواحي الكوكب مخلفا بذلك أزمة إنسانية كوكبية من الضروري التصدي لها ووضع حد لامتداداتها.

المبحث الثاني: قلق الحداثة وانتقادات موران لمبادئها:

ان الجديد الذي اصطبغت به فترة الحداثة هو الاعتماد على النقد كمعيار جوهري للتقييم، وعلى هذا الأساس طال النقد مختلف نواحي الحياة في الحضارة الغربية من منطلق السعي إلى بلوغ التغيير البنّاء والتشييد الجيد لمجتمعات إنسانية متجدّدة، ولذا فمنذ التأسيس الديكارتي تموضعت ابستيمولوجيات جديدة للفكر، هدفها الأساسي اخراج الانسان من ظلام العصور الوسطى والانتقال به وبحضارته إلى بريق نور العلم والتقدم. غيرأن الملاحظ لمسار هذه الحداثة ينتبه إلى أنه أصابها الاعتلال والسير نحو الاندثار والانعدام، ذلك أن مستوى المعيشة الذي شهد ارتفاع وتحسن بفعل إنجازات الحداثة، أصابه العطب وآل إلى الانخفاض والتراجع، فعصف بالعيش الرغيد وأفشى القلق تجاهه، وذلك بسبب الأداة العقلية التي قادت إلى الانغلاق والتقوقع وجسدت مركزية قائمة على الاقصاء. ولعله الأمر حرك اهتمام الفيلسوف الفرنسي ادغار موران نحو وضع مشروع فلسفي قوامه الوقوف على تداعيات العقلنة الحداثية وما وصل اليه المجتمع نتيجة التقدم والعولمة، وبالتالي قلب البراديغم السابق واستبداله ببراديغم جديد.

ان ادغار موران وبدءاً من ديكارت قام بقراءة نقدية فاحصة بشكل معمق للأزمة التي وقعت فيها الإنسانية بفعل نتائج العقل، وما تم تحقيقه من تقنية وثورة صناعية ورأسمالية، وما لذلك من انعكاس على

الكائن الإنساني الذي أضحى يعيش قلق وخيبة من الماضي المظلم، والحاضر المتأزم، نحو المستقبل المجهول. فسقط في دوامة أزمة تعود في أساسها إلى أسس بل أساطير أقامت عليها الحداثة دعائمها. ومن هذا المنطلق: فيما يتمثل قلق عيش الرغيد عند موران؟ وكيف قام بصياغة مشروعه النقدي للعقلانية الحداثية ومبادئها؟ ماهي التداعيات التي عمد إلى تشخيصها؟

أولا: القلق الحداثي قلق حضاري:

ان النظرة التي ينطلق منها موران في تشخيصه لحلة القرن الذي نعيش فيه هي نظرة مزدوجة، ذلك أنها بعين أولى ترى التقدم والازدهار والتطور اذ تركز على الاتصال والتدريج بين جوانب العلم، التقنية، الاقتصاد، الصناعة... وهي النظرة المهيمنة في التصورات البيولوجية والتقنو-بيروقراطية.[1] غير أنها إذا ما انتقلت إلى العين الثانية فإنها بمجرد فتحها تلمح قرنا محترقا بنار أكبر حربين وقعتا في تاريخ الإنسانية، وبالضبط الحربين العالميتين،[2] وهو الأمر الذي جعل من الحضارة الراهنة حضارة متأزمة، بل أن القرن في ذاته هو قرن أزمة كما وصفه موران، وذلك لأنه على الرغم من المزايا والخصائص الإيجابية نمت بالمقابل تهديدات أخرى بالفناء، ولذا فمشكل حضارتنا كما يصرح موران هو من طبيعة شديدة التعقيد.[3]

ان العطب الذي أصاب الحضارة انطلق مع الحداثة، وبالأخص من خلال فكرة الحروب فمع أن الصراع منذ القدم موجود من حيث ابراز القوة، إلا أن الصراع في الحضارة الحالية شمل كل الجهات، وموران في ذلك

[1] موران ادغار: الى أين يسير العالم؟، المصدر السابق، ص21.

[2] المصدر نفسه، ص21.

[3] موران ادغار: نحو سياسة حضارية، المصدر السابق، ص25.

يشير إلى الحربين العالميتين، فبعد أن كانت الحروب تعني سابقا بقاء المنتصر، أصبحت اليوم تعني إمكانية للعدم المتبادل. أي الانتقال من حياتك هي موتي وحياتي هي موتك، إلى عبارة **"ان موتي هو موتك وحياتي هي حياتك"**[1] وهذا ما أطلق عليه وصفه بالموت الكبير الذي وصلت اليه الإنسانية بفعل بنية الكوكبة، ذلك أن القرن العشرين سعى إلى تشييد نسيج كوكبي موحد ولذا قدّم مشروع العولمة التي جمعت العالم تحت راية واحدة شاملة، وقلصت حدوده، مقرّبة بذلك المسافات من أجل هدف التواصل والتضامن، فتغيرت بذلك الحياة على هذا الكوكب، اذ بلغالحد إمكانية القيام بجولة فييوم واحد وعل مدار 24 ساعة عبر كل العالم وذلك لأن العولمة وفّرت كل شيء للجميع من أقصى نقطة إلى أدناها عبر التلفزة والهاتف، والفاكس والانترنت...[2]

ان الانسان الأوروبي على سبيل المثال حسب موران ومن خلال النزعة الموحدة للعولة أصبح يستيقظ على صوت مذياع ياباني، يرتدي ملابس مصرية أو هندية الصنع، يشرب شايا صينيا، أو قهوة مستوردة من مزارع اثيوبيا، وهكذا يواصل باقي إنجازاته في مدار كوكبي رغد، في حين أنه وعلى الكفة المغايرة يعيش عدد كبير من الأفارقة مثلا والآسيويين والجنوب أمركيين عكس ذلك رغم أنهم على نفس الكوكب، فقط مدارهم يمتاز بالحزن والبؤس.[3] ولذلك فمفارقة العصر الكوكبي هي المفارقة التي خلفتها العولمة من حيث أنها نزعة موحدة بين الذوات والمجتمعات، وفي نفس الوقت شكلت نزعة تصارعية قادت العالم إلى الشتات والتجزيء، وابعاد مختلف الأجزاء بل عزلها عن بعضها البعض.

انه من الضروري عند موران إيقاف الموت الكبير الذي أخذ يعصف بالانسانية ككل، فالحداثة التي قدمت للحضارة رفاهية متميزة هي نفسها التي تسببت في شقائها ومعاناتها، نتيجة افرازاتها العلمية التي شكلت سلاح ذو حدّين.[4]

لقد نحت موران مصطلحه الكريزيولوجيا Crisiologie أو علم الأزمات، وذلك للكشف عن الوضع المتدهور الذي بلغته الحضارة مع نهايات القرن العشرين من حروب وأمراض نقلت نمط الحياة على سطح

[1] موران ادغار: الى أين يسير العالم، المصدر السابق، ص74.
[2] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص60،61.
[3] موران ادغار: تربية المستقبل، مصدر سابق ، ص61.
[4] المصدر نفسه، ص65.

الأرض إلى جهة معاكسة غير آمنة، قرامها تهديد الوجود الإنسي على هذا الكوكب[1]، فالازمة اعترت كل شيء وامتدت إلى كل مكان في الوقت الحاضر، ولذلك أصبح الوضع يتخذ مسار الهلاك، فالكوكب الأرضي الذي من المفروض أنه يعيش أوج تطوره وتقدمه ها هو اليوم يحيا يترنح ويتدحرج ويتجشأ.[2] اذ تواكبت عليه المظاهر ككل من تقهقر وتأزم وحتى ثورة وتطور. [3]

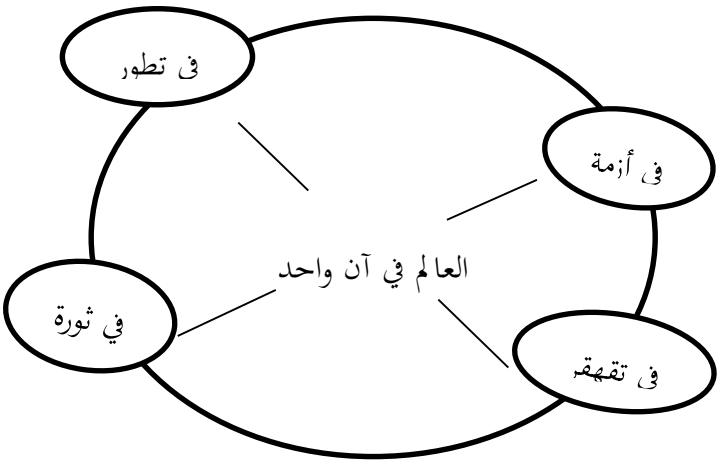

[1] الخويلدي زهير: تعقد الطبيعة البشرية عند ادغار موران، موسوعة الفلسفة الغربية المعاصرة (صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة الى التشفير المزدوج)، ج2، دار الأمان، 2012م، ص1408.

[2] موران ادغار: الى أين يسير العالم، المصدر السابق، ص41

[3] المصدر نفسه، ص42.

ولذلك فإن العيش الرغيد الذي منحته الحداثة للإنسان من خلال اعتاقه من سيطرة اللاهوت، وتحقيق التطور اللامشهود للعلم عبر فصله عن الفلسفة أضحى عيشا مضنيا، اذ ساهم في تصاعد الشعور بالقلق، قلق وجودي بالدرجة الأولى، جعل الانسان يعاني الضياع والتيه في حاضره وبالتالي تعذر توقع المستقبل، ولذلك فالكائن الإنساني أضحى مريض فتك به القلق وألقى به على أبواب المستشفيات والعيادات الطبية تحت وطأة المعاناة الجسمية والنفسية، وما هذه الأمراض في الحقيقة إلا مؤشرات تعبر على قلق الحضارة ككل. ذلك أن مختلف مشاكلنا الخاصة من فقدان التحكم في أجسامنا وحتى الإحساس بانفصال أنفسنا عن أجسامنا هي كلها مشاكل وجودية تتولد داخل تركيب الحضارة[1]، يقول موران:" **ان أمراض حضارتنا هي الأمراض التي أظهرت بالفعل عكس أهداف الفردانية والتقنوية، وعكس غايات عملية تحويل الأشياء إلى نقود، وعكس التنمية ورغد العيش**"[2]

لهذا فالحداثة التي أتت من أجل تحقيق عيش صالح رغيد، قدمت معولها الأساسي وهو العقل ومنحته ثقتها الكاملة، فحقق وشيد تطورات عجيبة أخرجت الأرض من سباتها ودفعتها نحو التقدم. غير أنه وفي نفس الوقت وفرت هذه التطورات إمكانية للتراجع وطاقة للتدمير والتخلف.

ان كيان مجتمعاتنا هو كيان متأزم حسب تشخير ادغار موران وذلك على مستوى مختلف المجالات اقتصادية كانت أم اجتماعية، ثقافية أم سياسية، حتى منها التربوية.. وذلك لكون التقدم في حد ذاته يحمل خاصية أزماتية بين ثناياه، فالتقد والتطور المتسارع يشتمل على قك البنيات وينطوي على عملية تحطيم وتغيير، وفساد وإعادة بعث للنظام وهو ما يشكل بعدا أزماتيا[3]. ويمكن ارداع الأزمة التي تعتري الحداثة إلى جملة من الأسس وضعت ونصبت نفسها عليها كدعائم مثلت مجموعة أساطير للنهضة، فالعقل الأنوار قدم جملة من الوعود التي كان لها تشكل قبل الأنوار غير أن وجودها اكتمل في عصر الأنوار. وقد هيمنت هذه الوعود أو الأساطير كما يسميها موران على الوجود فترة إلا أنه في النهاية ستنتهي إلى نهايات مأزومة، اذ يقول:" **تتجلى الحداثة في ثلاث أساطير كبرى: أسطورة التحكم في الكون التي قال بها كل من ديكارت وبوفون**

[1] موران ادغار: نحو سياسة حضارية، مصدر سابق، ص21.

[2] المصدر نفسه، ص13.

[3] موران ادغار: الى أين يسير العالم؟، المصدر السابق، ص25.

وماركس وأسطورة التقدم والضرورة التاريخية التي باتت تفرض نفسها مع كوندورسي، وثالث هذه الأساطير هي أسطورة السعادة"[1]، ولذلك فهذه الأساطير هي:

1- أسطورة التحكم:

بعدما كان الانسان خاضعا لما يحدث في الطبيعة غير متمكن من التحكم فيها، جاء وعد العقلانية الحداثية بإمكانية تحقيق السيطرة عليها، ذلك أن السلطة التي كانت ممنوحة في القديم للطبيعة والكفة التي كانت مغلبة لناحيتها عند عديد التيارات على غرار الرواقية، لم تدم على حالها بل جاءت الحداثة مغيرة الموازين منادية بضرورة التحكم في العالم المادي من خلال أداة العقل، الأمر الذي سيمنح السيادة حتما للإنسان على الطبيعة، تمكنا وتحكما وتطويعا.

وبالرجعة التاريخية نجد أن روني ديكارت وفرانيس بيكون هما أهم من نادا بضرورة تحقيق هذه السيادة وأهمية قلب الموازين لصالح الانسان، فديكارت ركز على الكائن الإنساني وحلله مخضعا إياه لنفس موازين الفيزيقا، الأمر الذي يجعل منه كائنا مالكا لها مسيطرا عليها بما لديه من قوى وملكات، فنحن حسب ديكارت لابد لنا أن نجعل من أنفسنا سادة للطبيعة ومالكيها[2]

وهي الفكرة عينها التي يسانده فيها بيكون من خلال عبارته الشهيرة "المعرفة "قوة" ذلك أن الكائن الإنساني تمكن من حصد معارف عديدة من خلالها وبواسطتها فحسب سيوظف الطبيعة في خدمته ومسخرة لطاعته بل ومفيدة له، اذ يقول:" **المعرفة استطاعة، سيطرة على الأشياء، سيادة الواقع، من خلال اكتشاف النظام الطبيعي**"[3]

ومما يلفت الانتباه أن هذا الوعد في عين النقد الموراني قد انقلب النقيضه، وتحول المقصود إلى ضده[4]، ذلك أن العقلانية التي سعت إلى تطويع الطبيعة انحرفت وغالت في طريقها إلى تحقيق ذلك، والأمر يعود بالدرجة الأولى إلى الاستخدام اللاعقلاني للتقنية، فهي بجانب شكلي ساعدت على التحكم في الطاقات

[1] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟، المصدر السابق، ص25.

[2] ديكارت رينيه: مقالة الطريقة لحسن قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم، تر: صليبا جميل، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط3، 2016م، ص195.

[3] روس جاكلين: الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: العوا عادل، منشورات عويدات، بيروت، دط، 1988، ص25.

[4] عبد الرحمن طه، روح الحداثة (المدخل الى تأسيس الحداثة الإسلامية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص32

المادية، إلا أنها في حقيقة الأمر أفقدت الانسان انسانيته وأضحى مثله مثل باقي الآلات، فعوض القيام بالسيطرة قام بالقضاء على الطبيعة وتدميرها، وبالتالي هو الذي خضع وأصبح مناط للتحكم من طرف الآلة، فالنوايا تغيرت وفشلت، اذ السيادة صارت عبودية والاستقلال غدا تبعية، والشأن الخاص صار شأنا عاما[1]، يقول موران: " **وأما في ما يتعلق بالتحكم في العالم... فنحن ندرك في الواقع أننا كلما زاد تحكمنا في القوى المادية في العالم إلا زدنا انحطاطا بالمجال الحيوي**"[2]

2- أسطورة التقدم:

بعد التمكن من تحقيق السيطرة على الطبيعة تمثّل الوعد الثاني للعقلانية في تحقيق التقدم والرفاه الاقتصاديين وذلك مع الثورة الصناعية، فالعقل الذي يمثل الأداة الأساسية سيتمكن من خلال ما يتوفر عليه من قدرات، سيتمكن من تحقيق التطور الكافي سواء عل المستوى العلمي أوالتقني، وما لذلك من فائدة كبيرة على الانسان.

ان التقدم الحقيقي هو الحركة إلى الأمام عكس التراجع كتقدم الصناعة، فالتقدم الحقيقي هو المتصل[3]، ولذ فهو أمر ضروري كما أشار اليه كوندورسيه في مؤلفه (مقال تاريخي في تقدم العقل البشري) وعملية متصلة تمكن من احداث التحول الفعال للجموع الانسانية[4].

أما **ادغار موران** فقد اعتبر هو الآخر التقدم أمر ضروري مستمر وذلك لأنه سيساعد الانسان على تحقيق الفهم اللازم لذاته وحاضره، والسير نحو إمكانية التنبؤ بمستقبله. إلا أن العقلانية ووعودها حادت على الطريق وأصبح السعي إلى التقدم هو أهم تراجع، وذلك لأن الإنجازات المبهرة للتقدم عبر مختلف المجالات التي حققتها الحداثة، قادت الإنسانية إلى أهم هطر وهو خطر الموت، سواء ما تعلق بعشرات الملايين الذين قضت عليهم الحربين العالميتين، أو حتى خطر السلاح النووي وتهديد الوجود البشري والايكولوجي على حد سواء والوصول بذلك إلى احتمال الفناء[5].

---

[1] المرجع نفسه، ص33.

[2] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟، المصدر السابق، ص28.

[3] صليبا جميل: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والانجليزية واللاتينية، مرجع سابق، مادة التقدم، ص322.

[4] شهاب محمد: رواد علم الاجتماع، موقع كتب عربية، دط، دب، دت، ص15.

[5] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص64.

وبما أنه ضروري فقد اقترح موران حل لإصلاحه وذلك لا يكون إلا من خلال العودة إلى الماضي، أي فهم الماضي بشكل جيد عبر الرجوع اليه لأنه وحده ما سيسمح بالاستمرار والانتقال الجيد نحو المستقبل. فالماضي هو الملاذ والمخلص.[1]

3- أسطورة السعادة:

تمثل الوعد الثالث للعقلانية، فالإنسان وبعد أن يُحسن السيطرة والتحكم في الطبيعة إلى جانب تحقيق التقدم والرفاهية عبر مختلف النواحي والمجالات فإنه لامحالة سيتمكن من بلوغ السعادة اللازمة، وذلك من خلال العائدات المادية وما يحققه من دخل يعود عليه بالفائدة، فالسعادة مرتبطة بالحياة المادية فكلما سهل للإنسان اقتناء ما يريد، وحصد ما يطمح اليه في واقعه المادي الملموس، كلما نال الشعور بالراحة والفرحة.

ان ادغار موران اعتبر هذه السعادة سراب، فهي وهم وقع فيه الانسان وظن أنه حقيقة، وهذا ما قامت به وسائل الاعلام التي أخذت تبث معلومة زائفة مفادها أن السعادة حاضرة موجودة بفعل التقدم، الذي اقتصر دعاته على الجوانب والاعتبارات الكمية فقط، أما ما هو كيفي في الحياة من تضامن وجودة للثروات الإنسانية المعنوية فهو غائب عنهم[2]، يقول في ذلك: " **باتت أسطورة السعادة هي الأخرى في أزمة، فقد بدأ الناس اليوم يدركون أنه اذا كانت المنتجات الإيجابية للسعادة سيظل لها وجود فستظهر كذلك منتجات صغرى سلبية: التعب، والافراط في استعمال المحركات العقاقيرية النفسية والمخدرات...وقد خيّل الينا أن في مقدورنا أن نبني حضارة تنعم بالأمن لكننا صرنا ندرك في الوقت الحاضر أن هذه الحضارة تخلق مخاطر جديدة بدلا من أن تزيل الخطر الواحد**".[3]

[1] موران ادغار، بودريار جان: عنف العالم، تر: توما عزيز، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، دط، 2005م، ص78.

[2] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟، المصدر السابق، ص76.

[3] المصدر نفسه، ص28،29.

ثانيا: عقلانية الحداثة في ميزان النقد الموراني:

لقد ركز موران على توجيه النقد اللازم للعقلانية التي انطلقت مع الأنوار والتي كان مطمحها التحرر وتحقيق التقدم باسم الانفتاح، اذ انتهت إلى نهاية معقلنة مغلقة، لذا أخذ على عاتقه مهمة التمييز في البداية بين نوعين من العقلانية احداها مغلقة دوغمائية بفعل العلم الكلاسيكي وما قاد اليه من القاء بالانسانية ضمن جُبّ التخلف، وبالتالي مضاعفة علل الحضارة، أما النوع الثاني منها وهي العقلانية المفتوحة فهي تمتاز بالانفتاح والتحرر والسعي إلى اخراج الفكر من أزماته، نحو الارتحال بالانسانية والحضارة إلى مصاف أحسن، ولذلك فعلى الرغم من أن العبارتين من أصل واحد إلا أنه من الضروري التمييز بين العقلانية Rationalité وبين العقلنة Rationalisation.[1]

1- العقلانية المفتوحة والعقلنة المغلقة:

[1] الخويلدي زهير: تعقد الطبيعة البشرية عند ادغار موران، المرجع السابق، ص1415.

انه لمن الصعب كيفية تحول ومرور العقلانية إلى تبرير عقلاني بالنسبة إلى ادغار موران، وذلك لأن هذان المصطلحان يتطوران ويصبحان عدوان لبعضهما البعض[1]، فالمعرفة العقلية انبنت وفق الفلسفة الديكارتية على أساس البساطة والوضوح، غير أن مسارها من الفترة الحديثة إلى الفترة المعاصرة انقلب اذ أخذت تسير نحو الغموض وذلك لما تفشى في الحضارة من مظاهر معقدة، لهذا نبّه موران إلى ضرورة التمييز بين العقلانية المنفتحة التي اعتبرها عقلانية صحية تقوم على محاورة الواقع، فهي ثمرة نقاش الأفكار بالأدلة والحجج الكافية، ولذا فهي تعي الذاتية والوجدان والحياة وتدرك حدود المنطق والحتمية والآلية[2]. وعلى هذا الأساس فهي عقلانية تعايش الواقع وتنفتح في نفس الوقت على الخيال، تحتك بالمحال الإمبريقي، وفي نفس اللحظة تدرك آثار الأحلام والأساطير والأديان. هي عقلانية متحررة من أي سيطرة عليا، منفصلة عن أي تبسيط أو تجزيئ بل على النقيض تعلم أن الكون يشتمل أمور عديدة غامضة مركبة معقدة لابد من كشفها، ولهذا كانت هي العقلانية التي من المفروض أن تصل اليها الحداثة وفق نوايا الفكر الثائر على التصورات الكنسية، وهي العقلانية التي يطمح المشروع الموراني بلوغها في النهاية، باعتبارها تعود إلى تعقد هوية الكائن البشري أي إلى هويته الأرضية[3].

أما بالنسبة للكفة المقابلة المناقضة، وعلى الصعيد الثاني نجد العقلنة المغلقة أو كما يسميها موران "**التبرير العقلاني**" وهو مصطلح يستخدمه الأطباء النفسانيون على غرار فرويد في علم النفس المرضي، وذلك لأن هذه العقلنة تقوم على الانغلاق والتقوقع، تعتمد على سجن الواقع داخل بناء ونسق يقوم على المطابقة والمماثلة ويرفض أي شكل من أشكال التناقض، فما يناقض مقصي مهمش ملقى به في خانة الأوهام والأشياء منعدمة الفائدة[4].

لقد نشأت العقلنة المغلقة نتيجة مظاهر جهل العالم الغربي بما يحدث له، وجنونها الذي طغى بسبب عقلنة التقنية وما أدلى اليه من حروب ودمار على مستوى نواحي الحياة والحضارة وهمجية للإنسان الصناعي،

[1] موران ادغار: الفكر والمستقبل مدخل الى الفكر المركب، تر: القصوار أحمد، الحجوجي منير، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004م، ص71.

[2] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟، المصدر السابق، ص57.

[3] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟، المصدر السابق، ص58.

[4] موران ادغار: الفكر والمستقبل مدخل الى الفكر المركب، المصدر السابق، ص71.

كل ذلك جعل الحقيقة مكبلة ضمن دهاليز مغلقة.[1] ولذا فهي عقلانية خاطئة لا تستطيع مواكبة نوايا التحرر، بل وتقف عاجزة عن الفهم أي فهم الكائن والذات الإنسانية وفهم الكون وما يدور فيه من أسرار وغوامض، وبهذا المعنى "تهيمن العقلانية الخاطئة أي التبرير العقلاني المجرد والأحادي البعد على مجموع الأرض".[2]

ولهذا فالعلم الكلاسيكي أخطأ في مدّ الحضارة بالترياق المناسب لها، فعوض أن يمنحها العقلانية الإيجابية التي تقوم على الانفتاح، التواصل، التفاعل، التعاون، التنظر إلى العالم وإلى الذوات بنظرة متعددة تقوم على تشجيع التلاقح الفكري، عوض استغلال التقدم والتطور التقني واستغلال الذكاء الاصطناعي بما يفيد الإنسانية والحضارة، سار الأمر في منحى معاكس فتجلت العقلنة المغلقة وطغت المركزية وقضت الحروب والصراعات على كل ما هو انساني ووجداني وحتى جمالي وبيئي، فأصبحت الإنسانية تسر نحو الخضوع للتقنية ولكل ما من شأنه القضاء عليها، لهذا فالعقلانية المغلقة لا يمكن لها أبدا أن تصل إلى ادراك الحاجات الإنسانية.[3]

ان موران يركز على أهم خطأ وقعت فيه المعرفة العقلية وهو ابتعادها عن النقد، وبالضبط النقد الغير منقطع، فإذا قامت بممارسة النقد على ذاتها، نقدً ذاتيا خالصًا هنا فقط تصبح عقلانية حقيقية، ذلك أنها تنفتح على اللايقين وتبتعد عن الوثوقية المغلقة والدوغمائية العدمية. أما إذا حادت عن هطا الأمر فهي بالتأكيد ستقع ضحية لوهم التبرير العقلاني[4]، ولهذا ركّز موران في هذه العقلنة على تحديد أهم مزالق مبادئها وبالضبط:

1-1- التحليل:

ينطلق موران في نقده للتحليل من القاعدة الديكارتية الثانية التي تركز عليه والتي تنص على ضرورة تقسيم المعضلات الكبرى إلى مشكلات وأجزاء صغرى بسيطة، يقول في ذلك ديكارت: **"أن أقسم كل**

[1] الخويلدي زهير: تعقد الطبيعة البشرية عند ادغار موران، المرجع السابق، ص1415.

[2] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص42.

[3] موران ادغار: النهج إنسانية البسرية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص131.

[4] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص25.

مشكلة تصادفني ما في وسعي التقسيم وما لزم لحلها على خير وجه"[1] فالبداهة والوضوح لا تبرز معالمهما إلا من خلال شطر الكلّيات إلى جزئيات بسيطة منفصلة مستقلة عن بعضها البعض، ولذلك ترادف مصطلح التحليل مع الانفصال والاختزال كما سبق وأن ذكرنا، ذلك أن تقسيم المشكلات وفق التحليل الديكارتي يقتضي تحقيق الانفصال، انفصال الذات عن الموضوع والعلم عن الفلسفة، أي الانتقال إلى الثنائيات. وهو الأمر الذي ركز عليه ادغار موران في نقده لهذه الابستيمولوجيا، لأن الفكر الذي يقوم على مثل هذه المبادئ الاختزالية الفصلية، هو فكر أعمى يتخبط في الظلام والتيه وتسيطر عليه الأساطير والأوهام، لهذا فهو يجهل طريق بلوغ الحقيقة، ذلك لأن الذات المفكرة لا تقبل العالم والكون كما يُعطى لها في صورته الكلية المعقدة المركبة، بل تعمد إلى تحليله لبنيات صغيرة مجزأة منفصلة عن بعضها البعض، لا تمكّن من تقديم صورة واضحة عنه (العالم / الكون) لأنها لا تقبل الاتحاد مع بعضها البعض ولذلك لكون انفصالها قطائعي وفق الاصطلاح الباشلاري، يقول موران: **"والحال أنه لا يمكن بتاتا تقطيع المشاكل الجوهرية ولا غض الطرف عن المشاكل الشمولية".**[2]

فالنزعة العقلية الحديثة ومن خلال افرازاتها العلمية والتقنية ركزت على تقسيم وتقطيع المعارف، الأمر الذي عذّر إمكانية النظر اليها ككل وكبناء مركب، ولذا قامت علوم القرن العشرين على جملة من المبادئ المترادفة: التبسيط، التحليل، الاختزال، الانفصال، والتي تعود كلها إلى فكرة واحدة وهي الانتقال من الاهتمام بالكل إلى العناية بالأجزاء، وهو الأمر الذي حسب موران أفرغ الإنسانية من انسانيتها، نظر اليها نظرة مادية نتيجة ما هو سائد في المجتمعات الغربية من منطق آلي صناعي، وبالتالي عوض إعطاء أولوية للجانب المعنوي في هذا الكائن من عواطف ومشاعر وأهواء، تم اختزاله في ما هو كمّي.[3] يقول موران: **"تقوم الرؤية المقطعة والمبعثرة والآلية والاختزالية والعازلة بتشتيت مركب العالم... انها رؤية قصيرة النظر غالبا ما تتحول إلى رؤية عمياء. فهي تقتل في المهد إمكانات الفهم والتأمل وتقلل من فرص بناء الأحكام السديدة أو الرؤى البعيدة النظر".**[4]

1-2- النظام:

[1] كرم يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 2012م، ص72.

[2] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص40.

[3] المصدر نفسه، ص41.

[4] المصدر نفسه، ص41.

لقد سيطر اللانظام على الفكر الإنساني لفترات مطولة، وذلك لأن الكاوس كان الخطأ الذي وقع فيه الفكر دون قصد، فهو يحمل داخله النظام والاتساق، ولكن لسوء فهمه ولجهله يعجز عن رؤية هذا النظام، فيتبع عوض ذلك الفوضى، لذلك جهر ديكارت بقاعدته الثالثة التي تعيد الترتيب والتسلسل لكل شيء، اذ يقول:" **أن أسير بأفكاري بنظام، فأبدأ بأبسط الموضوعات وأسهلها معرفة، وأرتقي بالتدريج إلى معرفة أكثر الموضوعات ترتيبا، فارضًا النظام حتى بين الموضوعات التي لا تتإلى بالطبع**"[1].

فالذات الإنسانية في الحداثة بالنسبة لموران مثلت محور كل شيء، وتمركزت حول ذاتها مهمشة بذلك ما هو خارج عنها وبالضبط العالم الواقعي، فبعد أن حلّلت وفككت ما هو غامض مركب إلى أجزاء، أخذت تنظم هذه الأجزاء المنفصلة، لتصل في الأخير إلى تنظيم مغلق أحادي النظرة يهتم بالمطابقة مع ذاتها فقط، وتجاوز الكون والعالم المادي المقابل لها. والسبب وراء نشأة النظام هو التصور الحتمي الميكانيكي للعالم،[2] فالحتمية صبغت كل شيء بصبغة الثبات والأزلية وهو الأمر الذي جعل الطبيعة الخارجية تنغلق على خاصية التماثل واللاحركية، الآلية واللاتفاعل، بل ترفض كل ماهو صدفوي جديد وبالتالي تقف عائقا أمام الابتكار وذلك لأنها طبقت مبدأها بشكل صارم[3].

ان موران يرفض وينتقد بشدة هذا المبدأ القائم على النظام، وذلك لأنه نظر إلى الفوضى منفصلة عنه وأن كل واحد منهما يصارع في وجوده الآخر، في حين أنه من الأفضل أن يتم النظر اليها معا أي إلى النظام باعتباره فوضى وإلى الفوضى كنظام. فمن الضروري خلق نقاش وتفاعل حواري بينهما وهذا هو الهدف الذي رسم من خلاله موران مشروعه القائم على فكرة التعقيد، ذلك أن التعقيد يقوم على خاصية الحوار بين هذين الطرفين المتناقضين، وبالتالي تجاوز المنطق الهوياتي المغلق الذي لا يعترف بالتناقض أي لا يقبل اللانظام كنقيض للنظام، وهذا ما سنفصّل فيه في العنصر المقبل.

1-3- المنطق:

[1] كرم يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص72.

[2] موران ادغار: نحو براديغم جيدد، المصدر السابق، ص119.

[3] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص

ان المنطق الذي اتبعته الحداثة هو منطق تماثلي أحادي، لأنه قام على مبادئ الاستقراء والاستنباط بما فيها من هوية وعدم تناقض، ومبدأ الثالث المرفوع، ولذلك فهو منطق أرسطي بامتياز، تمخضت عنه آثار جعلت الفكر الحداثي يتخبط في التيه والانغلاق لقرون طوال، باعتباره منطق نظرى قصر الاهتمام بمطابقة الفكر لنفسه دون رعاية بالواقع، ولهذا السبب غال في المثالية، لذلك ظهرت أصوات عديدة نادت بضرورة التخلي عنه على غرار ما قدّمه فرانسيس بيكون الذي أبرز عيوب المنطق التقليدي في ابتعاده عن الطبيعة وسقوطه في الميتافيزيقا، وبالمقابل التأسيس لمنطق جديد ينزل إلى الواقع ويعمد إلى السيطرة على الطبيعة وتطويعها لفائدة الانسان، فالمنطق الكلاسيكي قام على المطابقة التامة والتماثل ولذلك لابد من تجاوزه، وهو الأمر الذي أوضحه كذلك كارل بوبر من خلال مثال البجعة، اذ أكد أنه مهما كان عدد البجع الأبيض كثير فهذا لا يبرر القول بأن كل البجع أبيض، ولذا تبقى هذه الفكرة قائمة طالما أنها لم تتعرض للتكذيب وليس لأنها تعرضت للتحقيق المادي الواقعي، لذا لابد من النزول والاستقراء على أرض الواقع وتجاوز الأنساق المغلقة.[1]

ولهذا فالواقع الراهن حسب موران يقتضي ابستيمولوجيا جديدة تتجاوز البساطة والانغلاق، وليس معنى ذلك بأن موران يرفض المنطق الأرسطي جملة وتفصيلا، وانما هو يعمد إلى التنويه بضرورة احداث تغيير بسيط فيه يتعلق بمبدأ الهوية، الذي عوض أن ينبني على عدم التناقض، لابد للهوية أن تنفتح على التناقض والمغايرة، وهو الأمر الذي ستكون له انعكاسات أنثروبو اجتماعية كذلك.

ان موران ينطلق في تحليله للمنطق العقلاني من نقطة أساسية وهي النظرة الأحادية التي قامت من خلال ابستيمولوجيا التبسيط على النظر إلى جزء واحد فحسب والاهتمام بمطابقته لنفسه وتركيزه على ذاته وبالتالي القيام بإبعاد كل الأجزاء والعناصر والذوات الأخرى، فالوثوقية الزائدة هنا تجعل الفكر ينحبس على تصوراته فيعطيها صفة التعالي ويعتبرها بالضرورة صحيحة صادقة، وبالمقابل يرفض كل ما يختلف عنه ويعتبره مخالفًا، ولذا فعوض النزول إلى الواقع والمطابقة مع ما يختلف يبقى الفكر حبيس أوهام خاصة، لهذا يدعوا موران إلى تجاوز هذا الأمر الستاتيكي والاتجاه نحو الواقع بما فيه من ديناميكية وحيوية، وكما سبق الذكر فموران استخدم لفظة العقلنة المغلقة للإشارة إلى أغاليط المنطق الكلاسيكية، وعلى الطرف الآخر لابد من القصد نحو

[1] بن ماضي فاطمة الزهراء، شريف رضا، براديغم التعقيد كرهان لاستشراف المستقبل في فكر ادغار موران، مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد08، العدد04، 2001م، الجزائر، ص203.

عقلانية منفتحة تقوم على نعرفة الحدود المنطقية أي حدود منطق الهوية الاستنتاجي، "أما المنطق الذي يقصي الغموض ويجتث اللايقين، ويطرد التناقض هو منطق غير مكتمل"[1].

ان المنطق الذي اتبعته الحداثة لم يكتمل وذلك لأنه انغلق ونظر إلى الهوية نظرة أحادية حصرها في عدم التناقض والثالث المرفوع، هنا فحسب انتصر للصورة على حساب المادة وسقط في البساطة رغم أن الطبيعة معقدة، فمنطق التبسيط حسب موران عمد إلى عزل كل ما هو معقد ولذلك سقط في العقلنة، والتبريرات الغير عقلانية، ولا يكون الخروج من هذا المأزق وفق موران إلا من خلال قلب المماثلة إلى مغايرة، والقصد نحو الواقع بما فيه من تعقد من خلال العقلانية المركبة التي تحمي المنطق كوقاية للفكر وتتعداه بصفته بتر للتفكير.[2] فالمنطق الأرسطي القديم قاد بتعزيز الاختزال والفصل كأساسين في المنظومة التبسيطية للعلم ولذا فالمشكلة التي تواجهنا ولابد أن نتصدّى لها هي أن نفكر في احترام المنطق وفي تجاوزه.

لهذا فمنطق الهوية الجديد عند موران يقبل النقيض ويتجاوز فكرة أ=أ، بل يستعين بالتصور الهيغيلي في أن أ=ب أو أ=لاأ وما للأمر من انعكاس على مستوى التفكير الإنساني، وتغي في النظرة إلى الذوات، ذلك أن المنطق السابق جسد المركزية والنظرة الفوقية المتعالية التي جعلت من الذات وبالأخص الذات الغربية تنصّب نفسها المركز باعتبار منطقها ينص على أنها الأفضل وأن هويتها ترفض النقيض، ولذا فهي في عين الوقت تنصب باقي الذوات هوامشا، لهذا على المنطق أن يغير مبادئه من أجل أن تتغير العقلانيات الإنسانية وما لذلك من انعكاس على الحضارة، فالهوية التي كانت متشبثة بذاتها، عليها التحرر من عقلنتها والاتجاه نحو الهويات الأخرى مهما كانت مناقضة لها.

[1] سعيدي عبد الفتاح: نقد العقل العلمي الحداثي عند ادغار موران، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد26، 2016م، الجزائر، ص343.
[2] المرجع نفسه، ص343.

المبحث الثالث: منظومة التبسيط ومساءلة موران النقدية لها:

في سياق مجابهة النموذج الكنسي المظلم الذي أخذ يسيطر ويتحكم في الانسان مخضعا إياه لحكم النص الديني الميتافيزيقي، انفجرت ابستيمولوجيات جديدة على غرار ابستيمولوجيا التبسيط من أجل تحرير هذا الكائن وإطلاق العنان لعقله وفكره نحو الابداع والتجديد والابتكار بما يحمله من قدرات، وذلك من خلال تفكيك واختزال الكل إلى أجزاء أبسط من أجل تسهيل عمليتي الفهم والمعرف. غير أن ادغار موران حمل مطرقة النقد على هذه المنظومة وذلك بسبب ما اعتراها من عيوب أخذت تهدد الوجود الإنساني وتسير به نحو الانتحار. ففيما تتمثل هذه المنظومة وماهي الأسس التي انبنت عليها؟ ثم ماهي المساءلات التي وجهها لها ادغار موران؟

2-1 في معنى التبسيط:

مشتق من البساطة وهي السهولة، والبسيط في اصطلاح الفلسفة يطلق في مقابل المركب، وهو يدل على الشيء الذي لا جزء له أصلا، كالوحدة والنقطة.[1] هذا حسب تشخيص جميل صليبا الذي اعتبره تلك الأجزاء الصغيرة والوحدات التي لا تقبل التجزيئ باعتبارها الأبسط، في مقابل ما يكون مركبا.

[1] صليبا جميل: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، دط، 1982م، ص209.

وقد أورده **أندري لالاند** في موسوعته الفلسفية معرفا إياه بأنه:" **جوهر فريد لطيف، يدخل في المركبات، البسيط يعني أنه بلا أجزاء**"[1] أي أنه لا يقبل ولا يحتاج إلى الانشطار لأنه يمثل أصلا أصغر الأجزاء المنشطرة، فالبسيط يطلق على كل ما لا نستطيع تقسيمه وتحليله إلى أجزاء أقل مما هو عليها، ولذلك يقابله المركب الذي في الأصل تكوّنه أجزاء بسيطة أي أنه أصغر الأجزاء المفككة.

ولفظة (Simplism) الفرنسية تشير إلى التبسيط نزعة ترمي إلى رؤية الأشياء أكثر بساطة مما هي عليه في الواقع[2]. ومعنى ذلك أنه لم يعد يطلق بشكل عفوي على كل الأجزاء الصغيرة، وانما أصبح يمثل اتجاها فلسفيا قائما بذاته يتعلق بكل ما هو مركب معقّد، يهدف إلى تحليله إلى أبسط عنصر فيه من أجل توضيحه أكثر، وهنا تتجلى بشكل أوضح مهمة العقل باعتباره الأداة التي تقصد إلى الأشياء وتطبق عليها عملية معينة للكشف عنها.

ان منظومة التبسيط باعتبارها منظومة حداثية فهي تتربع على جملة مبادئ كما ذكرنا من قبل أبرزها مبدأ الفضل أي التمييز بين الذات والموضوع، النفس والجسم، وإلى جانبه هذا المبدأ نجد كذلك مبدأ الاختزال، فالعقل الإنساني كما يشخص موران قد وقع في شباك هذه المنظومة، اذ يقول:" اننا نحيا تحت سلطان مبادئ الفصل والاختزال والتجريد التي تشكل في مجموعها ما أسميه بمنظومة التبسيط".

ويرتبط بالتبسيط مصطلح هام هو الاختزال وهو الحصر أي رد الشيء إلى خلية ومجموعة وحيز معين، فهو ارجاع الشيء إلى عناصره المقومة وتخليته من العناصر الغريبة عنه، كرد المذهب إلى مبادئه.[3] وبالتالي فهو عملية قوامها العود بالأشياء إلى أصل وجوهر أول يمثل حقيقتها، من خلال إزالة كل الشوائب المتعلقة بها، ولذا اعتبره لالاند: "عود إلى العناصر القديمة والأساسية، وهو عود يصوّب الملابسات والتعقيدات اللاحقة".[4] فهو الآخر إذا هدفه السعي لإزالة الغموض وبلوغ الدقة عبر ردّ الأفكار وارجاعها إلى حقائقها الأساسية، وهنا يرادف التبسيط، فالاختزال وُجد من أجل التبسيط، ذلك أن الوقائع والأفكار لو كانت جليّة قابلة للفهم لما

[1] لالاند أندري موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ص 1295.

[2] مدكور إبراهيم: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص37.

[3] صليبا جميل: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص612.

[4] لالاند أندري: موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ص1184.

احتاج الانسان إلى اختزالها فيما هو بسيط. ولذا لابد من الاختزال والتحليل من أجل تبسيط الأمور، اذ حينها فقط يزول اللبس والغموض، وبالتالي يحتل اليقين والجلاء كل شيء.

ومع أن هذه المنظومة كما أشرنا سالفا قد تجلت في الفترة الحديثة خصوصا مع ديكارت، إلا أننا نلمح كذلك بروزها في الفلسفة اليونانية خصوصا مع ديمقريطس الذي عمد إلى ردّ الكون إلى أجزاء بسيطة مصغرة تتمثل في الذرات، فكل ما ينطوي عليه الوجود الخارجي متناهي في الصغر سواء كان ماء أو هواء أو حتى ذرات متطايرة في أشعة الشمس تجسد التبسيط[1]. فلا يجب النظر اليها باعتبارها كل مركب وانما لابد من النظر إلى طبيعتها الأصلية باعتبارها عناصر مجزأة، ولعله الأمر الذي امتد فيما بعد إلى الفترة الحديثة وشكّل عقلية الحضارة الغربية التبسيطية الاختزالية.

2-2 مبادئ ابستيمولوجيا التبسيط:

ان العلم الكلاسيكي قاد إلى الفصل بين الظواهر وعمد إلى تجزيئها إلى حد استعصاء الربط بينها وذلك بفعل خاصية الاستقلالية، التي وضعت حدود لكل الظواهر المجزأة، بل أن هذا الأمر امتد وطال جوانب المعرفة التي لم تعد تتسم بالترابط والتفاعل، وانما تفرعت وانقسمت إلى تخصصات كثيرة أثرت عليها بشكل كبير، ويمكن ارجاع ذلك إلى مبادئ معينة تأسست عليها ابستيمولوجيا التبسيط وهي:

أ- النظام:

كما سبق وأن أشرنا من قبل إلى أن النظام يعد أحدد أسس ودعائم العقلانية الحديثة ولذلك فهو أساس تبسيطي بامتياز، ذلك أنه ينصب على فهم الظواهر باعتبارها منظمة بناءا على جملة من الأسباب المترابطة، الأمر الذي يجعل منها حتمية بشكل مطلق، لا يمكن فهمها إلا من خلال روابط ومعادلات رياضية، ولذا فالنظام في حد ذاته يقوم على ثلاث أسس:

[1] كرم يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص38.

- **السببية الخطية:** هو مبدأ يطلق للدلالة على أن هناك تراتبا وتناسبا بين المنطلقات ونتائجها، وذلك معناه أنه اذا ما اطلعنا على النتيجة أدركنا وكوّننا فكرة مسبقة عن منطلقاتها، فالسببية احدى المبادئ العقلانية وهي كلمة متلازمة دوما مع كلمة معلول،[1] فالعلة تشير إلى أن الوقائع لا تحدث بشكل اعتباطي وانما لكل نتيجة سبب مسؤول عن حدوثها، سابقة عنها ومتسببة في وقوعها.

ان مبدأ السببية مبدأ قديم استعان به الانسان عند تعرفه على ما يحيط به في العالم الخارجي، فلا شيء يحدث لوحده دون أسباب أحدثته،بل أن كل ما يصادف الانسان من ظواهر وأحداث لا محالة تسبقها عللها وأسبابها، ولذا فالسببية كما حدد كانط لها صيغتين: أولاهما الحدوث أي الاتصال والترابط، فما يحدث من معلول لابد له سابقا من علة. وثانيهما التتابع والتعاقب الزمني.[2]

وإذا كان هذا المبدأ تبسيطي اختزالي، فليس معنى ذلك أنه حديث النشأة وانما له جذور قديمة تعود إلى المنطق الارسطي، وأخذت في الارتحال عبر مختلف الأزمنة وعلى مستوى مختلف جوانب الفكر الإنساني، لذلك استعان به الفلاسفة والعلماء على حد سواء. وانبناء التبسيط على السببية الخطية ينص على اختزال وتبسيط الظواهر الفيزيائية وردّها إلى أسباب وعلل مادية يتعين التعامل معها ودراستها والتحقق منها بشكل مادي استقرائي، وحتى التعبير عنها في ثوب رمزي.

- **الحتمية المطلقة:** من الحتم وهو القضاء أو إيجاب القضاء اللازم،[3] فالحتمية مبدأ عقلي ينص على أهمية الشروط، ذلك أن كل ظاهرة من الظواهر الطبيعية مقيدة بشروط توجب حدوثها،

هي مجموع الشروط الضرورية لحدوث احدى الظواهر،[4] فالظواهر ليست عشوائية وانما وفق نظامها تربطها علاقات تتسم بالثبات ولها شروط.

ان أحداث الكون ليست منفصلة بل تمتاز بالاتصال، والحتمية بناءا على هذا الاتصال تنص على أن كل حادث يقع لابد له من شروط اذا ما توفرت سيقع بالضرورة، أي أن تكرار نفس الأسباب سيؤدي حتما إلى وقوع نفس النتائج، فالحتمية هي تكرار للسببية والعلية، ومع أن ارسطو أشار اليها في البيئة اليونانية القديمة

[1] لالاند أندري: موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ص154.
[2] المرجع السابق، ص154.
[3] صليبا جميل: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص442، 443.
[4] المرجع نفسه، ص443.

إلا أنها برزت بشكل جلي وعُرفت نتيجة التقدم العلمي والرياضي. فالعلم وضع بتلءا على مبدأ الحتمية، لذلك اصطبغت به الفيزياء التي تمكنت من خلاله من فهم ظواهر الطبيعة وبالتالي إمكانية التنبؤ بالمستقبل.

ان ظواهر الطبيعة مطردة منتظمة والتمكن من فهم أسبابها وشروط حدوثها وفق معيار حتمي سيمكن حتما من توقع ما سيحدث آجلا، ذلك أن ما حدث في الماضي وما يقع الآن في الحاضر، سيكون هو نفسه في المستقبل، فالمستقبل هو صورة واحدة للحاضر والماضي، وهذا ما أكد عليه مفكرون عدة على غرار لابلاس الذي في سياق سعيه إلى فهم الكون، اختزله في جسيمات صغيرة بسيطة، معتبرا حالته الراهنة نتيجة لحالة ماضية وسبب لحالة ستأتي في المستقبل القريب.

فالحتمية وما قادت اليه من إمكانية لتوقع حدوث الظواهر، ساعدت الانسان وفق هذه المنظومة على كشف غوامض العالم وبالتالي التمكن من السيطرة عليه والتحكم فيه، فنحن اليوم لا نتوسل إلى الطبيعة بل نحكم فيها لأننا اكتشفنا بعض أسرارها...اننا نتحكم فيها بواسطة قوانين لا يمكن أن تطعن فيها لأنها قوانينها هي نفسها.[1]

- **التجريد والتعميم**: يتعلق الأمر هنا بالمعادلات الرياضيات التي تساعد على فهم ظواهر العالم الخارجي، فالتجريد هو القيام بعملية ترميز وترييض للواقع، والمقصود من ذلك إضفاء جانب الدقة والضبط على تفسير ظواهر العالم، ذلك أن الاعتماد على الكيف سيقدم صورة متشابكة مضببة للظواهر، أما الضبط الكمي الرياضي فوحده ما سيقدم صورة واضحة مضبوطة، ولذلك فالتجريد هو أخذ ذلك المدلول المادي وتبسيطة واختزاله في قالب رياضي، فالرياضيات أضحت هي اللغة الرسمية للعلوم، وصارت النموذج الذي تطمح حتى العلوم الإنسانية إلى بلوغه وذلك لما فيه من دقة وضبط وما يمنحه من يقين، ولذلك كانت خير أداة زود بها الفكر اليوناني أوروبا من أجل النهضة وإنتاج الثورة العلمية، وعلى وجه الخصوص الرياضية الفيثاغورسية.[2]

أما التعميم فيتعلق بالأسس التي وفقها يتمكن العقل كأداة لفهم العالم يتمكن بواسطتها من عملية القراءة، هذه العملية التي لا يتم إلا من خلال منهج أساسي يعصم الفكر من الوقوع في الخطأ وهو المنطق،

[1] بوانكاريه هنري: قيمة العلم، تر: شغموم الميلودي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، 2006، ص98.

[2] تارناس ريتشارد: آلام العقل الغربي (فهم الأفكار التي قامت بصياغة نظرتنا الى العالم)، تر: جتكر فاضل، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الامارات، ط1، 2010م، ص347.

ومع أنه انطلق منذ الطرح الأرسطي استنباطيا، إلا أنه ومع التطور العلمي اتجه نحو الاستقراء باعتباره ينصب على دراسة الوقائع ماديا علميا مخبريا تجريبيا، الأمر الذي يحقق الدقة والضبط.

والتعميم يتعلق اذا بالاستقراء وبالضبط النوع الثاني منه وهو الاستقراء الناقص الذي يتم فيه الانتقال من دراسة عينة من الظواهر وهي العينة المتوفرة، ثم تعميمها على العينات المشابهة لها، أي توزيع الحكم على باقي الجزئيات، فما دام صلُح على ما هو متوفر، وما هو متوفر يحمل نفسخ صائص ما هو غائب، اذا معناه أنه يصلح وبالامكان نقله وتعميمه. ويحضر التبسيط من خلال الانطلاق من أجزاء منفصلة بسيطة ثم الارتقاء منها إلى الكل أي إلى فهم تكوين العالم.

ب:مبدأ القابلية للانفصال:

ان الميزة التي انفرد بها العلم الكلاسيكي هي قيامه على الفصل التام بين عناصر ومكونات الظواهر وهذا الأمر انبثق منذ الثورة العلمية للقرن السابع عشر وما حققته ميكانيكا نيوتن من نجاح، وبالتالي وقع الانفصال بين الذات والموضوع.

مما هو مؤكد أن بذرة الحداثة تعود إلى ديكارت باعتباره فيلسوف العقلانية الذي وضع كل ثقته في هذه الملكة واعتبرها أهم شعلة منيرة لظلمات العصور الوسطى، وما كان الانسان يتخبط فيه من سراب كنسي لاهوتي، ولذلك فهو الذي أيقظ الوعي من سباته، كل ذلك بواسطة منهج الشك، اذ بمجرد جهر ديكارت بعبارة: **" أنا أشك، إذا أنا أفكر، إذا أنا كائن مفكر متميز عن المادة والجسم"**[1] فصل بشكل صريح بين الذات والموضوع، فالنفس متميزة مرتقية ومبتعدة عن الصفات المادية، لهذا تعد شيء مختلف تمام الاختلاف عمّا هو ممتد أي عن الجسم، اذ تبقى شيئا مجردا، في حين الجسم يمثل كيانا ماديا، لهذا لا يمكن لأي سبب كان المطابقة بينهما، لأن النفس في ارتباطها بالفكر مُنحت على الحرية والاستقلالية، أما الجسم فلأنه يشغل حيزا ويتخذ شكلا شأنه شان باقي موجودات العالم الخارجي، فإن الكشف عن أسرار هذا العالم تمكننا لا محالة من معرفة وكشف أسرار هذا الكائن الإنسان كذلك، وذلك لأن القوانين التي تحكمه هي نفسها قوانين الطبيعة.[2]

[1] ديكارت رينيه: حديث الطريقة، تر: الشارني عمر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008م، ص166.

[2] فضل الله مهدي: فلسفة ديكارت ومنهجه (دراسة تحليلية ونقدية)، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1996م، ص118.

ان هذا الفصل هو نفسه الذي جسد استقلالية العلم عن الفلسفة، فالعلم الذي كان تحت رحمة مبادئ الميتافيزيقا، نال من خلال منظومة التبسيط أخيرا جائزة التحرر أين تمكن من اتخاذ منهجا ولغة خاصين به فحسب، فاستقر في عالم الميتافيزيقا، وهذا ما يمثل الفصل بين الذات المفكرة (Ego-cogitans)، والشيء الممدود (Res-extansa)، وهي المنظومة القائمة على الفصل والاختزال والتجريد كما شخصها موران، والتي انبثقت ديكارتيا في القرن 17م وامتدت بأثر وتقدم كبير في الفكر الغربي، حتى القرن 20م أين بدأت تفقد بريقها وتنفتح على الضرر[1]

لقد كان لإحداث الاستقلالية والانفصال بين ما هو مادي وبين ما هو معنوي أي بين الفلسفة والعلم، كان له أثر وفضل كبيرين في احداث النقلة والتطور على مستوى العلم من خلال تحقيق نتائج عديدة ذات فائدة على الإنسانية، وبالضبط ما يتعلق منها بفهم العالم الخارجي. غير أن الملاحظ هو أن الهوة تعمقت والفراغ اتسع أكثر بين الذات والموضوع، بين النفس والجسم، العلم والفلسفة، وذلك نتيجة خاصية الاختزال وكيف أنها حصرت العالم الخارجي ضمن مبادئ منظمة مغلقة ترفض الانفتاح والتغير، الأمر الذي قاد إلى أزمة متعددة التفرعات، منها ما هو أنطولوجي ومنها ما هو ابستيمولوجي ومنها ما هو سوسيولوجي حتى.

والقصد من الإشارة إلى ديكارت هنا ليس التركيز على تتبعه هي في حد ذاته، وانما اعتماده كمنطلق استهل به موران مساءلته النقدية البنائيّة، اذ انطلق من توجيه نقد لاذع صريح لمنظومة التبسيط القائمة على الاختزال، فالبراديغم الديكارتي قام بالتعويل على العقل وجعله المصدر الوحيد لكل شيء، وبما أن هذا العقل يستند على البداهة وما فيها من بساطة، فقد أكد بذلك ضرورة العودة إلى تفكيك ظواهر العالم الخارجي إلى أبسط مكوناتها من أجب فهمها وتعقّلها، وبالتالي بلوغ اليقين والحقيقة. ومما لا يدعوا إلى الشك هو أن النية الديكارتية كانت حسنة خيّرة، إلا أن مآلاتها لم تسر كما كان مخطط لها، ولذا فالعلم الذي ساد في الفترة الكلاسيكية قام على أنموذج لم تدم آثاره الإيجابية بل امتد إلى غاية القرن العشرين وهناك سقط في دوامة أزمة.[2]

[1] موران ادغار: الفكر والمستقبل مدخل الى الفكر المركب، المصدر السابق، ص15.

[2] Morin Edgar ; Méthode 1, la nature de la nature, paris, edition du seuil,1977,p95.

ثانيا: انتقادات موران لمنظومة التبسيط:

لقد تفطن ادغار موران إلى أن المنظومة الفكرية الغربية قد طالها العمى في الفترة الحديثة ومرورا إلى الفترة المعاصرة، وذلك ان دلّ على شيء فهو يدل على التعظيم الكبير والوثوقية المغلقة فيما أفرزته العقلانية الكلاسيكية من تبسيطّ وما أدى اليه من عجز فكري، فالعلم الذي جاء من أجل تنوير حياة الانسان من خلال منحه قدرات تنموية إيجابية فعّالة، هو نفسه الذي افتضحت حدوده، وذلك لأن المبادئ التي قام عليها وهي مبادئ الفصل والاختزال لم تعد تسمح باستيعاب التعقد، ولذلك فالمسار الآن ينحدر نحو الموت.[1]

إن الفكر الغربي عند ادغار موران وقع بدءا من ديكارت ضحية فخ أحادي يركز على إعطاء الأولوية للجزء على حساب الكل، والعمل الاستقرائي المعزول على التأملات الفلسفية المتحررة، ولعله الأمر الذي عصف بالحضارة الغربية ككل، وجعلها تعاني الاعتلال والسقم، بل أن المعرفة الإنسانية نفسها طالها الاحتضار وذلك نتيجة العقل وما فيه من ذكاء أعمى Intelligence aveugle،[2] هذا الذكاء الذي عاد بالإنسانية إلى عصرها الأول فصبغها بالبربرية والهمجية، وكل ذلك تحت لواء منظومة التبسيط، هذه المنظومة

[1] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟، المصدر السابق، ص26.

[2] الخويلدي زهير: تعقد الطبيعة البشرية عند ادغار موران، المرجع السابق، ص1407.

التي أحدثت الفصل فحللت بذلك كل جزء منغلق متقوقع على ذاته يرفض أي وسيلة للاتصال ببقية الأجزاء الأخرى، وهو الأمر الذي حاد بالوضوح واليقين عن مساره، وبالمقابل أخذ يسير نحو الضبابية واللافهم.

لقد أضحى الذكاء العمى الذي أفرزته منظومة التبسيط يتخبط أمام فهم وتصور الكل، وذلك لأن نظرته سطحية تجزيئية، لذلك صار التعرف على الكون وما فيه من موجودات أمرا مؤجلا ان لم نقل مستحيلا، وذلك لأن العلاقات تقوم على ربط الكليات ببعضها البعض، وهكذا فحسب نصبح ضحايا فكر انساني يتخبط ضمن حلقة مفرغة.[1] ذلك أن هذا الذكاء يقصد في اختياراته كل ما هو مألوف ومهم بالنسبة اليه هو فحسب، أما ما يمثل الغرابة وما يبتعد عن مقاصده فهو مقصي، فكل ما هو يقيني مثبت واضح، ثابت ينال القبول والرضا، وعدا ذلك يُلقى به. لهذا السبب فقط اتسمت معارفه بالسهولة.[2]

لقد توصل العقل الأنواري وفق تشخيص موران إلى الأسلحة النووية والحرارية وما قادت اليه من حروب عوض أن يحق السلم والأمان، وتمكن من حصد الجهل والظلام والتخلف في الوقت الذي كان عليه بلوغ التقدم والرقي، ولذا صار يفتك بالوجود سواء كان انساني أو بيئي، اذ أخذ سير بهما نحو الزوال والاضمحلال. كل ذلك لأن نظرته تأسست على منهج تبسيطي، اذ يقول:" **ترتبط أخطر التهديدات التي تتربص بالبشرية يالتقدم الأعمى وغير المتحكم فيه للمعرفة (أسلحة حرارية، نووية، تلاعبات في كل الأنواع، خلل بيئي، الخ)**" [3] ولهذا السبب عمد موران إلى تقديم مساءلة نقدية للمعرفة التي تتلون بها الحداثة لأنها معرفة مضللة تحتاج إلى التوجيه، ومريضة لابد لها العلاج.

ان التبسيط الحداثي عند موران تمكن من بسط نفوذه وتحقيق الهيمنة أنطولوجيا ومنطقيا وابستيمولوجيا وأنتروبواجتماعيا وسياسيا. فعلى الصعيد الانتروبولوجي نجده قام بالانبناء على كيانات مغلقة جسّدت الهوية والتماهي والفصل التام بين الذات المفكرة والموضوع المفكر فيه؛[4] ومن حيث المستوى المنطقي يبرز المنطق الأحادي القائم على المطابقة التامة، والرافض لأي شكل من أشكال المغايرة والتناقض. أما على المستوى

[1] المرجع نفسه، ص1408.

[2] خليفة داود: نحو ابستيمولوجيا حوارية، سلسلة الأنوار، المجلد09، العدد02، نوفمبر2019م، ص25.

[3] موران ادغار: الفكر والمستقبل مدخل الى الفكر المركب، المصدر السابق، ص13.

[4] المصدر نفسه، ص05.

الابستيمولوجي نجد أن منظومة التبسيط لعبت الدور التحققي لحارس الحدود أو الدور الكابح للدركي.[1] ليأتي في الأخير الصعيد الأنتروبواجتماعي والسياسي فقد جسّدت هذه المنظومة للتمركز الذي ينصب على تمجيد الذات والتغني بانجازاتها وبالمقابل التعالي على الذوات الأخرى، فعوض القيام بالتواصل والتفاعل معها يتم الابتعاد والتخلي عنها.

في كتابه الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب وقف موران على أهم عيوب براديغم التبسيط وابستيمولوجيته المغلقة التي تقود الإنسانية إلى هلاكها، حتى يتسنى له بعد ذلك اقتراح البراديغم الجديد الذي يراه أنسب وهو براديغم التعقيد والتركيب، فالاختزال بالنسبة اليه ولكونه أداة تبسيطية تمسك بالثبات والنظام والهوية، وللك عوض فهم العالم اندفع إلى تعقيده وتشويه فهمه أكثر، كيف يتم فهم عالم انتشرت فيه اكتشافات جديدة على غرار فيزياء الكوانطا وفيزياء الأنظمة المختلة والفلسفات والابستيمولوجيات والعلوم النسقية؟ هل يمكن فهمه بمنهج التبسيط؟

ان ابستيمولوجيا التبسيط أفضت حسب موران إلى ثلاثة عشر نتيجة[2] ركّز من خلالها على ابراز عيوب هذه المنظومة:

1- مبدأ العالمية: وفي هذا تركيز على كل ما هو عام، وطرب بالمقابل لكل ماهو محلي مفرد.
2- القضاء على اللارجعة التاريخية: أي اقصاء كل ما يتعلق بالحدث والتاريخ.
3- مبدأ تقليل وتقليص المعرفة الكلية إلى معارف ووحدات جزئية بسيطة.
4- مبدأ اختزال وتحديد المعرفة وفق مبادئ منظمة.
5- مبدأ السببية الخطية باعتباره مبدأ متوفق وخارج عن الأشياء.
6- السيادة التفسيرية المطلقة أو كما أطلق عليها موران مبدأ الحتمية العالمية.
7- مبدأ الفصل بين الكائن والبيئة.
8- مبدأ الفصل المطلق بين الذات المدركة والموضوع المدرَك.
9- مبدأ إزالة إشكالية الموضوع في المعرفة العلمية.

[1] المصدر نفسه، ص05.

[2] Edgar Morin, science avec conscience,p 305-306.

10- إضفاء الطابع الرسمي والتحديد الكمي وما له من قضاء على الوجود.

11- لا يمكن تصور أي حكم ذاتي.

12- مبدأ الوثوقية المطلقة للمنطق كأساس لبلوغ الحقيقة الجوهرية للنظريات، وتجاوز أي تناقض يظهر.

13- ضمن خطاب أحادي المنطق، لابد من التفكير في حدود أفكار واضحة.

فالتبسيط عمد إلى الفصل بين كل الثنائيات والمجموعات ونظر إلى المعرفة نظرة أحادية جعلها تسقط في التشظي والتلاشي، ذلك أن التجزيء يقود إلى التشويه بالامر، ولذلك أصيبت المعرفة بالعطب وهذا ما أطلق عليه موران اصطلاح **"باطولوجيا المعرفة"** La pathologie du savoir وأضحى العقل أعمى لا يفقه طريقه، ولا يدرك في أي مسار هو يسير، لذا غالبت الضبابية والعشوائية على فترة الحداثة وأضحت الذات الإنسانية فيها تعايش التبعثر، فما انطلق فيها من اختزال وتبسيط ابستيمولوجي طال وامتد إلى مجالات عديدة كما أشار إلى ذلك موران من قبل وأبرزها الجانب الهوَوي الذي أضحى سجين التشتت والانفصال عن ذاته وخصوصياته وعن غيره وواقعه. ولذا من الواجب تجاوز هذه المنظومة لأنها جعلت الانسان يتخبط ضمن واقع متأزم. فأخوت ذاته من معناها وذلك وفق منطق ضيق يقوم على النظرة الجزئية ومعيار البداهة، فالمناقشة ضرورية لما خافه الفكر الأوروبي من ارث أنواري خصوصا ما تعلق منه بالمعنى[1].

ويعد **غاستون باشلار*** Gaston Bachelard أكثر مفكر قدم ابستيمولوجيا قريبة لما قدمه موران في هذا الصدد، ذلك أنه وفي كتابه "الفكر العلمي الجديد" ركز هو الآخر على توجيه النقد اللازم للفكر الديكارتي التبسيطي وذلك لأنه فكر ضيق ليس بإمكانه القيام بتقديم تفسير للظواهر الفيزيائية وبالتالي فهو يفتقر للاستقراء فطريقته ارجاعية فحسب، وهو الأمر الذي يتسبب في خطأ التحليل وبالتالي عرقلة نمو التفكير الموضوعي بشكل شمولي.[2] وهو في هذه النقطة يوجه انتقاد صريح لفكرة التحليل والتبسيط، ذلك أن الوصول إلى العلم يحتاج إلى الجمع والتوليف بين العناصر في بناء كلّ متكامل وليس القيام بتجزيئها وتفكيكها، فلا

[1] الفيلالي أبو بكر: العلم في مواجهة الفلسفة التقليدية أو موران ضد ديكارت، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المغرب، ماي 2023م، ص01.

* فيلسوف فرنسي. وأحد أهم الفلاسفة الفرنسيين1884م/ 1962م وهناك من يقول أنه أعظم فيلسوف ظاهري، فقد كرّس جزئاً كبيرًا من حياته وعمله لفلسفة العلوم، وقدّم أفكارًا متميزة في مجال الابستمولوجيا.

[2] باشلار غاستون: الفكر العلمي الجديد، تر: العوا عادل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983م، ص139.

يمكن الإقرار بوجود جزئيات أو أفكار بسيطة، لأن البسيط لا يقود إلى بلوغ العلم، فالعلم مركب متشابك معقد.

ان العالم الذي نعيش فيه يمتاز بالتعقيد، وهي نفس الفكرة التي اتفق حولها باشلار وموران، اذ سيتعذر علينا النظر اليه بنظرة تبسيطية، فحتى الأفكار البسيطة لا يمكن فهمها إلا في سياق بناء واطار كلي مركب، ولذا فلا وجود إلا للتركيب والتعقيد، وما قدمه ديكارت كمنظومة تبسيطية لا يواكب روح العلم وجوهر الحقيقة، اذ يقول باشلار: " **والواقع ليس ثمة ظاهرات بسيطة، وكل ظاهرة هي نسيج علاقات، لا توجد طبيعة بسيطة، جوهر بسيط، بل الجوهر هو ترابط صفات، لا توجد فكرة بسيطة، لأن على الفكرة البسيطة...أن تضمها منظومة أفكار وتجارب لتُمسي مفهومة**"[1].

ولذلك فالفكر العلمي الجديد الذي يدعو ا اليه باشلار يتأسس على التكامل والتعقيد، فالتعقيد هو السمة التي على العلوم المعاصرة أن نتحلى بها، وذلك حتى تخرج من الأزمات التي أسقطتها فيها الكلاسيكيات الحداثية.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن المشروع الابستيمولوجي الموراني قدّم تصور جديد متميز، حتى وان كانت التقاءات مشابهة لمواقف عديد المفكرين، إلا أنه تميز عنهم ببصمته ونظرته الشمولية، اذ بلور عمله من خلال الوقوف في البداية على نقائص ومؤاخذات ابستيمولوجيا التبسيط، ثم القيام بعدها بعرض البديل المتمثل في التعقيد وذلك ليس بقص الأمر وحصره على كفة وجانب واحد كما نلمح ذلك عند باشلار مثلا الذي نظر بنظرة كاملة تركيبية إلى مجال العلم فحسب، وإنما عبر مختلف جوانب ومجالات المعرفة، ولذا كانت ابستيمولوجيته بل فلسفته ككل فلسفة كلية مركبة معقدة.

[1] المرجع نفسه، ص148.

نتائج الفصل:

1- ان موران ومن أجل مشروع مكتمل حمل منذ البداية وفي الشق الأول من عمله مطرقة النقد على حال الحداثة الغربية وما انطوت عليه من مبادئ أبرزها العقلانية التي وعدت الإنسانية بتعديل جوهري لوضع الكائن العاقل، عبر انزال الاهتمام من السماء اليه، ولفت العناية لأهم ملكة يتوفر عليها، وما لها من نقلة نحو التطور والانجاز العلو- تقني.

إن الأمر الذي لابد التنويه اليه أنه بالفعل مكنت مبادئ العقلانية إلى جانب النزعة الإنسانية والمتمثلة في نزعة الفردانية التي أعادت الاهتمام إلى الذات الإنسانية وإزالة اللثام عن جوانبها المضيئة بعد عصور الظلمات السابقة التي أخفتها، مع ثالث المبادئ والمتمثلة في الحرية وطابع الاستقلال الإنساني والسعي نحو الانفلات والارتقاء إلى منازل أكثر رقي وتطور، هذه المبادئ في نفس لحظة تحقيق النقلة نحو الأمام، أزمت

الوضع كذلك وخلفت نتيجة التعجرف والتعالي المغتر لدى الانسان أوضاع حضارية مزرية، اذ طال العضال الحضارة الغربية، ولذلك فالمبادئ التي قدمت وعود بالإصلاح انما ارتدت في النهاية إلى مفاعيل عكس ما تم التخطيط له وهو الأمر الذي قام به نقاد الحداثة وأبرزهم موران.

2- ان الأوضاع الجديدة المزرية التي طالت الحداثة دفعت موران إلى التنويه لاصطلاح ووضع جديد أطلق عليه تسمية "القلق الحضاري" فهو قلق حداثي بامتياز، جعل من الذات الإنساني تعاني الضياع والتلاشي، ولعل السبب في ذلك يعود إلى ضبابية حال الحاضر بفعل نتائج العلم والتقنية، اذ الانسان وقد انطلق من حال سابق في الماضي خاضع لسوء الفهم والتقدير، الأمر الذي انعكس على الحاضر هو الآخر، وبالتالي فعوض تحقيق وبلوغ السعادة أخذ الانسان يسقط في كهوف الحزن واليأس والشعور بالاغتراب عن ذاته وغيره وعالمه، ولذلك فهذا القلق الحالي انما يهدد الإنسانية بالزوال عند موران وهو الدافع الأساسي للبحث على سبل العلاج الأنسب لحاضر ومستقبل الإنسانية.

ان مختلف الوقائع التي تشهدها حضارة الحداثة عند ادغار موران انما تعود إلى الثقة التي وضعت في غير محلها عبر الاتكال على ابستيمولوجيا التبسيط الديكارتية، فهي أنموذج متميز ومبتكر أسقط دهاليز اللاهوت، غير أنه في الواقع عمد إلى تجزيئ الظوار والنظر اليها كعناصر منفصلة مستقلة عن بعضها البعض، وهو الأمر الذي انعكس على حال الانسان هو الآخر اذ أضحت العلاقات الإنسانية مجزئة مقتطعة متصدعة، عوض التلاقي والاتحاد استبد الصراع والنزاع، ولذلك قام موران بوضع هذه الابستيمولوجيا في ميزان النقد عبر تحليلها وتفكيكها والوقوف على أهم النقاط التي قادت حضارة اليوم إلى العضال. فالذكاء الذي صار أعمى ويقود الإنسانية إلى حال من الهمجية والبربرية انما هو في حاجة إلى بديل وإصلاح شامل بالتغيير كفيل.

الفصل الثاني: براديغم التعقيد وبداية التشكل الهوياتي

المبحث الأول: براديغم التعقيد عند موران

- ✓ **أولا: التعقيد ونظرياته**
- ✓ **ثانيا: مبادئ براديغم التعقيد**

المبحث الثاني: في قلب أزمة الإنسانية الكوكبية

- ✓ **أولا: في طبيعة الأزمة الإنسانية**
- ✓ **ثانيا: الإنسانية نحو مستقبل محتمل غير محتمل**

المبحث الثالث: الإنسانية نحو احياء جديد

- ✓ **أولا: الوضع البشري من التأصل إلى الانبثاق**
- ✓ **ثانيا: إنسانية الانسانية**

إن سعي الانسان باعتباره كائن عاقل مفكر إلى فهم العالم وتفسير ما يحيط به من ظواهر ووقائع من خلال اللجوء إلى التبسيط والاختزال قاد إلى نوع من الصورنة وأفشى حالة من التأزم في مرحلة الحداثة، ولذلك أصيبت المنظومة المعرفية ككل بالاعتلال وطالها السقم، وهو الأمر الذي جعل مفكرين عدّة وأبرزهم ادغار موران يواجهون تحدي كبير يتطلب من ناحية الوقوف على أزمة الحاضر وما ساهمت فيه منظومة التبسيط من تردي حضاري وذلك من خلال مهمة تقييمية تقف على أخطاء العقل الحداثي وانحرافاته التي ساهمت في الحياد عن الأهداف المرجوّة، ومن ناحية ثانية وهي الخطوة الأهم ضرورة الإصلاح والتقويم وذلك عبر اقتراح الترياق الأنسب الذي يساهم بعد تشخيص الداء في شفاء ومعالجة وضع الإنسانية ككل.

ولذلك فالبديل الذي جاء به موران من أجل النهوض بالوضع الحداثي الغربي ارتكز بالدرجة الأولى على ضرورة انشاء منظومة وابستيمولوجيا جديدة تتجاوز الاختزال وترتقي نحو التركيب والتعقيد، وما لذلك من شأن في تغيير حال الفكر واخراجه من انغلاقاته ومبادئه الجامدة نحو حال ووضع جديد عالمي كلّي معقد.

ان المنظومة التركيبية التي جاء بها موران تأسست بناءًا على نظرة تفاؤلية تجاه المستقبل، نحو التغيير والإصلاح لحال الإنسانية جمعاء، ولذلك انصبت جهوده بالدرجة الأولى على الرؤية التوحيدية التي تتجاوز الانفصال المطلق، لهذا انبنت رؤيته حول هوية إنسانية واحدة تجمع الكل تحت راية هي نفسها، فمادام العالم يخضع للتعقيد، فإنه من الضروري تجسيد هذا التعقيد على الهوية كذلك، وذلك عبر نقلها من الوضع الحداثي الذي اختزلها في السياق الذاتي الفردي المنقسم، إلى حال جديد يتميز بالشمولية والكونية أي الكوكبية.

ففيما تتمثل استراتيجية ادغار موران التعقيدية؟ وكيف ارتقى من خلالها نحو تشييد هوية إنسانية مركبة؟

المبحث الأول: براديغم التعقيد عند موران

أولا: التعقيد ونظرياته:

1- التعقيد: Complexe

يعود في الاشتقاق العربي اللغوي إلى الفعل الثلاثي عقّد، يعقّد، تعقيدا، فهو كلمة تدل على ما هو غامض، متشابك، ملتبس، يتوفر على التركيب والتداخل.

أما في اللغة الفرنسية فالتعقيد Complexe في أصلها تعود إلى كلمة Complexum والتي بدورها اشتقت من اللفظ اليوناني Complexus الذي يحمل معنى الاحتواء. من الفعل "حوى" بمعنى تشابك وانعطف[1].

أما من الناحية الاصطلاحية فهو ذلك النسق الطبيعي أو المنطقي المركب كم عناصر متمايزة، ومنتظم بعلائق محددة.[2] ولذلك فالتعقيد هو ذلك الفكر الذي يعمد الة دراسة البناء والنسق في صورته الكلية المركبة، القائمة على جملة من الأجزاء المتصلة والمترابطة والتي لا تكون واضحة إلا إذا تفاعلت وتواصلت فيما بينها.

وقد خصص له **ادغار موران** جزءا كبيرا من اهتماماته وأشار اليه في عديد الكتب معتبرا إياه **نسيج** (فهو ما نسج ككل)، أي جملة الأحداث والأفعال والتفاعلات والارتدادات والتحديدات والمصادفات التي تشكل عالمنا الظاهراتي[3].

إن التعقيد بالنسبة إلى موران لم يعد منحصرا في خانة الجواب فهو ليس متفرع عن مسألة مفاهيمية دلالية، وانما أصبح يمثل مشكلة لابد لها من تصدي ومواجهة، أي من الضروري إيجاد مخرج مناسب لها، اذ يقول: **" سأقول أولا بأن التعقيد بالنسبة لي هو التحدي لا الجواب"[4]**، فقد اعتبره الأنموذج الجديد الذي تحتم اللجوء اليه بسبب عجز البراديغم التبسيطي السابق عن مسايرة الواقع، والقيام بتفسيره ومن ثم فهمه على أكمل وجه، لهذا السبب حضر التعقيد انبثاقا من الواقع الأزماتي الذي يحتاج إلى معالجة.

---

[1] بنكيران رضا: التعقيد، شبكة قراءة للعالم المعاصر، 2024/07/08، 14:50، www.archipress.org/raed/page .

[2] لالاند أندري، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص189.

[3] Edgar Morin: Introduction à la pensée complexe, éditions du seuil,paris,2005,p21.

[4] موران ادغار: الفكر والمستقبل، المصدر السابق، ص101.

ان باطولوجيا الفكر والمعرفة التي تفشت في البيئة الغربية انما تأتت بفعل البراديغم التبسيطي السابق الذي اختزل كل شيء في سياق أطر محددة فاصلا بين كل الأجزاء ومجسّدا للتضاد بينها، اذ يقول موران: **"ان الباطلوجيا الحديثة للفكر تعود إلى الافراط في التبسيط، والذي يعمينا عن تعقيد الواقع".**[1] لهذا السبب يتقدم براديغم التعقيد باعتباره يؤسس لضرورة ردّ الجزء إلى كلّه، وأهمية الجمع بين الثنائيات مهما بلغت درجة التناقض بينها، لأن هذا وحده ما سيمكن من تجاوز التراجع والصراع الحضاريين.

ان التعقيد بالنسبة إلى موران هو المنظومة الجديدة التي ستفرض نفسها ليس فقط كحل لتجاوز المشكلات التي أفرزتها الحداثة، وانما هو الأداة التي أغفلها العقل نظرا لما أصابه من عمى، اذ لم يستطع أن يفهم أن العالم في تكوينه لا يمثل أجزاءًا منفصلةً بل هو في حد ذاته معقّد، ولذا فإن فهمه والتأقلم معه يحتاج إلى نظرة كلّية، وليس معنى هذا أن براديغم التعقيد عند موران يقتضي التحطيم والقضاء على التبسيط، وانما هو تطوير وتوسيع له في حد ذاته، ذلك أن الكل يتوفر على جملة من الأجزاء، غير أن ما يميز هذه الأخيرة هو الحاجة إلى الوحدة والاتصال في سياق اطار ونسق واحد يمتاز بالتعقيد، وهو الأمر نفسه الذي أكد عليه باسكال في قوله: **" أعتبر من المستحيل معرفة الأجزاء كأجزاء دون معرفة الكل، كما أنه من المستحيل أيضا إمكانية معرفة الكل دون معرفة الأجزاء بشكل متفرد".**[2]

فالتعقيد عند موران يرتقي بالفكر من خانة الاختزال التي قصرت النظر على أجزاء وعناصر منفصلة عن بعضها البعض، وذلك نحو ضرورة الربط والتوليف بينها تحت راية فكر كلي شمولي، لذلك فهو يسعى إلى دمج وجمع الأجزاء أي القيام بردّ البسيط إلى المعقّد والجزء إلى الكل، ولذا فأي محاولة لتحقيق الانفصال التام والاختزال يقوم بمقاومتها.

ولفظة Complexe بالنسبة إلى موران تستخدم للدلالة على كلمة التركيب الذي يُضبط بأنه تأليف للكل من أجزائه وجمع بين الرأي وضدّه في قول جديد يتطلب اتحاد الأضداد من أجل الوصول إلى الحقيقة المطلقة.[3]

---

[1] Edgar Morin: Introduction à la pensée complexe, p 23.

[2] موران ادغار: الفكر والمستقبل، المصدر السابق، ص102.

[3] صليبا جميل، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص268-270.

فالمركب اذا هو ما لا يمكن تلخيصه في سياق كلمة جامعة، وما لا يمكن ارجاعه إلى قانون واحد، وما لا يمكن اختزاله في فكرة بسيطة بعبارة أخرى.[1]

وينبه موران إلى ضرورة تجاوز وهمين يقفان أمام مشكلة الفكر المركب:

✓ الوهم الأول يتعلق بالاعتقاد أن التعقيد يقود إلى القضاء على البساطة، فالفكر المركب يعمل على دمج الصيغ التبسيطية من أجل تحقيق الاستقرار والوضوح والتميز والدقة في المعرفة.

✓ الوهم الثاني يتعلق بالخلط بين التعقيد والاكتمال، فالفكر المركب يعترف باللاإكتمال واللايقين ويتطلع من البداية إلى المعرفة متعددة الأبعاد[2].

ولذلك فمما سبق ذكره يمكن القول أن البراديغم الذي يعمد موران إلى إرساء أسسه ينقل الفكر من الناحية والزاوية الجزئية البسيطة إلى زاوية أخرى أكثر تركيبا تعترف بالتعدد وتسمل الأبعاد المختلفة للإنسان (بيولوجي، نفسي، اجتماعي، وجداني، عقلاني)[3] وهذا ما جعل مشروع ادغار موران مشروع متميز، ذلك لأنه أراد من البداية الارتقاء نحو فلسفة كليّة تشمل مختلف المجالات وتجمعها تحت لواء واحد، ولذلك عُرف بفيلسوف التعقيد والتركيب، لأن منهجه ونظرته الكلية ألقت بشذراتها على جلّ منظومته الفكرية.

واذا كان التبسيط كما أضرنا اليه في الفصل السابق قد برز عند فلاسفة قدامى على بيل ديمقريطس، فإن التركيب هو الآخر كانت له الاستضافة بين أحضان البيئة اليونانية القديمة، وبالأخص عند هيرقليدس فيلسوف التغير الذي آمن بعدم الثبات وتجاوز التماثل الذي ينص على اختزال الأشياء وضرورة المطابقة، فالعالم بالنسبة اليه يتوفر على مكونات وعناصر كثيرة متصارعة متنازعة يميزها التغير والسيرورة الدائمة، اذ يقول: " **أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين، فإن مياها جديدة تجري من حولك أبداً**"[4] اذ ربط التغير بكل شيء وما الثبات والاستقرار إلا فناء وعدم، ولذلك فالتغير والصراع بين المتضادات هو مناداة بالفكر المركب الذي يؤمن بضرورة التقاء الأجزاء ضمن بناء كلي مهما بلغت درجة اختلافها كما سلف وأن أضرنا إلى

[1] موران ادغار: الفكر والمستقبل، المصدر السابق، ص09.

[2] المصدر نفسه، ص10.

[3] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص37.

[4] كرم يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص17.

ذلك. وهذا لا يدل على أنه برز في اليونان فحسب وانما تسلسل في الظهور حسب مراحل الفكر المختلفة، اذ أشار اليه فلاسفة عدّة على غرار هيغل من خلال جدلية العبد والسيد، باشلار، باسكال...

2- نظرياته:

لقد شهدت المعرفة العلمية تطورًا لا بأس به في سياق القرن التاسع عشر، وأفضت إلى تجلي منجزات لا يمكن للتاريخ أن يتجاوزها، لاسيما التطور الذي شهدته علوم المادة الجامدة والحية، الأمر الذي ساعد على الكشف عن ظواهر هذا العالم. غير أن المفاهيم والأساليب التي تم اللجوء اليها من انتظام، اطراد، اختزال... بلغت حد معين وعبّرت عن عجزها على مسايرة التغير الحاصل في هذا العالم وما ينطوي عليه من تركيب وطابع شمولي، وهو الأمر الذي يستدي براديغم جديد هو براديغم التعقيد، وقد برزت جملة من العلوم أو لنقل مجموعة نظريات متراصة في بدايات القرن العشرين تشكل حجر الأساس والنواة الجوهرية لهذا البراديغم، وتتمثل في نظرية الأنساق العامة، نظرية الربانيّة أو السيبرنطيقا، نظرية الشواش أو الفوضى، وأخيرا نظرية الأعلام أو المعلومات.

أ. **نظرية الأنساق العامة:** ترتبط هذه النظرية بالمجال الاقتصادي وذلك لأنها تركز النظر والاهتمام على سلوك الانسان في مجتمعه، وتعود الإشارة اليها إلى عالم الأحياء النمساوي **لودفيغ فون برتالانفي** Ludwig Von Bertalanffy (1901-1972) والتي طال صيتها في خمسينيات القرن العشرين في مجال البيولوجيا وانتقلت إلى اتجاهات اخرى،[1] اذ قام بالتأكيد على أن الكائنات الحية لا يجب النظر اليها كأجزاء منشطرة وانما لابد من اعتبارها تمثل كيانات وأنساق كليّة تشتمل على أجزاء متحدة، لذلك فمرمى هذه النظرية هو التأكيد على أن البنيات والمعارف لابد لها من تنظيم وتسلسل وتراتب تدريجي من الأبسط إلى الأكثر والأشد تعقيدا، وهو الأمر الذي يجعلها نظرية تعبّر على الانتظام وهذا ما أكد عليه ادغار موران، فهي نظرية تمكننا من التفكير في تراتب مستويات التنظيم وفي الأنساق الفرعية وتداخلها.[2] ذاك أنه قام باعتبار النظريات التي برزت إلى الوجود مع الحداثة أنها كلها نظريات قدمت صورة مقزّمة مختزلة للواقع انطلاقا من مبدأ التبسيط، ولذا لابد من الأستعانة بمثل هاته النظرية وذلك من أجل البحث عن النسق، فهي نظرية تساهم في تجلي التعقيد، ولعله السبب الذي جعلها أهم نظرية ساعدت موران في مساره نحو هذا البراديغم القائم على التعقيد.

[1] موران ادغار: الفكر والمستقبل، المصدر السابق، ص23.

[2] موران ادغار: نحو براديغم جديد، المصدر السابق، ص122.

ويحدد موران للأنساق أنواع متمايزة، فمنها الطبيعي ومنها الصناعي، ومنها الحي ومنها الجامد، وفيها كذلك المفتوح وهناك النسق المغلق، ولعل هذا التصنيف الأخير هو الذي قام بالتركيز عليه، ذلك أن:

❖ النسق المفتوح: يتميز بالتفاعل والانفتاح مع ما هو موجود في الخارج أي مع عناصر الطبيعة، وقد أكّد موران أن النسق المفتوح يمثل في جوهره مقولة دينامية حرارية وهذا ما يوضح أنه بين علم الدينامية الحرارية وعلم الكائن الحي هناك رابطة وقعت وأن الفكرة الجديدة التي برزت إلى الوجود تتعلق بالتعارض الحاصل على مستوى المقولات الفيزيائية الخاصة بالتوازن/ اللاتوازن، فهي تعلو الطرفين وتجمعهما في آن واحد.[1]

❖ النسق المغلق: يتميز بالستاتيك، يتوقف على ما لديه من موارد دون الحاجة إلى مصادر جديدة للطاقات، فهو نسق يرتبط بالتوازن غير أنه توازن شكلي ظاهري غير دائم، وفي ذلك يشير موران إلى أن النسق عليه الانغلاق أمام العالم الخارجي وذلك سعيا للحفاظ على شكله وبنائه الداخلي وإلا سيقع ضحية التفكك،[2] ولعلها المشكلة التي سيواجهها النسق بشكل مجمل، اذ عليه من ناحية قبول التغيير والانفتاح على المصادر الخارجية، ومن ناحية ثانية العمل على مواجهة شبح التفكك والتلاشي.

ومجمل القول يمكن في أن هذه النظرية تتلاءم مع الوضع الأزماتي الراهن، وهو الأمر الذي شخصه في كتابه في مفهوم الأزمة 1976 فهي من بين النظريات التي ستساهم في تجاوز اعتلال الإنسانية.

ب. نظرية الرُبّانية (السيبرنطيقا):**Cybernétique** وتعرف كذلك بعلم التحكم الآلي، فهي لفظة تعود إلى الأصل اليوناني Kubernetike نتيجة استعانة أفلاطون به في الإشارة إلى موجه السفينة، فالسيبرنطيقا أو السيبرانية كما يقابل في اللغة العربية تحمل معنى التحكم.

وترجع هذه النظرية من حيث البروز إلى سنة 1948م مع الرياضي الأمريكي **نووبرت واينار** Norbert Wiener (1894-1964) من خلال كتابه "السيبرنطيقا أو التحكم والاتصال في الحيوان والآلة"، اذ أراد الوصول إلى علم يساعد على فهم الكائن الإنساني وذلك من خلال الإقرار ببعد مركب لتركيبته الجسمية،

[1] موران ادغار: الفكر والمستقبل، المصدر السابق، ص24.

[2] خليفة داود: السيبرنطيقا دراسة في المفهوم ومجالاته، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران، المجلد 11، العدد02، أفريل 2022، ص100.

فالسيبرنطيقا تتحدد بوصفها علمًا عامًا للأجسام، مستقلاً عن الطبيعة الفيزيائية للأعضاء التي تكونه، وبالتالي فموضوعها الجسم المركب بوصفه كلاً جامعًا[1].

ولذلك فهي نظرية تهدف إلى جمع مختلف العناصر والنظريات مهما بلغ تنوعها ومستوى اختلافها (اقتصادية، سياسية، بيولوجية، اجتماعية..) فهي تريد الإحاطة بما هو مشترك مع شتى التجمعات المركبة في كل العناصر التي يمكن التعرف عليها[2].

وهو الأمر الذي جعل من هذه النظرية المنطلق في التأسيس لمشروع ومنظومة التعقيد عند ادغار موران، اذ يؤكد في كتابه الفكر والمستقبل على أن السيبرنطيقا اعترفت بالتعقيد من أجل تحييده ووضعه بين قوسين من دون نفيه، انه مبدأ العلبة السوداء.[3] ذلك أن مشكلة التعقيد بالنسبة اليه تتعلق بالنسق من حيث العودة والنظر إلى مداخله Input ومخارجه Output دون فك للغز العلبة السوداء، فالولوج اليها أي النظر إلى التعقيد التنظيمي هي المشكلة التي تقف مواجهة، أي أن الصعوبة تتعلق بقلب الآفاق الابستيمولوجية للذات أي الملاحظ العلمي[4].

ويمكن القول أن السيبرنطيقا ساهمت في ظهور الذكاء الاصطناعي Intellegence Artificielle والذي قدمه الرياضي الإنجليزي **آلان تورينغ** (1912-1954) Alan Turing [5] والمتعلق بذكاء الآلات التي أضحت تنافس الانسان وتنوب عنه في آداء وظائفه ومهامه سواء كانت يدوية مادية أو حتى ما يتعلق منها بالجانب الذهني.

وقد نوّه موران من خلال منهجه التعقيدي إلى ضرورة الجمع وتحقيق الترابط بين مختلف التفرعات، فقد أكد على أن هذه النظريات أي هذه العلوم تتحد من أجل تكوين صورة واضحة حول العالم. فالسيبرنطيقا تلتقي مع نظرية الأنساق العامة وذلك على مستوى نقطة ملتبسة مشتركة مبدئيا.[6] لعل هذا ما يمثل جوهر

[1] خليل أحمد خليل: مداخل الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1988، ص203.
[2] مرجع نفسه، ص203.
[3] موران ادغار: الفكر والمستقبل، المصدر السابق، ص38.
[4] المصدر نفسه، ص38.
[5] الدمرداشي ربيع عبد الغفار خديجة، فلسفة الذكاء الاصطناعي، مجلة متون، المجلد 16، العدد 03، جويلية 2023، ص88.
[6] موران ادغار: الفكر والمستقبل، المصدر السابق، ص23.

الفكر التركيبي الذي يبتعد عن الانفصال والقطيعة المطلقة، ويسير نحو الانفتاح على جوهر التعقيد الذي يميز طبيعة العالم وسيميز طبيعة المعرفة المعاصرة.

ج. **نظرية الفوضى (الكاوس– الشواش)**: تمثل نظرية الكاوس La théorie du chaos نموذج وتصور قطائعي مع التصور الكلاسيكي السابق وذلك لأنها تميزت بتصور جديد مبدع يتعلق بفكرة الانتقال من النظام إلى العشوائية والفوضى بناءا على ما ينطوي عليه العالم الخارجي من لانظام، وهذا ما يجعلها أهم قاعدة تأسست عليها ابستيمولوجيا التعقيد، ذلك أن الاعتقاد الذي ساد في السابق حول انتظام ظواهر الطبيعة هو في الحقيقة اعتقاد ساذج قاد إلى فهم العالم بطريقة خاطئة، ولذلك فمن الضروري البحث والعودة إلى ذلك الانتظام الشكلي الظاهري فقط في الطبيعة، لأن خلفه يكمن اللاانتظام وبين ثناياه تتجلى الفوضى.

إن العلم الكلاسيكي ومن خلال هذه النظرية أصبح محط شكّ وذلك بناءًا على ما طاله من زعزعة لمبادئه الخاصة بالانتظام والاطراد، وحتى ما يتعلق منها بالحتمية، وبالتالي لم يعد بالاستطاعة الحديث أيضا على إمكانية التنبؤ، فلا يمكن توقع ما سيحدث مادامت الفوضى متفشية بين كل شيء.

وقد أشار إلى نظرية الشواش ادغار موران باعتبارها نظرية معبرة عن التعقيد ذلك أنها تنطوي على العشوائية وتتجاوز الثبات، فهي منظومة لا تسير على شكل خطّي بل هي منظومة لاخطية Non-linéaire[1] والمقصود من ذلك أنها تتجاوز التماثل ولا تقبل التحليل وإعادة التركيب وذلك لأن أجزاءها مترابطة متحدة لا يمكن فصلها، وهنا يمكن لنا الحديث على مثال حركة الالكترون الذي يسير في مسار عشوائي غير خاضع للضبط ولا يتوافق مع إمكانية التنبؤ بحركته، فمساره ليس خطي وانما فوضوي، وهو في نفس الوقت يشكل بناء وجزء لا يتجزؤ من الكل الذي ينتمي اليه، اذ لا يتسنى فهمه إلا بناءًا على وضعه وترابطه مع بقية الالكترونات الأخرى.

ويعد **هنري بوانكاريه*** Henri poincaré أول من وضع هذه النظرية وذلك من خلال مساءلة واثراء للتصور النيوتوني لمدارات حركة الكواكب الثلاث (الأرض، القمر، الشمس) ذلك أن هذا التصور سار وفق شكل خطي اذ ينظر إلى الظواهر باعتبارها تتصل بزمان ومكان مرتبطين، وبالتالي فهي تسير بشكل واحد من

[1] بلايك جيمس: الهيولية تصنع علما جديدا، تر: علي يوسف علي، المجلس الأعلى للثقافة، دط، القاهرة، مصر، 2000، ص13.

* أحد أمهر العلماء الفرنسيين في مجال الرياضيات والفيزياء النظرية كما كان من فلاسفة العلوم1854/1912.

الماضي إلى الحاضر نحو المستقبل، وبالتالي فأي طارئ سيصيب المنطلقات مهما كانت درجة بساطته، لا محالة سيؤثر على الظواهر النهائية، الأمر الذي يعذّر من إمكانية التنبؤ ويجعل من الظواهر المنتجة ظواهر عشوائية. ولذلك وكما يؤكد الياس بلكا في كتابه "الوجود بين السببية والنظام" فإن: "نظريات الفوضى والاحتمال جاءت من أجل تدشين اتجاه جديد في العلوم، فهذه كانت تهتم بالظواهر البسيطة وبتطوراتها الخطية ولأجل ذلك كانت تعتمد على التقريب والاختزال...بينما الأشياء في الأرض ليست دائما بهذه البساطة".[1]

د. **نظرية الاعلام (المعلومات)**: ترتبط هذه النظرية بنظرية السيبرنطيقا بل هي نتيجة منبثقة منها، تتعلق هذه النظرية بتقديم الأداة الملائمة التي تعمل على تقييم حجم ومقدار المعلومات المتوفرة في كل جزء داخل نظام الاتصال والظروف المساهمة في التأثير على نقل المعلومات.[2]

تعود نظرية الاعلام Théorie de l'information إلى العالم الأمريكي **كلود شانون** Claude schannon وذلك من خلال مؤلفه "النظرية الرياضية للاتصال" سنة 1948م وذلك من أجل القيام بالتعامل مع التشفير المعلوماتي واللجوء إلى الطرق الأنسب المساعدة على تحليل الوسائل إلى وحدات داخل النظام الاتصالي، الأمر الذي يمكّن من نقلها على أتم وجه.[3]

وقد أشار ادغار موران إلى أن مفهوم الإعلام الذي أورده شانون هو مفهوم فيزيائي كلي في تبعيته للطاقه مع أنه غير مادي، أي أن المعلومة التي يتم نقلها لها مفهوم فيزيائي عندما تتصل بمجال الطاقة، وهذا ما وصل اليه شانون في أن الحكم على الأفكار والقضايا بالصحة والخطأ يتأثر بأنظمة كهروميكانيكية مثل الإطفاء والتشغيل، ولكن مع ذلك فهي أي المعلومات تبقى غير قابلة للاختزال إلى الكتلة أو الطاقة.[4]

وتلتقي هذه النظرية مع النظرية السابقة وهي المتعلقة بالشواش وهذا ما ركز عليه موران من حيث أن نقل المعلومات لا يخضع للنظام والثبات المطلقين، وانما لا محال سيطال هذا الاتصال نوع من الفوضى وحالة

---

[1] بلكا الياس: الوجود بين السببية والنظام (دراسة في الأساس الشرعي والفلسفي لإستشراف المستقبل)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، فيرجينيا، الو.م.أ، 2009، ص337.

[2] طه محمد: علم المعرفة آفاق جديدة في دراسة العقل، مجلة عالم الفكر، المجلد35، العدد01، سبتمبر 2006، ص181.

[3] مرجع نفسه، ص181.

[4] موران ادغار: المنهج معرفة المعرفة أنتروبولوجيا المعرفة (ج3)، تر: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2012م، ص114.

من الاضطراب وذلك بناءًا على تقدير هذه المعلومات رمزيا احصائيا، ولذا فهذه النظرية هي نظرية رياضية ساهمت في الربط بين النظام المعرفي والفيزياء والبيولوجيا مما يؤكد حضور التعقيد فيها.

ان الغاية من عرض هذه النظريات لا تتعلق بتحليلها والتركيز عليها في حد ذاتها، وانما المرمى يتعلق باعتمادها كوسائل انتقل منها موران وشرحها باعتبارها علوم ساهمت في تشكيل نظرية التعقيد، وما لها من أثر في الانعكاس على مختلف الأصعدة وأبرزها الاجتماعي وما للهوية من حضور في ذلك.

ثانيا: مبادئ براديغم التعقيد:

ان المهمة التي قام بها ادغار موران والمتمثلة في الوقوف على مزالق الحداثة والأخطاء التي غالت فيها العقلانية وما أفضت اليه من نزعة تبسيطية قامت باختزال الوجود كما سلف وأن أشرنا في الفصل السابق، كلها دفعته إلى نحت أنموذج جديد يواكب روح العلم المعاصر ويتناسب مع طبيعة العالم وهو ما يتمثل في لأنموذج التعقيد، الذي تقدم إلى الوجود في سياق ابستيمولوجيا تركيبية لا تركز على حل المشكلات البسيطة، وإنما تعنى بإيجاد الحلول الاستراتيجية القادرة على المعالجة والسمو بالفكر إلى مراتب الجدة والتميز، وذلك لا يكون بإيجاد الحلول الاستراتيجية القادرة على المعالجة والسمو بالفكر إلى مراتب الجدة والتميز، وذلك لا يكون لا من خلال مبادئ وأسس يقول عنها موران:" **أقول في الأخير بأن هناك ثلاثة مبادئ بإمكانها مساعدتنا على التفكير في التعقيد**".[1]

1. **مبدأ الديالوجيك – مبدأ الحوارية: Dialogique**

إن التصور الكلاسيكي إنبنى كما نعلم على أسس منطقية أرسطية وقد أشرنا إلى هذا الأمر من قبل من خلال مبدأ الهوية القائم على عدم التناقض والثالث المرفوع، وهي في حقيقتها التي ساهمت في ظهور منظومة التبسيط التي ساعدت على التراجع عوض التقدم الحضاري، ولذلك حضر هذا المبدأ الحواري من أجل تجاوز هذه الرؤية المنغلقة، نحو تصور جديد أكثر انفتاحا يقوم على قبول التناقض، لكن ليس على سبيل ديالكتيك هيغل الذي يجسد إما التركيب أو التناقض التام بدون أي وسطية، بل هو مبدأ يعترف بثالث موجود أي إمكانية للجمع بين الطرفين وتحقيق للتوليف بينهما مهما بلغت درجة تعارضهما، فالحوارية اذا هي انفتاح وتعايش تفاعل بين المتناقضات، يقول في ذلك موران: "**يجب على المرء أن يكون قادرا على التفكير معا بما يتناقض ويتكامل كالحياة والموت، وذلك لتذكير هيرقليدس، ((العيش ميتا، والموت حياة))**".[2]

إن الالتقاء والتلاحم بين العناصر والأجزاء المتعارضة هو أمر ضروري لابد منه وذلك من أجل فهم تام صحيح للواقع، وهو الأمر الذي أراد موران التعبير عنه من خلال مبدأ الحوارية، فإذا كان هناك طرف يعارض الآخر فليس معنى ذلك أنه يدعوا إلى نفيه وتجاوزه، وانما على النقيض من ذلك هو وجه آخر مغاير ومخالف له

[1] موران ادغار: الفكر والمستقبل، المصدر السابق، ص74.

[2] موران ادغار، بودريار جان: عنف العالم، المصدر السابق، ص

يساعده على معرف ذاته، يقول في ذلك باسكال: "إن نقيض الحقيقة ليس الخطأ، بل حقيقة مضادة" ولذلك فمهما حصل التعارض والتناقض فإنه تحت طيات نسق كلّي متجانس معقّد.[1]

وفي ذلك يضرب لنا ادغار موران مثالا عن الاستقرار والاختلال، اذ أنهما متناقضان ويشكلان عدوان لبعضهما البعض أين يعمل كل طرف منهما على اثبات نفسه في مقابل إلغاء الآخر، ولكن مع ذلك فهما وفي حالات معينة يتعاونان من أجل انتاج التنظيم والتعقيد، وهو الأمر الذي يجعل من هذا المبدأ الحواري مساعد على تحقيق وتجسيد التعارض داخل الوحدة،[2] ولذا فمهما كانت الذوات الإنسانية مختلفة متمايزة، فإن ذلك لا يدفع إلى التناحر والصراع ونبذ كل طرف للآخر في سياق السعي إلى البروز والتميز، وإنما لابد من تجسيد التعايش والتكامل في سياق الإطار والمجتمع الواحد، وهذا ما جاءت العولمة من أجل تحقيقه مع أن مسارها حاد عن الأهداف المرجوة، لذلك لابد للذوات أن تلتقي ومن الضروري للهويات أن تتواصل وتنتقل من الصعيد الواحد المغلق الخاضع للتماثل، إلى الصعيد الجماعي المنفتح على الحوار.

2. مبدأ الإرتداد التنظيمي– السببية الدائرية: Récursivité

لقد تركز اهتمام العلم الكلاسيكي على المسار والاتجاه الواحد الذي يتخذ الشكل الخطّي، ولذلك تجسدت السببية فيه من خلال اعتبار لكل سبب نتيجة يصل اليها عبر نفس المسار، أي أن الانتقال فيه يتم من السبب إلى النتيجة دون أي ارتداد عكسي، فالنتيجة لا تستطيع العودة إلى السبب. وهذا ما جعل مسار السببية الكلاسيكية يمتاز بالبساطة لأن الانتقال فيه خطّي يميزه الانغلاق، فالأجزاء التي تمثل نقطة البداية هي أسباب بسيطة تشغل حيز معين، وكذلك هي نقطة النهاية المتوصل اليها أي نتائجها هي الأخرى تحمل طابع البساطة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال قلب الأدوار والأماكن ونقل النتيجة إلى السبب والعكس، لذلك يتم وصفها بالسببية الصلبة المطلقة المغلقة.[3]

إن هذا الأمر دعا موران إلى ضرورة تجاوزه وذلك لأنه يحقق التناظر بني السبب والفعل، من منطلق اعتبار السبب منتج للفعل والفعل نتيجة للسبب، والمقصود في ذلك الحلقة المكررة،[4] فالمسار عليه أن ينتقل إلى

[1] موران ادغار: نحو براديغم جديد، المصدر السابق، ص123.

[2] موران ادغار: الفكر والمستقبل، المصدر السابق، ص74.

[3] المسيري عبد الوهاب: دفاع عن الانسان دراسات نظرية وتطبيقية في النماذج المركبة، دار الشروق، ط2، القاهرة، مصر، 2006م، ص318.

[4] موران ادغار، بودريار جان: عنف العالم، المصدر السابق، ص69.

الدائري عوض الخطي، والسببية لابد أن تكون فيه حلقيّة دائرية وهذا معناه أن تكون الحلقة مولدة بحيث أن الأسباب ترتقي إلى النتائج والنتائج بإمكانها العودة إلى عللها المنتجة لها، وهذا ما يسمى بالارتداد التنظيمي، وفي هذا الشأن يقدم لنا موران مثال للأفراد والمجتمعات، فالفرد هو نتيجة لتوالد مسار سابق عليه، وهو في حد ذاته يصبح منتجا لمسار سيستمر في المستقبل وهو المجتمع، ولذلك فسيتم التفاعل بين الأفراد باعتبارهم أسبابا ومنتجين وبين المجتمع باعتباره نتيجة، فهنا الارتداد يتجلى من خلال انتاج الأفراد للمجتمع الذي بدوره ينتج أفرادا، تماما مثل الزوبعة التي تكون في الوقت ذاته منتجة ومنتَجة.[1]

ولذلك فالخطية التي كانت متحكمة في السببية في العلم الكلاسيكي، ستغدو لاخطية وفق العلم المعاصر وذلك لأنه علم ينبني على تصورات جديدة مغايرة قوامها الصدفة والعشوائية واللانظام، والتي تعد ككل عبارة عن حلقة بنّاءة تتميز بالإرتداد فهي في كل لحظة تكون مستولدة ومولّدة وعلة ومعلولا في آن واحد وهذا ما أكده موران.[2]

وفي النهاية يمكن القول أن السببية الدائرية التي قدمها ادغار موران إنما هي مبدأ أراد من خلاله أن يكسر التماثل واللاتفاعل بين الأسباب ونتائجها، وبشكل أكثر اجتماعية بين الذوات والذوات الأخرى المقابلة لها، فلابد أن لا يبقى التفاعل في إطار واحد من الكل أو الجهة الأولى باعتبارها هي المؤثرة فحسب نحو باقي الجهات الأخرى، وهذا الأمر الذي يبرز من خلال المركزية الغربية التي نصّبت نفسها المنطلق والأساس وجعلت بقية الذوات والمجتمعات الأخرى مستقبلة ونتيجة وهوامش فحسب وفق مسار واحد، فإدغار موران ينبه إلى ضرورة تحقيق الارتداد والتفاعل وقلب الأماكن والأدوار من أجل تحقيق الثأر والتأثير اللازمين.

3. المبدأ الهولوغرامي– الهولوغرامية: Hologrammique

يعرف كذلك بمبدأ الكلية، والهولوغرام Hologramme هو فن مقتبس من التصوير الضوئي، وهو التصوير بثلاث أبعاد ويعني تكامل الكل والجزء وتفاعلهم[3]، إن الهولوغرامية تركز على فكرة تجاوز الفصل والاختزال بين الكل والجزء، ولذلك فهي جاءت في سياق مواجهة ومغايرة نزعتين احداهما وقعت في الاختزال

[1] موران ادغار: الفكر والمستقبل، المصدر السابق، ص75.

[2] موران ادغار: المنهج معرفة المعرفة أنتروبولوجيا المعرفة، المصدر السابق، ص115.

[3] المصدر نفسه، ص 352.

اذ وجهت اهتمامها إلى الجزء فحسب وجعلته الأساس، أما النزعة الثانية فهي الكليانية التي أولت اهتمامها الأكبر بالكليات، لاوجود إلا للكل، ولذا جاءت الهولوغرامية للتأكيد على أن الجزء إذا كان يتشكل من الكل فإنه حينئذ يمكن إيجاد الكل في الجزء.[1]

إن موران يؤكد على ضرورة تحقيق الاحتواء بين الكل والجزء، فالكل يحتوي على الجزئيات وهو محتوي فيها كذلك، ولذا يجب تجاوز أي محاولة للتمييز بينهما أو امالة الكفة لأحدهما على حساب الآخر، ذلك أنه لا يمكن تصور أحدهما دون الثاني، ولعلها الفكرة التي عبّر عنها باسكال عندما أكد أنه من المتعذر تمثّل الكل دون تمثل الأجزاء ولا تمثّل الجزء دون تمثّل الكل.[2] ولعل أبرز مثال على ذلك قدمه موران هو جسم الكائن الحي وبالأخص الانسان فهو مكون من خلايا والتي بدورها تتفرع وتنحل إلى ما هو أقل (جزيء الحمض النووي) الذي بدوره يعبر على الكل أي بيانات هذا الكائن (البصمة الوراثية) يقول موران في ذلك: **"الهولوغرام عبارة عن صورة تحتوي كل نقطة فيها على جميع المعلومات الخاصة بالكائن الذي يتم تمثيله، ويعني مبدأ الهولوغرام أن الجزء ليس في كل فحسب، بل أن الكل منقوش بطريقة ما داخل الجزء، هكذا تحتوي الخلية في داخلها على كافة المعلومات الجينية التي تسمح من حيث المبدأ بالاستنساخ البشري، والمجتمع ككل من خلال ثقافته، حاضر في ذهن كل فرد".**[3]

ولذلك فلا يجب بأي حال من الأحوال اقصاء أو تهميش الأجزاء والذوات مهما بلغت درجة بساطتها، بل لابد من ردّها إلى كلّ واحد، فلا وجود لأفضلية وحق بالتقسيم وتحديد الانفصال، فالانسانية تمثل الكل والاطار الذي يجمع مختلف الأفراد مهما كانت انتماءاتهم وتوجهاتهم.

ويمكن القول أن هذه المبادئ الثلاث عند موران تلتقي وتجتمع مع بعضها البعض فالتناقض لابد له أن يكون منفتح ويقبل الحوار والتواصل، وهذا ما يجعل التفاعل ارتدادي ينتقل بشكل تبادلي بين الأجزاء التي لا تكون وفق ذلك منشطرة وإنما هي جزء لا يتجزأ من كل واحد، يقول موران: **"إذن فالفكرة الهولوغرامية هي ذاتها مرتبطة بالفكرة الارتدادية التي ترتبط بدورها جزئيا بفكرة الحوارية".**[4]

---

[1] موران ادغار، بودريار جان، عنف العالم، المصدر السابق، ص 69.

[2] موران ادغار: الفكر والمستقبل، المصدر السابق، ص75.

[3] Edgar morin, la méthode 5, l'humanité de l'humanité, édition du seuil, paris, 2001, p339.

[4] موران ادغار: الفكر والمستقبل، المصدر السابق، ص76.

ولهذا فما يمكن التوصل اليه في الأخير هو أن التعقيد سواء من حيث نظرياته أو مبادئه أي بالنظر إلى جوهره، ولجوء ادغار موران اليه هو ممارسة قبل أن يكون تنظير، هو فلسفة أراد موران بث روحها بين طيات الفكر والثقافة، هو مشروع قدمه من أجل الوصول إلى تفسير تصورات الناس في فترة الحداثة والتي قامت على التعالي والتمركز وما لذلك من تفشي مظاهر الصراع والحروب، فالتعقيد وحده ما سيمكن من الوصول إلى قاسم مشترك وما سيجسد اللحمة والاجتماع بين كل الأفراد تحت راية هوياتية كونية واحدة، وهو السبب من علاضه، فالمرور على التعقيد بنظرياته ومبادئه إنما الغرض منه توضيح سعي موران إلى نقل الرؤية وتوحيدها حول مصير الإنسانية الذي لابد أن يتجاوز التناقض المغلق نحو تناقض مفتوح يقبل الاختلاف ويؤمن بضرورة التواصل والتكامل من أجل مستقبل كوكبي مشرق.

المبحث الثاني: في قلب أزمة الإنسانية الكوكبية

مادام الإنسان يسعى إلى بلوغ الحقيقة وتحصيل المعرفة عبر تجنيد كل من ما لديه من قدرات وملكات فإنه لامحالة سيؤثر بشكلين على ما يحيط به، أحدهما إيجابي فعّال قوامه الإنجازات والعائدات الفعالة على المجتمع، أما الشكل والجانب الآخر فيكون نتيجة انحراف المسار وفقدان السيطرة على بعض الطوارئ، وهذا ما يشكل أزمة معينة، ولذا فعبر التاريخ الإنساني لم يخلو عصر من الأزمات، غير أن الملاحظ على الفترة الحديثة هو أنها تقدمت في سياق القضاء على أي وضع أزماتي وإحلال السلام والطمأنينة محل ذلك، وهو الأمر الذي سار على عكس ما تم التخطيط له، اذ سادت الأزمة كل النواحي وصار الانسان يعيش عصر الأزمات وأبرزها الأزمة القيمية، وذلك نتيجة ما أضحى الانسان يغرق فيه من قلق وتوتر وخوف وشعور شبه دائم بالاغتراب، بسبب غياب المعنى واضمحلال النزعة الإنسانية، الأمر الذي عاد بالسقم على الذات التي طال الضباب والتيه وضعها في الكون وهويتها، ولذا فأزمة اليوم هي أزمة هوية إنسانية بالدرجة الأولى، أزمة خلفتها العقلانية والتقدم العلمي، وقادت اليها العولمة بابتعادها عن مقاصدها المرجوة، ففيما تتمثل طبيعة الأزمة الإنسانية عند موران؟ كيف خلقت وضع هوياتي مزدري؟

أولا: في طبيعة الأزمة الإنسانية:

إن كلمة أزمة krisis تعود إلى أصل يوناني قديم يدل حسب تحديد أفلاطون على الخلاف أو الشجار[1]، فالأزمة هي الضيق والشدة يقال أزمة مالية وأزمة سياسية وأزمة مرضية،[2] ولذلك فهي لا تشير عادة إلى وضع إيجابي وانما هي تدل على حالة ومرحلة حرجة تماما كمرحلة العالم الحديث الذي شهد تحولا كبيرا أدى به للوصول إلى نقطة منعرجة تمثل أزمة متعددة المرامي[3].

ولذلك فالأزمة إنما تنبثق من وقع سادته الفوضى وغاب عنه اليقين، وهذا ما أشار اليه ادغار موران عندما اعتبرها حالة تحدث نتيجة زعزعة طالت نسق معين يتخذ ظاهريا صفة الثبات، وهي تظهر كذلك عندما يكون تعدد للاحتمالات، وبالتالي فالأزمة هنا عنده ترتبط بانكسار وتراجع في سياق منظومة معينة بحيث لم يعد لها حل ومخرج واحد، وانما أضحت وظيفتها مؤشكلة[4].

ان الأزمة وعلى الرغم من كونها مصطلح ارتحالي ظهر منذ القديم، إلا أنها عرفت تجلي بارز في المجتمع الحديث خصوصا مع افرازات العلم والتقنية، وما لذلك من تأثير على حالة الكون (بيئة) والانسان (وجود، ذات، أخلاق، نفسية...) على حد السواء، وهو الأمر الذي أشاير اليه عديد المفكرين على غرار ثلاثية الشك الهيرمينوطيقي وأخصهم نيتشه الذي أكد أن الواقع الحداثي الذي قذف بالإنسان داخل زوبعة أزماتية قيمية جعلته يعايش الفراغ والقلق الروحي الأمر الذي فتح المجال للعدمية[5]، إلى جانب ادموند هسرل في مؤلفه أزمة العلوم الأوروبية، أين شخص الأزمة من خلال ربطها بالوضع الإنساني العويص الذي قادت اليه العلوم الأوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، هذا الوضع الذي بات متأزما فقط لأن العلوم الواقعية ليس بإمكانها افراز سوى أناسا وبشرا واقعيين، وبالتالي فالمادية الطاغية هي سبب الأزمة[6].

---

[1] باومان زيجمونت، بوردوني كارلو: حالة الأزمة، تر: أبو جبر حجاج، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2018م، ص09.

[2] المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص17.

[3] René guénon , la crise du monde moderne, éditions bossard,paris,1927,p10-11.

[4] موران ادغار: الى أين يسير العالم، المصدر السابق، ص24.

[5] أحمد إبراهيم: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، لبنان، 2006م، ص124.

[6] مسرل ادموند: أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترونسوندنتالية، تر: إسماعيل مصدق، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2008م، ص44.

وارتباط الأزمة بالوضع الأنطولوجي للإنسان في فترة الحداثة هو أمر أشار اليه مارتن هايدغر من خلال اعتبار الأزمة علامة مأساوية فارقة بالنسبة للإنسان وذلك نتيجة ما عاشته بسبب الفوضى المتفشية على سطح الأرض نتيجة طغيان الحروب وتردي وضع العالم، فالعصر أضحى عصر أزماتي والقلق طغى على حالة انسان هذا العصر.[1]

ان البشر ومع نهاية القرن العشرين وقعوا بين ثنايا مستنقع شيدته الحروب والأمراض وساهم في ظهوره التقدم التقني وتغير نمط الحياة على سطح كوكب الأرض، وهذا ما دفع موران إلى نحت مصطلح الكريزيولوجيا Crisiologie للدلالة على ذلك كما أشرنا من قبل إلى ذلك،[2] فالوضع الأزماتي ارتبط بحالة التقدم الذي لم يكن أحادي التأثير وانما شمل عديد المجالات، فالمجتمعات تهددها أزمة أضحت هي نمط وجودها، ذلك أن هذا التقدم عند موران مثل ما سار نحو التغيير واحداث فرق ثقافي وحضاري هو في نفس الوقت ينطوي على عملية تحطيم[3]. ولذلك فالحضارة الغربية الحديثة أضحت كيانا مأزوما، سادته الفوضى وعمّه الشتات وذلك بفعل الكائن الإنساني وما طوره وأنتجه بأداته العقلية، والذي يبقى على الرغم من كل ذلك الحل الوحيد القادر على التصدي لهذه الأزمة والقضاء عليها، اذ يؤمد موران في كتابه "في مفهوم الأزمة" 1976م أن هذا المفهوم بالغ الغنى، وهو أغنى من فكرة الاضطراب والفوضى اذ يشتمل بين طياته على كل الاضطرابات والفوضى والانحرافات والتضادات[4]، ذلك أن الانسان يعيش في سياق تنظيمات خصوصا ما هو اجتماعي منها وأهم ما يميزها هو طابع الفوضى، فكل ما يحيط به فوضوي بدأ من صراعاته الداخلية، وما يحصل وسط أناه من مكبوتات، ثم نموا وتطورا بين أحضان المجتمع وما يحمله من أطر متعددة متباينة، لهذا فأي نظام حي هو نظام عندما تزوره الأزمة فإن الاستقرار يغيب عليه ووحدها الفوضى تسوده، ويبقى بروزها وتجليها دوما مقرون مرهون بوجود وتجلي التقدم والتطور، اذ يقول: "اذن الأزمة حقل للتطور، انها نوعا ما مخبر لدراسات العمليات التطورية، انما في مجتمعات تتطور باستمرار وبسرعة، ويبلغ تركيبها مبلغا يجعل هذا التطور مرفقا بغياب استقرار وباضطرابات كثيرة."[5]

[1] أحمد إبراهيم: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، المرجع السابق، ص123.

[2] الحويلدي زهير: تعقد الطبيعة البشرية، المرجع السابق، ص1408.

[3] موران ادغار: الى أين يسير العالم، المصدر السابق، ص25.

[4] موران ادغار: في مفهوم الأزمة، تر: بديعة بوليلة، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان، 2018م، ص69.

[5] المصدر نفسه، ص76.

إن الكائن الانساني عند ادغار موران وفق التمثيل الأرسطي هو حيوان أزمي، وذلك لأنه يعايش وينفتح وجوديا على حالة غياب الانضباط والنظام واليقين، وبالمقابل تفشي اللاثبات واللايقين وذلك ليس على صعيد ومستوى واحد، وانما عبر مختلف الأصعدة وهو الأمر الذي انعكس على ذاته وعلاقاته مع ما يحيط به من أشياء وعلى وجه التحديد أشخاص، فالأزمة تفتح المجال إذا للعشوائية من ناحية وتوصده من ناحية أخرى أمام التنبؤ والتوقع واليقين الذي سيكون عليه المستقبل القريب.[1] وهو الأمر الذي يجعل من الحاضر متأزم والمستقبل لا متوقع، وبالتالي أضحت الإنسانية تسير نحو الهلاك والزوال، وذلك بسبب مآلات الحداثة التي طالت وامتدت إلى الفترة الراهنة المعاصرة، فالأزمة التي طفقت الإنسانية تعايشها لم يتم الخروج منها إلى غاية يومنا الحالي، وهو الأمر الذي شخصه موران في كتابه فلنغير السبيل دروس فيروس كورونا 2020*، اذ أكد أن الإنسانية اليوم تمر بأزمة نظرا لكونها تواجه اضطرابات عديدة منها ما تعلق بالقومية، ومنها ما يخص العنصرية، وأولوية المصلحة الاقتصادية، وشبح العولمة، ومآلات التقنية... اذ يقول:" **ان الإنسانية تفشل في تشكيل نفسها كإنسانية**".[2]

إن الحداثة التي قدمت في ثوب الإصلاح والتغيير واحداث النقلة نحو وضع وحال جديد أفضل، يخرج الإنسانية من التخلف والهمجية، انما في الحقيقة كان أحد الوعود الكاذبة التي تعلق بها انسان الفترة المظلمة، وذلك لأن بريق الانوار عمد إلى جذبه، كما استقطبته مشاريع التحضر والتقدم الواعدة بعيش رغد وحياة هنية سعيدة، فأمن منها وألقى بثقته بين أحضانها ومما زاد الأمر ثقة، هو نجاحها لفترة معينة ولحد شكلي ظاهري واقعي في لفت الانتباه عبر تحقيق تطورات وارتداء قناع مثالي يتمثل في تحقيق التنمية، فتفشى التطور وساد

التقدم يفعل عوامل عديد وأسباب كان للعقل الإنساني دور الريادة فيها، فهذا العقل الذي منح الانسان صفة" آلة التعقيد" كما اصطلح عليه موران، انما ساهم بشكل كبير في تحقيق التقدم وذلك بما وفره من إنجازات وما ابتكره من علوم وتقنيات، إلا أنه في نهاية المطاف فتح الباب على مصرعيه أمام زوابع أزماتية أخذت تنخر بالإنسانية خصوصا بعد تطور الوضع إلى غاية تقديم مشروع الكوكبة (العولمة)، فهي كلها عوامل

[1] موران ادغار: في مفهوم الأزمة، المصدر السابق، ص57.

* خصص موران هذا الكتاب لحديث على الأزمة الصحية التي طالت البشرية في الفترة الراهنة والتي تتعلق بفيروس كورونا، اذ حدد من خلال هذا الوضع المتدهور والذي أثر على الحضارة والإنسانية ككل، حدد 15 درسا يمكن استخلاصه منها، سواء ما تعلق بالوضع المزدري أو حتى بأفق العيش المستقبلي.

[2] Edgar morin ;sabah abouessalam, changeans de voie les leçons du coronavirus, éditions denoél, paris, 2020, p36.

عصفت بالوضع الإنساني وجعلته يبحث عن الخلاص ويأمل في العيش فقط دون مصارعة مع شبح الزوال والموت، ولذا فيمكن ردّ الأزمة الإنسانية إلى مسببات عديدة أهمها:

1) العقل والذكاء الأعمى: ينوه ادغار موران في كتابه الفكر والمستقبل إلى خطورة العقلانية على الإنسانية، ومع أننا سبق وأن أشرنا إلى هذا الخطر إلا أن حضوره في هذا العنصر لا يتعلق بالفكر والمعرفة ككل وانما يتحدد ويتخوصص حول الوضع الإنساني فقط، كيف لا والانسان هو محور كل شيء ومنه واليه يعود كل شيء، فالعقل الذي توسمت فيه الحداثة الخير، انما أصبح هو خير عدو للحداثة والإنسانية على وجه أخص، وهو الأمر الذي دفع موران إلى تخصيص فصل أول ككل لهذا العقل الذي طاله الضباب وأصابه العمى، اذ يقول:" هناك عمى جديد مرتبط بالاستعمال المنحط للعقل"[1]

ان العقل وما انطوى عليه من ذكاء انما ساهم في تأزم الوضع الإنساني وأخذ يهدد الإنسانية ككل بالاندثار، وذلك لأنه استتر خلف مهمة التبسيط، وتحجج بنقل الأمور إلى مصاف أفضل عبر تقديمها في قوالب مختزلة مجردة للإشارة إلى مساعدة الإنسانية وتقديم الوجود وكل ما فيه في قوالب تمتاز بالوضوح والبساطة، إلا أنه في الأصحّ يحمل بين ثناياه من خلال هذا المسار كل آليات التدمير وخلق الشتات والصراع، وافشاء الضبابية وانعدام الرؤية لمختلف جوانب الحياة، فأصبح العالم والذات والغير وكل شيء مبهم، غامض، مجهول، بل تعدى ذلك إلى كونه غريب مخيف، وهذا ما قدم فيه موران اتهام موجه لديكارت من خلال ابستيمولوجيته التبسيطية الاختزالية كما اشرنا سالفا، فالعقلانية تعود إلى تحول اختزالي للإنسانية، اذ يقول: " **للأسف، فإن الرؤية المشوهة والأحادية البعد لها نتائج خطيرة على مستوى الظواهر الإنسانية، ذلك أن التشويه يقطع الأجساد ويسكب الدماء وينشر المعاناة، لقد قاد العجز عن تمثل الواقع الانتروبو–اجتماعي في بعده المصغر (الكائن الفردي) وفي بعده المكبر (المجموع الكوكبي) إلى مآس لا نهائية ويقودنا الآن إلى المأساة الأكبر**"[2]

إن الأزمة التي وقعت فيها الإنسانية حسب تشخيص موران انما هي أزمة تسبب فيها العقل ووقع فيها في الوقت عينه، وذلك لأنه غال في الواقعية وسقط في المادية العلمية والتقنية إلى حد جعله يختزل الثنائية التي تنطوي على بعد صري معنوي مثالي، ويركز على نظرة مقزمة أحادية البعد، فالفصل بين العلم والفلسفة وتمييز

[1] موران ادغار: الفكر والمستقبل، المصدر السابق، ص13.

[2] المصدر نفسه، ص17.

الموضوع على الذات في سياق التقدم العلمي جعل من الطبيعة والعالم الخارجي محور الاهتمام، وألقى بالذات الإنسانية في كهوف مظلمة جديدة، ولهذا إذا العقل عدو للإنسانية ومساهم أول في الحط من قيمتها وفي افشاء التأزم داخل منظومتها بعد أن كان معول الارتقاء في أعينها.

ان ادغار موران يقدم النقد الصريح للعقل خصوصا وأنه قاد إلى أكبر خطر وهو العصف بالوجود الإنساني، فقد أخذ ينحو إلى مسار مغاير قلب فيه منح الانسان سعادته وهناءه، ومده بآليات التحكم والسيطرة على الطبيعة، وسلبه حريته وحق اختيار مصيره، قلب كل ذلك الاى شعور باليأس والغربة والقلق، وامتثال للطبيعة وللتقنية، وخضوع لحكم الآلة ومعيار الواقع الامبريقي، إن العقلانية التي جاءت للتغيير انقلبت إلى عقلية سيئة كما اشرنا سابقا إلى ذلك عند موران، فالأولى وهي المخطط لها تمتاز بالانفتاح، أما الثانية وهي المتوصل اليها فيغلب عليها الانغلاق، ولذا فالانسان واذا كان عاقل Sapiens بالطبع الأول ومنذ القدم وذلك لحسن استغلاله هذه الملكة وبلوغه من خلالها مختلف درجات التطور، فإنه بالنسبة إلى موران علينا الآن إضافة المجنون Demens[1] والذي يفرط في استخدام عقله إلى حد مخالفة الصواب والهذيان، هو نفسه النسخة الثانية المشوهة للنسخة الأولى.

ولذلك فنحن اليوم أمام مهمة ضرورية يفرضها علينا الوضع الإنساني المتأزم وهي مهمة افتحاص العقل، وهي التي أكد عليها موران في مؤلفه "هل نسير إلى الهاوية" اذ لابد من تجاوز العقل الأدوي الذي تسبب في أمراض عديدة، العقل الذي أشار اليه فلاسفة مدرسة فرانكفورت وأخصّم أدورنو في اعتباره عقل سخّر لأسوء مشاريع القتل.

فالانسانية يكفيها ما عصف ولا يزال يعصف بها اليوم من أزمات العقل الذي يشتمل على ثقب أسود هائل حجب لنا الفهم وغيّب عن أنظارنا رؤية التعقيد، ان هذا الثقب الأسود بالنسبة لموران قام بإزالة الستار عن نقاط الضعف وأوقعنا في التفكيك والفصل والاختزال لكل ما يجب المساس به[2]، وعلى وجه الخصوص الوضع الإنساني.

[1] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية، الهوية البشرية، المصدر السابق، ص141.

[2] Edgar morin, sabah abouessalam, changeans de voie, ibid, p28.

2) العلم والتقنية: ان الكائن الإنساني كان منذ النشأ الأول يعتمد على ما لديه من أعضاء في سدّ حاجياته اليومية، سواء ما تعلق بتوظيف يديه للضرب والامساك، أو قدميه للمشيء والركض، ولم يكن في إمكانه تحقيق بعض الطموحات والأحلام إلا من خلال التقنية التي ساهمت في تطوره وتطور الحضارات كذلك[1]، غير أن حضورها وتطورها اللافت للانتباه كان في نهاية القرن التاسع عشر بفضل عباقرة مصنعين ممن قاموا وساهموا بالتحام العلم والتقنية مشكلين "تقنية علمية" في القرن الموالي وهو القرن الموالي وهو القرن العشرين[2]، ولذلك فقد حصل الاتحاد بين مجال العلم ومجال التقنية، وذلك لأن العلم وباعتباره نقلة وتطوير للأوضاع استحسن وجود التقنية ولجأ إلى تطوير تقنيات جديدة في كل مرة، غير أن الملاحظ في راهنية هذا العصر أن هذه التقنية التي أنتجها الإنسان، انما أخذت تهدده، وتقوم بالارتداد ضده، ولذلك فهي تقنية أضحت منفلتة من عقالها عبر تخلصها من الإنسانية التي أنتجتها[3]. وهو الأمر الذي أورده موران في مؤلفه" ثقافة أوروبا وبربريتها" من منطلق أنها تقنية رغم الثقة الموضوعة فيها والعصر المتحضر الذي ظهرت فيه إلا أنها ولسوء الحظ أبانت جانبها المظلم الهمجي البربري.

ان التقدم الذي انبثق مع التقنية العلمية ساهم في ايهام الإنسانية لفترة قصيرة برغد العيش، ذلك أنه سهل الحياة ومنح الانسان الراحة والحرية والامكانية للكشف عما كان مجهول، إلا أنه في حقيقة الأمر ينطوي على بعد مادي تام لا يستطيع استبصار الانسان، اذ يقتصر نظره على الآلة الصناعية فحسب، هذا الكائن الذي تهمش ثقافته ونفسيته وكفاءته ضمن عالم التقنية، لذا فالتقدم التقني كما يؤكد موران لا ينتج فقط البحبوحة والعيش السعيد، إنه ينتج بشكل متزايد الضيق والضجر.[4]

ان ادغار موران وفي كتابه "هل نسير إلى الهاوية" يشير إلى أن التطورات التي شهدتها عديد المجالات والتقدم الحاصل، انما يصاحبه تراجع كبير على نفس المقدار، وذلك ما أخذ يهدد الإنسانية وكوكب الأرض ككل اذ أن الوضع لا يحمل بين أعماقه سوى الخراب ولا يشهد إلا على الحروب والموت، ولا يصور الإنسان إلا في حالة من الضياع والتشتت، يقول في ذلك: "**ستطلع علينا الهمجية الحقودة من أغوار التاريخ**

[1] موران ادغار: النهج انسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص53.

[2] المصدر نفسه، ص253.

[3] موران ادغار: ثقافة أوروبا وبربريتها، تر: محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2007م، ص06.

[4] موران ادغار: الى أين يسير العالم، المصدر السابق، ص30.

لتتكالب مع الهمجية التي لا نعرف لها صفة، تلك الهمجية الباردة الصقيع المتمثلة في التقنية الخاصة بحضارتنا".[1]

فأزمة الإنسانية اليوم هي ليست بالأزمة الهينة البسيطة، هي ليست أزمة الجسد حتى يتقدم العلم لمعالجته، بل هي أزمة الروح هي أزمة الوجدان والجانب المعنوي الذي يحتاج إلى عناية وخصوصية، هي الأزمة نفسها التي قادت إلى طلاق بين الجسد والفكر، اذ أفشت فراغا روحيا وذلك بفعل النزعة المادية،[2] يقول في ذلك موران: "يشكل تدمير ثقافة ما بفعل الهيمنة التقنية–الحضارية حضارة للبشرية جمعاء، والتي يشكل تنوع ثقافتها أحد أغنى كنوزها".[3]

3) العولمة Mondialisation: تمثل العولمة حال وواقع الأزمة الإنسانية في بعدها واطارها الكلي الشامل زذلك لأنها بعد أن برزت في العقل والتقنية، تأتي العولمة حتى تقدم التصور الكوني وهو الأمر الذي شخصه ادغار موران سنة2003 في عمل مشترك له مع **جان بودريار** (1929-2007) Jean Boudrillard تحت عنوان يشخص وضع وحالة العالم وهو كتاب "عنف العالم" والذي عمد فيه إلى المماهاة بين لفظة العولمة ولفظة الكوكبة والتي اعتبرها محاولة ليست بالجديدة، وانما هي متواجدة منذ الغزو الأمريكي وظهور عمليات الاستعمار والعبودية التي استمرت إلى غاية القرن العشرين.[4] ان العولمة إشارة إلى العالمية من اللفظ الإنجليزي Globalisation والتي تدل على أن العالم أصبح يُنظر اليه باعتباره قرية كونية واحدة، فهي هنا تحمل معنى الكونية والكوكبة،[5] وقد ارتبط ظهورها الفعلي بسقوط الاتحاد السوفياتي وتجلي ما يُصطلح عليه بالأمركة باعتبارها نمط جديد من الكوكبة التي اعتبرها موران مرتبطة بكل ما يحصل على هذا الكوكب من تداخل بين تطورات متعددة المجالات: اقتصادية واجتماعية ودينية وقومية وميثولوجية وديموغرافية.[6]

العولمة التي قربت المسافات وساهمت في انصهار كوكب الأرض تحت راية واحدة كان عودها على الانسان ثنائي الحد، من ناحية مثّل التأثير الإيجابي وذلك لأنها أضفت على كوكب الأرض سمة مشتركة سواء

[1] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟: المصدر السابق، ص12.

[2] المصدر نفسه، ص29.

[3] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص53.

[4] موران ادغار، بودريار جان: عنف العالم: المصدر السابق، ص74.

[5] الوالي كاظم عبد الجليل: جدلية العولمة بين الاختيار والرفض ضمن كتاب جماعي العولمة وتداعياتها في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2003م، بيروت، لبنان، ص09.

[6] موران ادغار، جان بودريار، المصدر السابق، ص73.

على المستوى الحضاري أو الثقافي. غير أنها ومن ناحية ثانية كان لها التأثير السلبي الذي أخذ يبرز للعيان من خلال مساهمتها اليومية في زيادة تجزيئ هذا الكوكب وبالتالي فهي تنخر بالمجتمع العالمي ككل.[1]

إن هذا الأمر لفت اليه موران الانتباه، ذلك أن موقفه من العولمة ليس الرافض والمقاطع وانما عمد إلى الإشارة لجوانبها الإيجابية، فهي بالفعل ساهمت في تشكيل ترابط متزايد بين كل فرد، أمة ومجتمع على كوكب الأرض وبالتالي فقد وضعت بنية أساسية لمجتمع عالمي في البداية، هذا المجتمع الذي يؤمن بالمصير الواحد المشترك، والذي يعتبر الأرض ككل وطنا واحدا، مما يغرس فيه حب كل ما في هذا الوطن والسعي إلى حمايته. إلا أن موران بالمقابل يقف موقف المتأسف الغاضب من مآلات وكيفية انتقالها من وعود بتأسيس عالم جديد، إلى مصاف سيء يحمل إمكانية لتدمير الإنسانية والقضاء عليها، وذلك ما شخصه في كتابه السبيل 2011 اذ اعتبرها تحمل في طياتها مخاطر لا يمكن التصدي لها، فهي تحتضن بالمقابل كارثة شكلت أزمة كوكبية جد خطيرة،[2] ولذا فهي سلاح ذو حدين وعملة بوجهين اشتملت على التوحيد ولم شمل الإنسانية تحت راية ولواء واحد وذلك من أجل تحضير المتخلف والمتراجع وتقريب البعيد ومد جسور التواصل والتفاعل الفعال الذي يمدّ كوكب الأرض بانتعاشه اللازم، غير أنها في نفس وقت نمو نزعتها التوحيدية نمت بالمقابل نزعة أخرى لها قوامها التدمير والتجريب، وما نموها إلا بين أحضان المركزية وهو ما أدى إلى الحربين العالميتين ثم بعدهما الحرب الباردة، وما لذلك من أثر عكسي وتجلي مباشر للعنف تحت راية التمركز الغربي، ولذا فموران اعتبرها أهم أداة أصبحت تلقي بالانسانية نحو المجهول خصوصا وأنها باسم مهمتها الموحدة ساهمت في حصول تلاشي وتشتت هووي.

يشير موران إلى فكرة الاقتصاد في حديثه عن العولمة خصوصا وأن العالم بواسطتها أصبح دوما واحدة من منطلق تقريب وتوفير السلع والمبادلات وهو ما ساهم في خلق جو تنافسي ومكّن من التحكم في الاقتصاد وضبطه من طرف الليبرالية، غير أن هذا التحكم وضع السلطة في يد فئة واحدة تمتاز بالقوة وبالمقابل الفئات والجهات الأخرى لم يعد لها أي استقلال بل أصبح اقتصادها خاضع تابع، فالعولمة أدت إلى فقدان الدول لاستقلالها الاقتصادي.[3]

[1] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟، المصدر السابق، ص69.

[2] Edgar morin, la voie pour l'avenir de l'humanité, éditions fayard, paris, 2011, p17-18.

[3] Edgar morin, sabah abouessalam, changeans de voie, p41.

ان العولمة التي أصبحت تهدد الوجود الإنساني، انما توصلت إلى ذلك من خلال نزعتها المركزية السلطوية التي مكنت قطب واحد ودولة واحدة من تولي زمام كل الدول الأخرى، من ايهامها بالتقريب وهي في الواقع ألقت بها في كهف التغريب، فالانسانية وعوض تحقيق الانفتاح والارتقاء إلى التقدم والتحرر والسعي إلى نقل ذاتها لمصاف ومراتب أحسن، أضحت اليوم تعاني الضياع بفعل المادية المبالغ فيها والتشيئ الذي أفرغ كل شيء من معناه، فمنطق المادة هو السائد على سطح كوكب الأرض، وهناك في أقصى الحدود نجد الإنسانية ببعدها المعنوي الوجداني تعاني الاحتضار. ولذا فالإصلاح ضروري والتغيير لابد منه وذلك حتى نستطيع على الأقل حسب موران انقاذ ما نستطيع من انسانيتنا التي نحن اليوم نفقدها بفعل التقنية والاقتصاد ومآلات العولمة العنيفة.

ثانيا: الإنسانية نحو مستقبل محتمل غير محتمل:

"يجب أن ندرك المفارقة المتمثلة في أن الزيادة في قوتنا تسير جنبا إلى جنب مع الزيادة في ضعفنا"[1] هي المقولة التي ذكرها ادغار موران في كتابه لنغير السبيل، اذ شخص في الدرس الثاني المستخلص من فيروس كورونا، وهو الدرس الخاص بحالة الانسان، شخص فيه الوضع المتأزم الذي عصف بالانسانية، فعلى قدر الإنجازات التي بلغتها وحدّة التطورات التي وصلت اليها، ها هي اليوم تعاني اللااستقرار وذلك بفعل الثقة التي كانت في غير محلها في العقل الذي توسمت في الخلاص، وتفاءلت من خلال افرازاته العلمية والتقنية النجاة وإمكانية تحقيق السيادة على كل شيء، غير أن ذلك ارتد على عكسه وأضحى الوضع اليوم لا يبشّر بالخير، فالثقة زادت في العقل الغطرسة وأعلت في الذات الغربية نزعة للتعالي ميل للسايدة والتمركز حول الأنا Egocentrism فالأنا الغربي وحده مركز الكون والحضارة، والآخر يبقى الهامش وهو الأمر الذي أباح كل شيء حتى التدمير والميل إلى العنف والعدوان باسم الأفضلية خلف ستار الحفاظ على المكانة والهوية، وهذا ما أكد عليه في نهاية حديثه عن أزمة الحداثة ضمن كتاب هل نسير إلى الهاوية اذ يقول:" باتت مسلسلات التراجع والتخريب اليوم أكبر وأعظم وبات المحتمل كارثيا"[2]

ان المستقبل بالنسبة إلى موران لم يعد مثل ما كان يُنظر اليه من قبل، اذ انطلاقا من التفدم الذي كان متفشيا على الصعيد الاقتصادي والتقني والاجتماعي كان يتم وصف المستقبل بالعصر الذهبي وذلك لأن التقدم هو القانون الغالب آنذاك، والمساهم في تحقيق الرخاء والرفاهية، غير أن هذا المستقبل اليوم انعدم في غضون حلقات معدودة وذلك بناءا على أحداث انبثقت بشكل غير متوقع.[3] ان الوضع الإنساني عند موران يغرق في مشاكل خطيرة أخذت بعداً عالميًا، وهو وضع على الرغم من توفره على الفئة النخبوية المؤمنة بالإصلاح وإعادة التنمية، إلا أنه في الحقيقة حاليا هو وضع متراجع يجسد الخوف ويقود إلى الانغلاق والنكوص على العرق أو الدين أو القومية، وما لذلك من سقوط في هاوية الصراعات والتعصبات.[4]

[1] Edgar morin, sabah abouessalam, changeans de voie ,p19.

[2] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟، المصدر السابق، ص32.

[3] موران ادغار: التفكير الشامل (الانسان وكونه)، تر: المنتصر الحملي، منشورات الصفحة سبعة، ط1، الجليل، المملكة العربية السعودية، 2022م، ص97.

[4] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص107.

في كتابه التفكير الشامل قدم موران تحديدا لأهم التصورات الخاصة بمستقبل الإنسانية سواء من حيث الأوضاع التي سبق وأن حدثت في الماضي بدءاً بالثورة الايروسية 1968م، ومرورا بجملة التغيرات والأزمات الاقتصادية والسياسية، أو حتى من جهة أخرى تصورات حاضرة في يومنا المعاصر لهذا المستقبل، والتي ضبطها في ثلاث تصورات:

الأول: يتعلق بفكرة نهاية التاريخ، فالوضع الإنساني اليوم أصابه الجمود ولم يعد في جعبته أي فرصة للإبداع والتحديد، ولذلك فالتقدم في سياق المستقبل موؤود ولن يرى أي نور.[1]

الثاني: يخص الصراع بين الحضارات، ذلك أن العداوات تأخذ مسارا مستقيما نحو النمو، وهو ما يعزز الميل إلى التناحر والعداء عوض الوفاق والتآلف، وهذا الأمر انما بسبب التغذي من الاختلافات والنزاعات الدينية على غرار ما يحصل في الشرق الأوسط (داعش).[2]

أما العنصر والتصور الثالث فإن موران يشير اليه من خلال مصطلح الأنثروبوسين L'anthropocéne والذي يؤكد على أن البشرية باقتحامها الثوري لحياة الكوكب أصبحت هي التي تحدد الظواهر المناخية والبيئية والبيولوجية، فالبشرية قوة مزلزلة، ولت تعد تلك الظواهر هي التي تحدد العصر الكوكبي.[3]

ولذلك فالمستقبل اليوم ينفتح على مشاكل لا يُستهان بها الأمر الذي قضى على أي إمكانية للتنبؤ، بل أنه وضع المستقبل أمام حال مضبب طالته الشكوك والارتيابات، فهل سيكون للإنسانية وجود في المستقبل اذا كان حال الحاضر يحتضر بالأزمات؟ هل سيكون بإمكاننا الحديث عن إنسانية يتم إصلاحها أو إنسانية جديدة؟ أم أن مآلات العقل وافرازات العلم والتقنية، وكهوف العولمة المظلمة ستجعلنا نتنبأ بزوال انساني شامل؟ ان موران يجهر قائلا: **"إن المستقبل برمته غير مؤكد، يجب علينا أن نحاول التنبؤ بالاتجاهات والمخاطر المستقبلية".**[4]

من خلال مؤلف "البراديغم المفقود"، يعمد موران إلى تسليط الضوء على وضع الإنسانية اليوم في العالم وحالة القلق الذي أصبح جزءا منها، وشعور الغربة الذي أصبح لا يفارقها، فلايقينية المستقبل فتحت المجال

[1] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص 101، 102.

[2] المصدر نفسه: ص 102-103.

[3] المصدر نفسه: ص104.

[4] Edgar morin, sabah abouessalam, changeans de voie, ibid, p45.

لإمكانية العدم وتجلي الموت كواقعة لا مفرّ منها. ان تنامي القلق سيؤدي إلى تأصل الأزمة، وطغيان اللااستقرار وحدوث انفصال العالم والرعب والتوتر والموت، ولكن مع ذلك هناك إمكانية للخروج من ذلك وهذا ما جعل نظرة موران تفاؤلية، فالقلق ذاته لن يتوقف عن نخر الحلول التي تتطلبها الأمة، ولن يتوقف أبداً عن العمل سرّا للتغلب على نفسه.[1]

ان الوضع الإنساني حسب موران يعاني السقم في ظل التقدم الذي عوض تحقيق حرية وسعادة الانسان، أخذ يهتك بوجوده وكينونته اذ يقول: "**فنمو حضارتنا يقودنا إلى تخلف ثقافي جديد، وإلى تخلف عاطفي، ولم يعد الناس قادرين على إيجاد جواب عن حاجتهم للتواصل الإنساني والمحبة والاجتماع، وإلى تخلف أخلاقي في ظل تقهقر المسؤولية والتضامن**"[2] فالمشكل اليوم بالغ الشدة والأزمة اليوم من طبيعة جد معقّدة.

في الأخير ما يجب التنويه اليه عند موران هو أن المستقبل بناءًا على الأوضاع المتردية التي أفرزتها الحداثة انما هو مستقبل يحتمل الوجود ويحتمل كذلك العدم، خصوا وأن الإنسانية التي تمثل أهم معترف به هي نفسها معطوبة، ولذلك فعلماء المستقبل اليوم ومفكري علم المستقبليات انما يسعون إلى بناء تصور جديد له يسعى إلى التفاؤل ويميل إلى اصلاح الوضع الإنساني، خصوصا وأن هذا الوضع اليوم يسير نحو الانتحار، غير أن ما يميز هذا الانتحار هو أنه اجباري عن غير إرادة، فالمنتحرين كما أكد دوركايم يتجهون إلى ذلك بطواعية، أما البشرية كما يرى فهي لا تريد الانتحار طواعية، ولكنها مع ذلك تنتحر لا اراديا.[3]

لهذا السبب لابد من تجاوز القطائعية والصراعات والحروب والميل إلى العدوان والعنف، من خلال اعلاء شأن المركزية الغربية وبالمقابل اختزال الذوات الإنسانية الأخرى. ان الخروج من هذا المرض الإنساني عند موران يكون عبر رسم خارطة تفاؤلية نحو الإصلاح والسير في اتجاه مستقبل موجود مشرق يحتضن الإنسانية ككل ببعدها المعنوي الوجداني وعلى اختلافاتها الدينية والعرقية... ولذلك فلابد من بناء تصور جديد لنظرتنا حول المستقبل، وذلك لا يكون إلا من خلال سعينا في الحاضر إلى تشكيل إنسانية جديدة تمتاز بالتأنسن.

[1] Edgar morin, le paradigme perdu: la nature humaine, éditions du seuil, paris, 1973, p119.

[2] موران ادغار: نحو سياسة حضارية، المصدر السابق، ص25.

[3] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص99.

المبحث الثالث: الإنسانية نحو بناء جديد (نحو تغيير السبيل)

لقد عرف السؤال عن الانسان حضورا لا سابق له في الثقافة المعاصرة، وذلك بناءًا على الحال الذي آل اليه هذا الكائن ابان هذه المرحلة نتيجة للمرحلة التي سبقتها من صراعات داخلية هووية فتحت المجال للانشطار والضياع وذلك انطلاقا من حالة الواقع الذي سقط في الفصل والتجزيئ وتمسك بشراع الاختزال والبساطة، الأمر الذي جعل هذا الانسان يعايش الاغتراب عن ذاته وعن غيره وعن عالمه، فأصبح بذلك موضوعا محوريا تغلفه الحساسية، لأن الأمر في حقيقته متعلق بموضوع بالغ الأهمية نظرا لكونه يخص أهم كائن حي، ولذلك أصبحت أزمة الفترة المعاصرة هي أزمة انسان بالدرجة الأولى، هذا الانسان الذي انتظر الخلاص وتوقع نيل الراحة والسعادة بعد الخروج من سيطرة اللاهوت، ها هو اليوم يعاني التلاشي ويعايش الآلام بمختلف أنواعها مادية كانت أم معنوية، كل ذلك بسبب الوعود الحداثية التي أعادته إلى البربرية الأولى والهمجية التي تسبب فيها انحراف التفكير والاستعمال العقلاني، ولذلك فقد بات السؤال اليوم يتعلق بتحديد من هو الإنسان؟ وهل هو لوحده على سطح الأرض؟ وإلى أين سيذهب في المستقبل؟ وذلك من أجل فهم موضعة هذا الكائن البشري في العالم وما للأمر من نقلة نحو المستقبل، وهو الأمر الذي عمد إلى تبنيه تحليلا واستشرافا موران من خلال مشروعه التركيبي الذي جسّد شكل الجسم والهيكل الواحد والذي على الرغم من انفصال واستقلال أجزائه إلا أنها في النهاية تبقى تابعة لبنائها الكامل المرصوص، ويبقى تواصلها كائن بشكل تفاعلي، فالتعقيد طال وارتحل إلى غرفة الإنسانية عند موران وأخذ يطبعها بطابعه الخاص انطلاقا من لحظة تشكلها الأول وإلى غاية وصولها للنزعة المركبة بدءًا بالمستوى الخاصة وارتحالا إلى المستوى الكوكبي، فكيف تصور موران الإنسانية في أصولها الأولى؟ وما هي الصورة التي قدمها حول انبثاق الهوية الإنسانية ببعدها المركب؟

أولا: الوضع البشري من التأصل الكوني إلى الإنبثاق الإنساني:

ان الانسان عند موران باعتباره أهم كائن على سطح الكوكب يحتاج إلى عناية واهتمام خاصين، ويستلزم نظرة تحيد عن الاختزال وتتلون هي الأخرى تتلون بالتركيب والتعقيد، ذلك أن النظرة التي سبقت من قبل عمدت إلى عزله عن كال ما حواله واختزاله عن كل عناصره، ورغم أن الإنجازات والعلوم ألقت بثمارها إلا أن الإنسان بقي قابعا في خانة الجهل وطاله التشرذم، الأمر الدي جعل صورته مضببة ووضعيته مظلمة، وبالتالي اضحى حاضره متخبط في العماء ومستقبله بسير نحو اللا يقين.

لقد أضاءت المعرفة التي حصلها الإنسان في القرن العشرين جوانب كانت مظلمة مستترة، فأضحت الظاهرة البشرية واضحة براقة، ذلك أنها تمكنت من تحديد وضع هذه الظاهرة، فعلم الأحياء مكّنها من إدراك تأصلها في الحياة، وعلم البيئة عرّف بالتأصل في المحيط الحيوي، وعلم الأرض ساعد على التعريف برحمها الأرضي، والأدب والشعر والموسيقى قدمت لغة معبرة عن الروح البشرية، غير أنها على النطاق المقابل و للأسف لم تمكن من إدراك الوحدة المعقدة لهوية الكائن الإنساني[1] و ذلك إنما يعود لكونها جسدت الإنفصال و الشتات إذ ركزت و حصرت الاهتمام في جانب واجد فحسب و فصلته عن باقي الأجزاء الأخرى، فتماهت في خصوصياته و نسيت أن الإتحاد ضروري وأنه لا يتسنى فهم شيئ وكيان كلي مركب من خلال التركيز على أحد أجزائه فحسب، الأمر الذي عاد بالسلب على ما هو انساني وتحول إلى قطع أشبه بلعبة اللغز التي تفكك قطعها.[2]

إن الواقع الفكري والإنساني ينفتح على أزمة ابستيمولوجية عويصة تتمثل في العجز عن تكوين صورة واضحة عن الانسان إذ أضحى عوض الوحدة والتعقيد اللذان يمثلان طبيعته وأصل تكوينه، أضحى بفعل النظرة الاختزالية مجزء مهمش مختزل في بعد بيولوجي مادي على الرغم من أنه يشتمل على جوانب أخرى عديدة وأولها النفسي والروحي، لهذا أكد موران أن مصطلح انساني عليه اختراق الوضع الذي ألقت به الحداثة فيه، وذلك لأنه غني متناقض ومزدوج، انه في الواقع (معقد بالنسبة للأذهان المجبولة على اجلال الأفكار الواضحة والمميزة)[3]

---

[1] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص22.

[2] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، تر: علي طارق، دار الكتب والوثائق، ط1، بغداد، العراق، 2019م، ص79.

[3] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص23.

لذلك فمن الضروري جمع الشتات والنظر إلى الانسان بنظرة كلية مركبة تسمح بضم أجزائه المبعثرة التي تم النظر اليها بانشطار، وفي نفس الوقت إعادة توطيد علاقته بعالمه، خصوا وأن هذه العلاقة تم فصلها وفك ارتباطها حتى أضحى الانسان إما متماهي داخل ثنايا الطبيعة، أو مستقل استقلال تام عنها من خلال نظرة الحداثة التبسيطية كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وعلى هذا الأساس فالضروري يتعلق بعماية اصلاح ومعالجة المعرفة من سقمها الذي عاد بالسلب على الوضع الإنساني، وسلبه حق النظر اليه بوحدة وتركيب. فالإنسان كائن متعدد الأبعاد وبواسطة التعقيد فحسب سيتسنى لنا استشراف ذلك. لذا فموران وفي كتابه النهج إنسانية الإنسانية (الهوية البشرية) ينادي بضرورة تعقيد المعرفة لأنها حينها فقط ستتمكن من ادراك جميع أبعاد الواقع الإنساني وجوانبه المنفصلة والمقسمة في الوقت الحاضر إلى فيزيائية، بيولوجية، نفسية واجتماعية، ميثولوجية، واقتصادية، وعلوم اجتماعية وتاريخية، وبالتالي جمع وتحقيق وحدة البشرية وتنوعها[1]

إن إعادة إحياء علاقة الانسان بالطبيعة عند موران يمكننا من ادراك طبيعتنا وتركيبتنا الحقيقية التي لها اتصال دقيق بالعالم المادي أي بالكون الذي يحيط بنا باعتبارنا كائنات حية، دون أن يتم إغفال جانبنا المعنوي الثاني اذ يقول:" لقد أدركنا في وقت متأخر هذا الأمر من العالم الغربي، والسبب هو أن علاقتنا بالطبيعة الأم الموجودة في العديد من الثقافات الأخرى قد تم طمسها"[2]، ولذلك فالطبيعة الثنائية للإنسان تفرض عليه من ناحية فيزيقية العودة إلى وضع أول وأصل ذو طابع طوني لتجسيد مرحلة من مراحل انتقاله إلى وضعه الإنساني الشامل، فالانسانية وقبل أخذ صورتها النهائية انما تعود إلى أصل أول جسد شكل لحظة تكوّنها، ثم ارتقت منه تدريجيا إلى غاية اكتمال وانبثاق صورتها المأنسنة، لذا فالرحلة الإنسانية تبدأ بالتأصل الكوني بجانبه الفيزيائي وترتقي مرورا بالتأصل البيولوجي العضوي عند موران، إلى غاية الوصول إلى الكيان الكلي الإنساني.

1) التأصل الكوني: في اللحظة التي جهر باسكال بعبارته القائلة: **"مهما تجاوزت مفاهيمنا الفضاءات التي يمكن تخيلها، فلن نتوصل إلا إلى ذرات بإزاء واقع الأشياء"**[3] والانسان اتخذ موقعا واضحا محددا في الكون بشكل دقيق مضبوط باعتباره ليس شيئا عاديا عبثيا ملقى في العالم الخارجي، وانما لكونه كائن عملاق مكون من مليارات من الجزيئات التي لا يجب الاستهانة بها، اذ تمثّل محورا أساسيا ضروريا في تشكله، ولذا فهو

[1] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص24.

[2] موران ادغار: التفكير الشامل، مصدر نفسه، ص20.

[3] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص33.

كيان كلّي مركب من عناصر وجسيمات عديدة متناهية في الصغر متحدة فيما بينها، والتي لا يعود تشكلها اليه هو في حد ذاته بل هي عناصر متأرجحة في الكون منذ لحظة انبثاقه.

إن الطرح الاستفهامي "من نحن؟" هو طرح متصل دوما بالطروح الأخرى "أين نحن؟" و "من أين أتينا؟" و" إلى أين نحن ذاهبون؟ وهي كلها استفهامات تدور في سياق موضوعة الانسان وربطه بالكون وتحديد موقعه فيه وليس العكس[1]، ولذا فالكون الذي كنا ننظر له من نافذة النظام المطلق، انما هي نافذت تم اغلاقها خصوصا وأنه في مسار دائم وتوسع لا حد له، لذلك فلابد من تآلف النظام واللانظام فيه كل هذا من أجل تجسيد انبثاف الكائنات واستمرار مسار الحياة وهو الأمر الذي اعتبره موران ملحمة كونية قوامه التشتت من ناحية والترابط من ناحية أخرى، فما نحن إلا قشة لشتات كوني وفتات من الوجود الشمسي وتبرعم ضئيل للوجود الأرضي.[2]

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن الشروع في البحث عما هو انساني انما يعود إلى أصل أول هو الأصل الكوني ولذلك فلابد من إعادة بناء علاقة الانسان بطبيعته وكونه، لأن ذلك ليس بالأمر الطارئ على مسار الإنسانية وانما هو أصلها ومرجعها الأول، فالانسان متأصل في الكون الفيزيائي وفي الفلك الحي معا، ولذا فنحن داخل الطبيعة وخارجها في نفس الوقت.[3]

ان ادغار موران يعود بالانسانية إلى أصلها الأول الذي يشكل لحظة من لحظات تكونها وهو الأصل الكوني، فالكون وليد اذ له ولادة وتاريخ وذلك كان بعد مرحلة حرارية مكثفة من خلالها تكونت جسيمات اتحدت مع بعضها البعض، وكان نتيجة هذا الاتحاد تشكل الذرات بدءًا بالهيدروجين ثم تدريجيا الكربون وهي ذرة الحياة الضرورية المتجلية في فضاء شمس أولى كانت لها لحظة انبثاق وتشظي قادت إلى زعزعة وانفصال الكربونات مرة أخرى، مساهمة بعد ذلك في تكوّن كواكب أخرى متعددة ومنها كوكبنا الأرضي، ولذلك فولادة الكون وتشكله انما هي ولادة لنا نحن كذلك ولذا فتاريخه متحد بتاريخ حياتنا.[4]

[1] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص33.

[2] موران ادغار: العقل المحكم (إعادة التفكير في الإصلاح وإصلاح التفكير)، تر: المنصف ونّاس، معهد تونس للترجمة، دط، تونس، 2020م، ص45.

[3] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص33.

[4] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص53.

ان العودة إلى هذا الأصل الأول ضرورية لأنها تساعدنا على معرفة وتحديد هويتنا الكونية، هويتنا الفيزيائية، فالبشرية لم تنشأ عبثا دون سابق انذار، وانما نشأت في أوانها ولحظتها المضبوطة، ووجودها لم يكن من قبل أبدا وانما انبثاقها وتطورها تزامن مع لحظة اكتمال نمو الشمس منذ ملياري سنة، الأمر الذي يرجح استمرارها لملياري سنة أخرى[1]

يؤكد موران أن الطبيعة الكونية للإنسان هي طبيعة فيزيائية وذلك لا يعود ال أن جزئياته وذراته فيزيائية فحسب، وانما تنظيمه الذاتي كذلك هو تنظيم فيزيائي كيميائي ساهم في تكون سمات هي سبب نشأة الحياة[2]، ولهذا فالحياة هي جزء صغير يعود إلى المادة الفيزيائية الكيميائية، والأمر الذي يركز عليه موران كما أشرنا في البداية أن جوهر هذا العالم الفيزيائي هو التفاعل القائم بين عناصر متناقضة تسير وفق لقاءات عشوائية منطوية في ذلك ضمن حلقة واحدة رغم الاختلاف والمغايرة المنطويان داخلها إلا أنها تمثل لعبة العالم، وأطرفها انما هي النظام والفوضى، التنظيم، سوء التنظيم[3]

2) التأصل البيولوجي (الوضع الأرضي): يؤكد موران أن حياتنا من الأرض وأننا مخلوقات حية، ولذلك لابد من إضافة الأصل الأرضي للإنسان إلى جانب الأصل الأول الكوني وتكوينه الفيزيائي وذلك لأن الحياة انبثقت بالنسبة لنا من الأرض التي كان تكونها ذاتي منتظم تابع لانتظام الشمس[4].

ان الانسان عند موران تصور أنه سيد للطبيعة ومالك لها، ولذلك أخذه الغرور فأصبح يتجاوز أي إمكانية للعودة والنظر إلى طبيعته الحيوية والتأثيرات النباتية والحيوانية، ولذا فعليه لا محالة إدراك مدى ارتباطه بالمحيط الحيوي الأرضي، فالمهمة هنا تخص الهوية الأرضية الفيزيائية والاحيائية، فالانسان كائن متكون من خلال تطور العالم الحيواني الذي يجسد أحدث تقدم خلوي منبعث من الأرض، فالأرض عند موران عايشت نوبات صرع وحالات أعاصير ماكرو جزيئية جعلتها تنتج وتصنع باعتمادها على الشمس الغلاف الجوي وهو الأمر الذي بث فيها الحياة أي حياة الانسان وباقي الكائنات.[5]

[1] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص54.

[2] المصدر نفسه، ص35.

[3] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص35.

[4] المصدر نفسه، 37،38.

[5] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص82.

لقد أكد موران أن الكائن الإنساني هو الآخر كباقي الكائنات الحية يتوفر داخله على وحدة الكيمياء الحياتية ووحدة الحياة الوراثية، فالجزيئات المنتجة بناءًا على العملية الفيزيائية–الكيميائية من قبل، انما هي جزيئات يغلب عليها التعقيد، وتؤدي إلى انتاج نفسها ذاتيا من أجل بروز الكائن الحي مثل ADN الحامض الريبي النووي منقوص الأكسجين، وال ARN الحامض الريبي النووي، وجملة من البروتينات كذلك التي ستفضي إلى الكائن الحي والتي تتغذى من محيطها[1].

ان الانسان هو جزء غير منفصل عن المصير الكوني، فالكوكب الذي نقطنه هو فلك تابع للشمس، تكوّن منذ خمس مليارات سنة بشكل ظاهري اثر انفجار شمسي ساهم بعد ذلك في بروز الكائنات الحية، ولذلك فنحن كائنات كوكبية وأرضية بالنسبة إلى موران وما علينا إلا الانتباه إلى وضعيتنا فيه باعتبارها وضعية تخضع للتهميش[2] اذ يقول: **"لقد ولد كوكبنا الحياة التي تطورت بصفة تفرعية في العالمية النباتي والحيواني ونحن غصن الغصن لهذا التطور ضمن الفقريات والثدييات والرئيسيات، واننا نحمل في داخلنا الوارثات وهي بنات الخلايا الحية الأولى وأخواتها، فمن خلال الولادة نساهم في المغامرة الإحيائية ومن خلال الموت نساهم في التراجيديا الكونية".**[3]

3) الوضع الإنساني (الانطلاقة الكبيرة): لقد برزت الإنسانية انطلاقا من الحيوانية من خلال ستة ملايين سنة بفعل الأنسنة* والتي تشكل مغامرة ساهمت في تجلي أجناس جديدة على غرار الانسان النيوندرتالي Neandertalensis [4]فالأنسنة هي الحالة التي ينتقل فيها الاهتمام من العام إلى الخاص، فالسلوكيات عديدة ومشتركة في العالم الحيواني، غير أن اللجوء إلى استخدام العقل والاستعانة باللغة والأهم من ذلك الاعتماد على الثقافة، هي وحدها الخصائص التي تمثل الإنسانية بأكملها، ولذلك فمعرفة الوضع الإنساني يكون بالعودة إلى إمكانات العقل واستخدامات اللغة في سياق بوتقة ثقافية.

[1] موران ادغار: تعليم الحياة (بيان لتغيير التربية)، تر: الطاهر بن يحي، منشورات ضفاف، ط1، بيروت، لبنان، 2016م، ص137.

[2] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص48،47.

[3] موران ادغار: العقل المحكم، المصدر السابق، ص43.

* يشير مصطلح الأنسنة الى عملية تحول الى الانسان، ويوظف هذا المصطلح في سياقات مختلفة نسبيا في مجالات علم الأحياء القديمة وعلم دراسة مستحاثات أسلاف البشر وعلم الآثار والفلسفة والإلهيات. ينظر في كتاب سبعة مبادئ من علم التعقيد لإدغار موران، ص82.

[4] موران ادغار: العقل المحكم، المصدر السابق، ص46.

يؤكد موران أن الأنسنة تشكل في حد ذاتها بداية جديدة في ظلها يتأنسن الإنسان، وذلك لأنها مثلت ارتحال وارتقاء إلى غاية الوصول للتعقيد الاجتماعي الذي تبرز فيه اللغة والثقافة المتداولة من جيل لآخر[1].

ان الانسان العاقل لم يتسنى له البروز والتجلي إلا بعد حصول ترابط واتحاد بين اللغة والثقافة، فالدماغ الإنساني يزيد حجمه نتيجة الاستخدام، والخلايا العصبية يكثر عددها بدءًا من الطفولة ومرورا إلى فترة الشباب أين يتم اكتساب الثقافة بعد اكتساب اللغة، ولذلك فالثقافة بطابعها التعقيدي هي التي تساهم في قيادة العقل إلى النجاح وتحقيق الانتصار وليس العكس[2]، يقول موران: **"الأنسنة اتجهت نحو بداية جديدة الحيوان المؤنسن أصبح انسانا"**[3].

مع أن الانسان ولد على هذه الأرض وعلى هذه الطبيعة، غير أن انسانيته وعقله وثقافته كما يؤكد ادغار موران فتحت المجال أمام التهميش وشعوره بالغربة، ففي كتاب "العقل المحكم" يقرّ بأننا أطفال الكون الهامشيون المكونون من فتات وذرات العالم الفيزيائي، اننا لسنا هامشيين فقط، ولكننا فوق ذلك ضائعون تقريبا في الفضاء الفلكي وشبه غرباء من حيث تفكيرنا ووعينا.[4] وهو في ذلك يشير إلى أنه على الرغم من التشكل الثنائي المادي والمعنوي إلا أنه وبدءًا بالقديم، ثم وصولا إلى الفترات الراهنة وقعت الإنسانية بسبب ثقافة الاختزال وبناءًا على افرازات العلم والتقنية، وقعت ضحية الاقصاء للجانب المعنوي فطغت المادة، وأصبح الانسان يُنظر اليه من شق البعد الفيزيائي فحسب، الأمر الذي جعله يعاني الضياع في فهم وموضعة ذاته داخل العالم الذي ينتمي اليه، وهو الذي يؤكد على أن مشكلة الإنسانية اليوم تتحدد بتجاوز التبسيط والانتقال إلى فهم مزدوج لمفهوم الانسان: واحد حيوي فيزيائي وآخر نفسي واجتماعي وثقافي، فكلا المدخلان يحيلان إلى بعضهما البعض[5].

ان تشكل الإنسانية وبداية انطلاقتها الكبرى نحو الأنسنة الحقة انما يكون عبر ادراك وجودها وموضعها في الكون باعتباره جزء منها وهي جزء منه، وفي نفس الوقت مكانتها من الأرض التي تنتمي اليها، ولكن ذلك

[1] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص48.

[2] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص42،43.

[3] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص83.

[4] موران ادغار: العقل المحكم، المصدر السابق، ص42.

[5] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص48.

يرتقي تصاعديا بشمل متعالي نحو بعد آخر هو البعد المعنوي وهو ما يجعلها إنسانية خلاقة محلقة مرتقاة إلى جوهرها الإنساني.

يمكن القول أن الأنسنة ساهمت في انطلاقة بشرية جديدة هي الانطلاقة التي اتخذت في البداية طابعا تشريحيا وراثيا، ثم طفقت تهتم بما هو سوسيولوجي نفسي وما له من دور في تشكيل وعي انساني وأخلاقي، هذا الوعي الذي لا يمكن إلا أن يُتمم بالوعي بالطابع الرحمي للأرض من أجل الحياة، والحياة من أجل الإنسانية،[1] ولذا من الضروري النظر إلى الاتحاد والتعقيد كطابع لكل ما يحيط بالإنسان وذلك لأن كل شيء يتجاوز الثبات ويخضع للحركة والاستمرارية والفوضى والتقلب ولهذا علينا الابتعاد عن الاختزال الذي يحصر الوجود سواء كان كوني أو فيزيائي أو انساني في خانة واحدة وفي نظرة مقتصرة على جزء ومجال مادي ملموس فحسب، وانما كما يؤكد موران أن التاريخ الفيزيائي والتاريخ البيولوجي والتاريخ البشري كله لديه لقاء وقاسم مشترك يتحدد بناءًا على التغير ويرتبط بالتطور والسعي إلى التقدم في كنف التعقيد.[2]

وانطلاقا مما سبق تحليله يمكن القول أن هذه المحاولة المورانية انما من أجل ايقاظ الوعي بتصور مركب معقّد للإنسان، لأن ذلك وحده ما سيسمح بتكوين صورة جلية واضحة عنه معبرة عن جوهره وحقيقته وكنهه، فالانسان يبقى ذلك الكائن الكلي ذو الجوانب العديدة المتفاعلة المترابطة فيزيائيا، بيولوجيا، سوسيولوجيا، سايكولوجيا فيما بينها، ولذلك فهو كائن ابن طبيعته انبثق منها ويتحد مع كائناتها دون أن يتماهى فيها بشكل تام، بل يتحد حتى يرتقي بذاته ويبني كيانه وهويته، ولذا فما علينا إلا أن نستعين بالتعقيد حتى نتمكن من وضع أنفسنا في الموضع الصحيح ضمن مسار الوجود، لهذا من الضروري تحقيق التكامل بين مختلف الجوانب، سواء على مستوى الانسان بدمج بعده المادي والمعنوي سوية، أو حتى على مستوى الكون ككل بتحديد التواصل الإنساني مع باقي الكائنات، والأهم باقي أبناء جنسه في سياق شمولي تركيبي يحتوي الكل، ويكون الكل محتوى في ذات الوقت داخل الأجزاء وفق التصور الهولوغرامي.

[1] موران ادغار: العقل المحكم، المصدر السابق، ص47.

[2] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص58.

ثانيا: إنسانية الإنسانية:

لقد ساهم استقلال العلم وانفصاله عن الفلسفة في ظهوره وتطور تخصصات علمية عديدة اتخذت كل واحدة منها موضوعها ومنهجها الأنسب في دراسة الظاهرة الإنسانية، ولذلك كان الإنسان على الدوام محور اهتمام العلم الذي طفق إلى معاينته وتشخيصه بناءا على خصوصية جوانبه، ولذلك تفرعت علوم عديدة على غرار علوم الطبيعة، العلوم الإنسانية، علم الأدب... غير أن الملاحظ هو أنها حصرت نظرتها ودراستها للكائن الإنساني في بعد واحد واختزلت باقي الأبعاد الأخرى خصوصا العلوم الطبيعية منها اذ قزّمت الانسان وبسطت خصوصيته إلى حدّ تماهيه في المادة واذابته في الفيزيقا، الأمر الذي حرّك اهتمام عديد المفكرين نحو معالجة الوضع المتأزم الذي أصبحت تتخبط فيه الإنسانية من فصل وتبسيط وتجزيئ على الرغم من أن جوهرها مركب متشابك معقد، وأبرز الذين سعوا إلى ذلك ادغار موران الذي نادى بضرورة جمع شتات المعارف ودمجها مع تحت راية واحدة تعبر على وحدة الانسان.

ان الطبيعة البشرية تمتلك خاصية التعقيد، والكائن البشري لا يجب تفكيكه أو حصره في أصل ومجال واحد هو الأصل البيولوجي وما له من مساهمة في خلق تصور لإنسان ذو بعد واحد وهو الأمر غير المقبول، بل الخطوة التي يتعين القيام بها عند موران هي الإقرار بوجود أهم جانب في الانسان وهو الجانب الثاني المعنوي الذي يعبر على الأصل الثقافي، فالانسان واذا ما اقتصر الحكم عليه على البعد الأول فإنه لامحالة سينحدر إلى أسفل مستوى في الثدييات، غير أنه اذا تم النظر اليه بتركيبة تضيف إلى ذلك البعد الأول بعدا آخرا ثقافيا، حينها فحسب يمكننا الحديث عن الإنسان العاقل الإنساني الثقافي، لهذا فالاهتمام صار موجه نحو الطبيعة المعقدة لهذا الكائن التي تركز النظر اليه باعتباره حيوان كلي فيزيائي وبيولوجي، نفساني وثقافي، اجتماعي وتاريخي، وهذا ما يساهم في مدّ صورة عن طابع الإنساني الحقيقي.[1]

1) ثالوث الثقافة – اللغة – الذهن:

يؤكد موران على أن عالم الحياة يمتلك خاصية الترابط بين كائناته، اذ نجد أنها تشترك في خصائص وسلوكيات عديدة، إلا أن النقطة الفارقة والتي تحمل الانسان إلى مصاف أخرى أكثر علو وارتقاء هي التي نصطلح عليها بالثقافة والتي تشير إلى مجمل العادات والتقاليد والممارسات والمهارات والمعارف والقواعد

[1] موران ادغار: تعليم الحياة، المصدر السابق، ص 128.

والمعايير...والمعتقدات والأفكار والقيم والأساطير المستمرة من جيل إلى جيل فهي كما يؤكد موران أول رأس مال انساني وبدونها يغدوا هذا الكائن أسفل سلّم لبائن الدنيا.[1]

ان الثقافة تساهم في عملية ارتقاء الانسان من مصاف الحيوانية التي شكلها جانبه البيولوجي، باعتباره يندفع بشكل غير قابل للتحكم نحو النزوات اذ تخرجه من أسفل السهل الحيواني وتصعد به تدريجيا نحو التعالي العقلي، وعلى هذا الأساس فهي تنقل الإنسان من جنوني إلى العاقل، ومن خلالها فقط تتمكن الإنسانية من الجلاء والتحقق بشكل فعلي.

ولذلك كان بروز الثقافة خير ناقل للمسار الإنساني والحضاري نحو الرقي والتطور اذ من خلال الابتكارات والتقنيات تحولت المجتمعات وانتقلت من التكتلات الصغيرة إلى المدن والأمم والامبراطوريات الكبيرة، وحتى الأفراد انتقلوا نحو مستوى عالي من التقدم العقلي والذهني والنفسي والعاطفي، اذ تسمح بنيل التعلم وبلوغ المنزلة اللازمة والمفيدة للإنسان في حياته، ولذا فهي سبب ونتيجة للعقل الإنساني اذ ما كان لها أن تقوم دون قدراته، وفي نفس الوقت ما كان له أن ينال التقدم دونها، فالعملية ارتدادية بينهما.[2]

واللافت للانتباه أن الثقافة رغم انبعاثها داخل جماعات وتكتلات إنسانية، ومع أنها تنفتح مع طابع التنوع والتعدد الذي يميز هذه الجماعات باعتبارها مكونة من أنسجة متعددة وروابط إجتماعية وإنسانية، غير أنها أي الثقافة مع كل ذلك تحافظ على خصوصيتها في دوامة ذلك، اذ تساهم في الحفاظ على خصوصيات الكائن الإنساني وهويته الخاصة، فالثقافة تعمل على وضع حدود لهوية الإنسان نظرا لما تمتاز به من انفراد فتحميها من أي طارئ يطالها ويهدد كينونتها، ولذا فهي تملك خاصية الانغلاق اذ تساهم في قوقعة الهوية الإنسانية وسط كيان خاص، غير أن ذلك لا يعني الانغلاق التام وانما هو انغلاق نسبي اذ يسمح في ذات الوقت بمدّ جسور التواصل والتفاعل، وهذا ما يجعل الهوية محافظة على خصوصياتها وفي نفس الوقت منفتحة بتحفظ على الهويات الأخرى وهذا ما سيجسد فيما بعد الثقافة الهووية الكوكبية عند ادغار موران.

ولذلك فالثقافة فتحت المجال أمام التلاقي والتلاقح الإنساني، ونقلت الإنسانية من مجرد الاختزال والتبسيط العضوي المادي ومن النظرة ذات البعد الواحد، إلى مستوى آخر أضاف التعقيد ونظر إلى هذا

[1] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص45،46.

[2] المصدر نفسه، ص45.

الكائن بمنطق تركيبي يضم أجزاء أخرى معنوية روحية، الأمر الذي ساهم في فتح المجال أمام تجاوز المركزيات وسياسات التهميش والتعالي، وبالمقابل الانتقال إلى ثقافة كونية شاملة تدفع إلى التواصل وتجسد النظرة المتعددة للعالم والحياة والإنسانية جمعاء.

لقد سبق وأن أشرنا إلى أن الثقافة لا يمكن لها الظهور إلا من خلال قدرات وإمكانات العقل الإنساني، وكذلك هو الكلام والفكر ما كان لهما الوجود إلا في سياق وبواسطة الثقافة،[1] ولذا فإدغار موران يؤكد على ثاني عنصر مساهم في مد الإنسانية بإنسانيتها هو اللغة، ذلك ان اللغة المقصودة هنا ليست المشتركة مع باقي الكائنات أي تلك التي تتعلق بالإشارات والأصوات والحركات التي يمكن للحيوان أن يتواصل بها، وإنما اللغة المقصودة هنا هي اللغة التي تخضع لضوابط وتقتصر على الكلام الإنساني الذي يحوي مفردات خاصة، ولذلك فاللغة بالنسبة إليه هي جزء من الإنسانية، فالإنسانية برمتها موجودة في هذه اللغة الخاصة.[2]

إن اللغة الخاصة عند موران هي اللغة التي تنطلق من تكوين بيولوجي عضوي لكن ما يمنحها صفة الخصوصية هو أنها تعمل على الارتقاء وتكوين اتصال وترابط معنوي بين مختلف الأذهان، ولذا يصفها " بالماكنة" إذ أنها مستقلة تابعة في نفس الوقت، مستقلة عندما تعبر عن الجانب للعقلي لـ"الأنا"، وفي نفس الوقت تابعة عندما تكون محتواة داخل الثقافة الاجتماعية لـ" النحن".[3]

واللغة هي الأخرى مثل الثقافة إذ أنها تجسد الانفتاح والانغلاق في ذات الوقت، وتعبر عن الهولوغرامية فهي محتواة داخل الإنسان وهو بدوره محتوي فيها، ولذا فهي من ناحية تمثل الانغلاق عندما تجسد التواصل الداخلي الخاص أو التواصل مع الآخرين الذي يحمل بين طياتها الخطأ والكذب، أما من ناحية ثانية هي تعبر عن الانفتاح وذلك لكونها تحمل دافعية للتواص مع الآخرين والتفاعل معهم، والانفتاح على هذا العالم بما لدينا من آليات أبرزها الأفكار إذ يقول موران:" **فنحن وفقا لمصيرنا، منغلقون بواسطة ما يتيح انفتاحنا ومنفتحون بواسطة ما يغلقنا، إنها مشكلة إنسانية شاملة ذات تنوعات وتغيرات لا متناهية**".[4]

[1] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص45.

[2] المصدر نفسه، ص 47.

[3] المصدر نفسه، ص47.

[4] المصدر نفسه، ص48.

ولهذا فاللغة تبقى خير خاصية معبرة على إنسانية الإنسان، وحاملة لجوهره الداخلي الذي يزخر بكنز فكري وثراء نفسي لا غنى عنهما، فهي أهم أداة يمكن الاستعانة بها للتعبير عما يميز هذه الإنسانية المرتقية المتعالية بتميز في الوجود الخارجي، ولذا فهي أهم ما عبرت عنه الثقافة واهم ما أنتجته ومنحته للإنسان، إذ نقلتها من مجرد التواصل الشكلي اللفظي إلى مرتبة أعلى تعبر على جوهر الدماغ والعقل الإنساني، ولهذا فاللغة هي الأخرى ساهمت في بروز وتجلي الذهن البشري.

إن الحلقة التي يمكن الحديث هنا إذا تتعلق بارتباط ثلاثية الثقافة والذهن والدماغ، ذلك أن هناك علاقة وثيقة بين هذه العناصر فكل واحد منها ضوري في البروز والتشكل بالنسبة للآخر، ذلك أن الدماغ ككيان مادي تمكن عبر تحفيز ودفع الثقافة الإيجابي من تقديم الذهن، وإدغار موران في ذلك يشير إلى رحلة العقل البشري الذي أفرز حالات من الذكاء التقت في البداية مع الموجودة لدى الحيوان (شامبانزي، طيور...)، غير أن ما يميز الذكاء الإنساني الخاص هو أنه تمكن من التطور بواسطة الذهن وذلك عبر ميادين متعددة، ولذا فالذكاء وأشكاله المتعددة، والابتكارات، والفكر، والوعي هي كلها أشكال متنوعة لنشاط ذهني متنوع الأصوات، ومع أنها متمايزة إلا أنها من المتعذر الفصل بينها.[1]

إن الذهن وما ينطوي عليه من مقولات كما سبق وأن أشرنا هو الذي صارت مختلف الابتكارات ترد إليه، فقبل وقت قليل كان الفضل يعود إلى العوامل والتنظيمات الوراثية، غير أنه أصبح التطور مرتبك بمكنونات الذهن ولذلك فإن إدغار موران ينطلق ويصل دوما من وإلى نفس الفكرة وهي قيمة التعقيد في حياة المجتمعات والافراد، ودوره في تحقيق وتجسيد التواصل والتفاعل وما لذلك من شأن في تحقيق التطور عبر مختلف الأصعدة، ولذلك يجتمع في السلسلة الواحدة المستقيمة الدماغ باعتباره المنطلق والاساس الإنساني والملكة التي يتميز بها هذا الكائن عن سائر المخلوقات الأخرى ومن خلاله يتم الاستعانة باللغة كآلية للتواصل ونقل المشاعر والأفكار وبالتالي التعبير على هوية الفرد، حينها تتجلى الثقافة باعتبارها أهم ما يعبر على تلك الهوية سواء بخصوصياتها أو بمشاركاتها العالمية، وفي تلك اللحظة يتجلى الذهن الذي يكون في النهاية قد انبثق من الدماغ بوساطة اللغة وداخل ثقافة ما، وقد مثل موران ذلك بالشكل التالي:

[1] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، 50،51.

2) ثالوث الفرد – المجتمع – النوع:

في كتابه التفكير الشامل Penser global أشار موران إلى أنه ليس في حاجة إلى استعمال لفظة "انسان" للتعبير عن ذلك الكائن العاقل، وذلك لأنها كلمى تحصر الاهتمام في الفرد فقط وتستثني المجتمع، ولأنها من ناحية أخرى تدلّ على المذكر وتتجاوز المؤنث، ولذلك استبدلها بلفظة ثانية هي لفظة "الكائن البشري"[2] هذا الكائن الذي يتم تغييبه اليوم مع أنه كان محور اهتمام الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عضر، اذ اهتمت بمختلف المعارف الخاصة به، في حين ها هي اليوم تركز على دراسة المجتمعات الأثرية.[3]

إن موران يؤكد على أن الإنسانية تنبثق من ثالوث تعددي تحصل بينه تداخلات مختلفة ويظهر عبر حلقة متحدة تماما مثل حلقة الدماغ، الثقافة، الذهن، وحلقة العقل، الانفعالات، الغريزة، وهو ثالوث الفرد والمجتمع والنوع، فالكائن البشري هو تعريف ثالوثي ويبرز ذلك بقوله: "**ذلك أنه يشتمل على الفرد مثلما يشتمل على المجتمع البشري والنوع البيولوجي أو بالأحرى النوع البشري**"،[4] وهذا يدل على أن هوية هذا الكائن لا يمكن ولا يجب اختزالها كما حدث الأمر في فترة الحداثة واسقاطها في التمركز والنزعة الفردانية، وإنما هي هوية إنسانية مركبة ضمن علاقة واحدة دائرية تفاعلية بين هذا الثالوث تجسد مبادئ التعقيد الثلاث، ذلك أنها في سياق تفاعل وتبادل حواري جدلي تواصلي فيما بينها ضمن جو تلاقحي يجعل كل طرف ينهل من الآخر ويساهم في تكونه في ذات الوقت، وهذا ما يمثل الارتداد السببي أي حرية وانفتاح الانتقال بين كل طرف والآخر، كل ذلك لأن أي واحد منها هو جزء من الآخر وسبب في تكونه في الوقت عينه، فالكائن البشري إذا ما نظرنا إليه من منظور بيولوجي فهو باعتباره فرد يمثل جزء صغير مندرج ضمن نوع ما وفي الوقت

[1] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص49.
[2] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص14.
[3] المصدر نفسه، ص13.
[4] المصدر نفسه، ص14.

ذاته هو عملية شاملة تحتوي على النوع، وكذلك الأمر إذا أشرنا إلى المجتمع وهذه هي الهولوغرامية؛[1] ولذلك فإي طرف من هذا الثالوث هو غاية ووسيلة في الوقت نفسه وسبب ونتيجة، إذ كل واحد ينتج الآخر ويحيا من أجله بل يحييه إذ أن النوع يساهم في تشكل الأفراد، والذين بدورهم ينتجون المجتمع الذي بدوره ينتج الأفراد وهذا ما يجعل التكامل هو الخاصية المسيطرة لهذا الثالوث والحوار هو الأسلوب الأنسب بين أطرافه.[2]

وفي هذ النقطة يؤكد موران على أنه إذا لا وجود لفردانية طاغية بشكل مطلق وكذلك الأمر بالنسبة إلى المجتمع والنوع فكل واحد منها يحم نسبة مساوية للطرفان المتبقيان، لكن لا يمكن القول أن الكائن البشري هو فرد بنسبة 33%، ومجتمع بنسبة 33%، وبيولوجيا بنسبة 33%، بل أن ما يمكننا قوله هو أن 100%هو فردي و 100% منه اجتماعي و 100% منه بيولوجي، ولذلك فالعلاقة هنا بينها هي علاقة ترابط وتلازم تام[3].

ومع أن التكامل بينها هو الغالب والضروري إلا أن موران يشير إلى إمكانية وجود التضاد بينها كذلك، إذ أن الاتحاد يبقى نسبي والاختزال يبقى منعدم، فلا يجب أن يتماهى أي طرف الآخر وإنما هناك صراع وتضاد بسيط يحدث بينهما كأن يمارس المجتمع سلطته وتحكمه في الفرد، وبالمقابل أن يعسى الفرد لاختراق ضوابط المجتمع والتحرر منها، أو أن يرغم النوع الأفراد بخدمة أغراضه التكاثرية، وفي المقابل يتهرب الأفراد ويضحون في سبيل أنانيتهم بذريتهم عبر إشباع الغريزة فقط مع الهروب من الإنجاب، ولذلك فهي ثلاثية تلتقي وتتواصل، تتكامل وتتحد ولكن في سياق استقلالي يحفظ خصوصية كل طرف دون اختزاله وهو جوهر التعقيد البشري عند موران،[4] إذ خصص لجزء لا باس به في كتابه "البراديغم المفقود" إن نوه إلى أهمية إدراك التعارض بين المفاهيم، وأن التعقيد إذا ما كان يركز على خاصية التلاقي والاتصال والتفاعل، فإن ذلك لا يؤدي إلى التماهي والذوبان بين العناصر، وإنما تبقى لكل واحد منها استقلاليتها ويبقى حضورها وسطي يحوي التفاهم تارة والصراع تارة أخرى، صراع ينم على الاختلاف والتنوع إذ يقول في ذلك: " **ليس هناك تصنيف جامد وحدود واضحة في البيولوجي و الاجتماعي والفردي، ولكن في نفس الوقت وحدة وتعدد، وارتباك اصلي وتمايز في التطورات، لا يجود تكامل تام ولا وظيفة لا لبس فيها، ولكن هناك تكامل**

[1] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص15.

[2] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص66.

[3] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص14.

[4] موران ادغار: النهج انسانة الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص66.

وتنافس وحتى عداء بين هذه العناصر الثلاثة: المجتمع والفرد في خدمة النوع، النوع في خدمة المجتمع والفرد، ولكن بطريقة معقدة مع ساحة من الغموض والتناقض وعدم القدرة على اتخاذ القرار والتي ستأخذ البشرية إلى مستوى لم يسبق له مثيل"[1]

3) الإنسان الواحد المتعدد:

إن المهمة الأولى التي يركز عليها إدغار موران في مشروع أنسنة البشرية هي المهمة المتعلقة بضبط وتحديد الهوية الفردية الذاتية، ذلك أنه لا يمكن الإقرار بهوية كونية عالمية، إلا عبر إدراك هوية الذات الواحدة، ولذلك مهمته انقسمت إلى شوطين.

– تمكين الإنسان من ادراك ووعي قيمة ذاته وما تنطوي عليه من تركيب وتعقيد والارتقاء تصاعديا من الاختزال وطمس الذات ومعايشتها للصراع الداخلي والاغتراب، إلى مصاف أكثر إنسانية تضيف إلى البعد المادي ابعاد أخرى نفسية، اجتماعية، ثقافية...

– الانتقال بهذا الإدراك الأول والانفتاح على المغايرة والاختلاف الذاتي أي من تثمين قيمة الهوية الخاصة الفردية إلى معايشة الهوية الواحدة الكوكبية ذات المصير الإنساني الواحد المشترك الذي يفتح المجال أمام مختلف الهويات والذوات الإنسانية الأخرى عبر نقل التركيب إلى مستوى أعلى شامل لكوكب الأرض ككل.

لذا فإدغار موران ومن خلال ثلاثية الكائن البشري يؤكد أنه لا يجب العودة إلى التصورات الحداثية التي قزمت النظرة نحو الإنسان بحصره في بعد سوسيولوجي فحسب، وإنما المهمة التي على التربية بشكل خاص ترسيخها هي التأكيد على قيمة التشابك والتداخل والتعقد في الكائن من خلال تلاقح وتلاقي جوانب متعددة متباينة فيه، لأن ذلك وحده ما سيمكن فيما بعد من نقل هذه النظرة الفردية الأولية على مستوى الذات الواحدة إلى مستوى آخر هو مستوى الاجتماع الإنساني ككل.

في كتابه "التفكير الشامل" يشخص موران فكرة الهوية الذاتية الفردية وذلك من خلال تساؤله من هو الفرد؟، إذ يجيب على ذلك: **" أقول أنا أي أحدد نفسي بصفتي ذاتا، وعندما أقول أنا، فإنني أؤكد ذاتي وأضع نفسي في مركز العالم. إن قول أنا يعني القيام بفعل متمركز حول الذات والأمر المهم هنا هو أن**

[1] Edgar morin, le paradigme perdu, ibid,p41,42.

كل كائن بشري يحمل في ذاته، على غرار أي كائن حي، هذا المبدأ المتمركز على الذات الذي يدفعه إلى الدفاع عن نفسه حمايتها وتنميتها وتغذيتها وإعطاء الأولوية لوجوده الفردي"[1].

والمقصود من هذا الأمر أن الأنا الذي كان مهمش لقرون طويلة كنسية، إنما هو نفسه الذي أوهمته الحداثة بإعادة الاعتبار إذ لا يزال خاضعا لسيطرة معينة الفرق فقط أنها غير مباشرة، أوهمته التحرر ولكن منحته التشيء والتغريب ولذا فالأنا التي لابد من إعادة إحيائها هي الأنا التي تعود إلى ذاتها وتغوص في أعمقا نفسها فتدرك جوانبها المتعددة وبذلك تتمكن من إثبات هويتها الخاصة التي تعد أهم أولوياتها، إذ يقول: **"نحن أبناء الكون... ولكننا اصبحنا غرباء عنه... إن فكرنا ووعينا الذين يعرفاننا بهذا العالم الفيزيائي يبعداننا بالقدر نفسه، بل أن رؤيتنا الموضوعية له تبعدنا عنه"**[2].

ولذلك فالحقيقة التي تبرز للعيان الآن هي أن الكائن الحي يجسد في حد ذاته الوحدة والتعدد، فهو يتوفر على الجزء والجانب المكون الأول والبيولوجي ولكن ذلك لا يجعل من الإنسانية مختزلة فيه فحسب بل هو الأصل الذي يدل على الوحدة والذي يمثل قاسم مشترك مع باقي أبناء جنسه فهو واحد غير أنه في نفس الوقت كما أشرنا لا ينبغي إغفال الجوانب المهمة الأخرى التي تركز على ما هو معنوي روحي سواء ببعده الاجتماعي أو النفسي أو الثقافي ولذا فأن تكون إنساني هو في الحقيقة الوجه الآخر لفهم معنى رؤية الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة، فلا يمكن للوحدة أن تغفل التنوع، ولا يسمح لتنوع أن يهمش الوحدة[3].

إن المشكلة التي وقع فيها القرن العشرين هو أنه سقط في النظرة الاختزالية التي ركزت على المفهوم لواحد والتصور الوحيد للإنسان باعتباره كائن عاقل Homo sapiens، اذ لا يمكن نكران العقلانية ودورها في تحقيق التقدم والتطور الكافلين بنقل الإنسانية والحضانة إلى مستويات عالية، غير أن الإنسانية كما أشرنا من قبل لا تستحق النظرة الواحدة وإنما هي في حجاة إلى نظرة مركبة معقدة، إذ تتداخل مع العقلانية مكونات وجوانب ثانية، فإلى جانب الإنسان العاقل هناك بالمقابل الإنسان المجنون أو الهذياني Homo demens، وذلك لا يدل على أولئك المساكين القابعين في المصحات العقلية، وإنما هو مصطلح يدل على ذلك الجانب الغير عاقل من الإنسان، الجانب الذي يظهر نتيجة جنون العظمة او عند موجة غضب معينة أو حالة من حالات

[1] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص28.

[2] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص 62.

[3] سبعة مبادئ في علم التعقيد، المصدر السابق، ص88،89.

السخط، فهو ببساطة كما اصطلح عليه اليونانيون القدامى حالة من حالات المغالاة،[1] ولذلك فهو جانب انساني أظهرته الحلقات السياسية والاجتماعية والحربية، سواء أكانت فردية أو جماعية وسواء أظهرتها الحروب أو أنها سبقتها، المهم أنها جعلت الإنسانية تشتمل على التناقض يقول موران: " إن الذي سمح لي بهذا الجمع بين الأضداد هو إدراكي للتناقضات الإنسانية"[2].

ولا يجب إيقاف التنوع داخل الانسان على هذه الثنائية فحسب، بل انه يمكن إضافة الانسان الصانع Homo faber، والإنسان المؤمن Homo fidelis، والانسان المتدين Homo religions، والانسان الأسطوري Homo mythologicus، وحتى الإنسان الاقتصادي Homo aeconomicus، والانسان اللاعب Homo ludens، والانسان الحر Homo liber.[3]

ان الأمر الذي يحتاج إلى دراسة هو الاهتمام بالجانب المعقد في الانسان، ذلك أن أزمة المعرفة في الفترة الحالية هي أنها لم تتمكن من معرفة ذاتها، ولذلك معرفتنا بأنفسنا وذواتنا تشكو اليوم من فجوة خطيرة إلى أبعد الحدود، ومن ضرر شديد ونقص كبير هو الذي سيساهم في قيادة الإنسانية إلى أخطاء وأوهام عديدة سواء في ذاتها أو في حياتها، ولذلك فالمشكلة انما انبثقت من كوننا لا نعلم من نحن[4].

لهذا فإنه في جميع الشؤون البشرية عند ادغار موران لابد من النظر إلى الإنسانية في سياق انفتاح الوحدة على التنوع والتنوع على الوحدة، وذلك لا يكون إلا من خلال تجاوز الفكر الانفصالي الذي اختزل الانسان وجعله غير مرئي مبهم، منحصر في جينات بيولوجية ومحصور في بنى وتابع لماكنة حتمية، فلا يمكن بأي حال من الأحوال اختزال الوحدة البشرية في مصطلح أو معيار أو تحديد، بل لابد من إدراك الوحدة التي تكفل التنوع وتؤيده، والتنوع الذي يُسجل داخل الوحدة[5].

وختاما يمكن القول أن الكائن البشري عند ادغار موران هو ذلك الكيان الذي لابد له من موضعة سليمة، اذ على الرغم من صغر حجمه مقارنة بعالمه الخارجي فهو يحمل الكل بين طياته، فهو يحمل حضور

[1] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص30.

[2] موران ادغار: دروس قرن من الحياة، تر: خليد كدري، منشورات الصفحة سبعة، ط1، المملكة العربية السعودية، 2022م، ص 70-71.

[3] مصدر نفسه، ص 71-72.

[4] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص 40.

[5] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص82.

الكل في ثنايا جزئه الضئيل.[1] ولذلك فوضعيته تتحدد بناءًا على انتمائه لعالمه وكونه، هذا الانتماء الذي ينطلق من بعده وكيانه التركيبي المعقد الذي يحتوى التجانس والترابط بين عناصر عديدة متناقضة، ومع ذلك متعايشة، وفي نفس الوقت نقل هذا التشابك الإنساني الداخلي إلى مستوى أعلى وأرفع يشمل باقي الأجزاء والذوات الإنسانية الكبرى، اذ يقول موران: "نحن نحمل داخلنا تميزنا، كنقطة شمولية، بين الإنسانية والحياة بمجملها فحسب، بل كذلك الكون برمته تقريبا، بما فيه لغزه الذي يرقد في أعماقنا"[2]، فالمركزية الأولى التي أفرجت عنها الأنسنة هي مركزية الفرد، الأنا وقيمة الهوية الذاتية الخاصة المشتملة على التعقيد، لتأتي بعدها مباشرة بشكل ارتقائي تدريجي ثاني مركزية وهي مركزية الـ"نحن" التي تنقل الهوية إلى مستوى أكثر اجتماعية وتشاركية، فتفتح المجال أمام التواصل والالتقاء العالمي على سطح كوكب الأرض الذي يمثل الوطن الواحد.

[1] موران ادغار: العقل المحكم، المصدر السابق، ص49.

[2] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص63، 62.

نتائج الفصل:

1– ان الوضع الحداثي المتأزم استدعى ضرورة توصيف العلاج والمخرج الأنسب للحالة الفكرية والإنسانية، وذلك لا يكون عند موران إلا من خلال أنموذج التعقيد الذي وضع من أجل تجاوز الاختزال وتعويض التبسيط المبالغ فيه بمنطق جديد تركيبي يتناسب وطبيعة الكون والانسان على حد سواء ولذلك فبروزه كان إبان جملة من النظريات التي شهدتها الساحة العلمية على سبيل نظرية الكاوس والسيبرنطيقا والإعلام والأنساق، كما أن قيامه وانبناءه انما تأسس على مبادئ أساسية جسّدت طابع الاتصال والتركيب على غرار مبدأ الحوارية والارتداد والهولوغرامية.

2– ترتبط الأزمة الحقيقية والتي أخذت تنخر بالحضارة والوجود، بالبعد الإنساني فهي أزمة الإنسانية التي أضحت تعايش التقوقع والانغلاق على ذاتها نتيجة عدم فهم العالم، واللبس الذي انتشر على مستوى مختلف الموجودات على الرغم من طغيان البساطة وانتشار التطور، ولذلك فما يحدث على أرض الواقع العالمي من تقدم علمي وتقني بواسطة العقل الإنساني الذي يعزز كل مقومات التنمية وسبل النهضة باسم عملية التحضر ومشروع العولمة، انما هو نفسه الذي عوض تقريب المسافات وتحقيق التلاقي والتواصل ومدّ الانسان بوسائل تسهيل الحياة؛ ساهم في احداث تغييب للإنسانية وتهميش لها وبالتالي التهديد بانقراضها وزوال معالمها من سطح الأرض.

3– الأمل بإعادة إنعاش الإنسانية عند ادغار موران لا يكون إلا من خلال الاعتراف بطابعها المعقد التركيبي، وتجاوز النظر اليها ببعد واحد تبسيطي، فالاهتمام اللازم يتعلق باحتوائها على جوانب متعدد متواصلة منها البيولوجي ومنها الاجتماعي وحتى الثقافي، وما لهذا الأخير من دور في تعزيز التلاقي والاتحاد البنّاء والفهم التام الواعي لما تتوفر عليه الذات الإنسانية من غنى هووي فردي، وما لذلك من انعكاس على فهم العالم الخارجي وما يتوفر عليه من ذوات ثانية مقابلة لها، وبالتالي السعي إلى التعايش معها هي الأخرى. لذا يمكن رد تشكل إنسانية الانسان إلى ثالوث: الفرد – المجتمع – النوع

الفصل الثالث: استشراف مستقبل الهوية الكوكبية وآفاق العيش الايثيقي المشترك

المبحث الأول: الاستشراف ومستقبل الهوية الكوكبية

- ✓ **أولا: مستقبل الإنسانية ممكن مستشرف**
- ✓ **ثانيا: الهوية المتعددة الكوكبية**

المبحث الثاني: التربية كرهان لتحقيق الهوية الكوكبية

- ✓ **أولا: تعليم الشرط الإنساني والهوية الأرضية**
- ✓ **ثانيا: تعليم الفهم**
- ✓ **ثالثا: تعليم الديمقراطية والمواطنة الأرضية**

المبحث الثالث: ايثيقا العيش الكوكبي المشترك

- ✓ **أولا: نحو سياسة انسانية**
- ✓ **ثانيا: من أجل أخلاق كوكبية**
- ✓ **ثالثا: آفاق الهوية الكوكبية في ظل صراع العرب والغرب: (بين الموجود والمأمول)**

إن الواقع الإنساني الذي غلبت عليه التقنية وسادته النزعة الاختزالية، وما لذلك من نشوء أزمات متعددة (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، سياسية) لم يتمكن من تثبيط عزيمة ادغار موران، اذ منذ كتاباته الأولى والنزعة التفاؤلية تغلب عليه. وعلى الرغم من أنه عايش باعتباره مفكر مخضرم تجاوز القرن من العمر، عايش مختلف الأحداث المتدهورة المتراجعة من حروب عالمية وسيادة الأسلحة النووية، وتردي الأوضاع خصوصا الصحية على سبيل فيروس كورونا سنة 2020، إلا أن المستقبل شكل الورقة الرابحة اذ مثّل المرحلة الانتقالية بالنسبة اليه، فقد اعتبره على الدوام محطة الخلاص، واللحظة التي يتم فيها الوصول إلى اصلاح شامل لأوضاع الكائن الإنساني، ولذا عمد إلى التطلع كغيره من فلاسفة المستقبل نحو ما سيكون في الأزمنة القادمة باستشراف، فمصير الإنسانية في المستقبل لا محالة بإمكانه السير نحو الإصلاح والتغيير تحت شعار "لنغير السبيل"، ولذا فالمستقبل شغل اهتمام موران، والأوضاع المتأزمة ما هي إلا لحظة عثرة للإنسانية وسيتم تجاوزها اذا ما قمنا بتغيير نظرتنا وتربيتنا وأخلاقنا وسياستنا أي اصلاح مختلف جوانب حياتنا، والارتقاء بذلك نحو إنسانية سليمة معافاة بفعل ترياق التواصل، ولم شمل الجميع تحت لواء واحد. فإذا توصل التركيب إلى ضم شتات الكائن الإنساني وتجاوز النظرة الانفصالية التي أحدث التلاشي بين مكوناته وقصرت النظرة اليه كمادة فحسب من خلال اعتباره كائن كلّي واحد مركب من جوانب متداخلة، فإن الخلاص سيكون للحضارة وللإنسانية جمعاء بنقل التركيب إلى مستوى عالمي عبر ضم مختلف الهويات الإنسانية تحت لواء هوية كوكبية شاملة قوامها الفهم السليم والتضامن الفعلي الذي يتم عبر التسامح والتعايش الواحد المشترك. وهو الأمر الذي طفق موران ينادي به ويوليه كل اهتماماته، اذ يتربع مشروعه ضمن ساحة المشاريع الإصلاحية التي تضع للتربية والأخلاق والسياسة مهام ضرورية من أجل الارتقاء بالوضع الإنساني، ونقله إلى حال سليم إيجابي فعّال هو نفسه غرض العولمة الأول. فالأرض هي وطننا المشترك وما علينا إلا تجاوز الضياع الذي وقعنا فيه، والسير بالمقابل نحو مستقبل واحد يجمعنا ككل باعتبارنا اخوة لا أعداء، مختلفين لا متخالفين، وهو الأمر الذي يفرز استفهامات عديدة: فيما يتمثل المستقبل المستشرف عند ادغار موران؟ وكيف يتم الارتقاء فيه إلى بناء هوية إنسانية كوكبية؟ ما هي المهام الإصلاحية التعليمية المنوطة بالتربية؟ ثم في سياق تشييد عيش واحد مشترك كيف تكوكبت الأخلاق الإنسانية؟ وهل يمكن الحديث عن اسقاطات راهنة لهذا المشروع الموراني في ظل الصراع والتمركز القائم ضد العرب؟

المبحث الأول: الاستشراف ومستقبل الهوية الكوكبية

ان المستقبل بعد أن كان ذلك الزمن البعيد الذي ينفتح على الإمكان والعدم على حد سواء، انما أضحى بفعل الحداثة مستقبل مجهول وذلك نتيجة فقدان الروابط والعناصر التي تقيم الاتصال بين مختلف جوانب الأحداث والوقائع، فالظواهر صارت منفصلة، وانفصالها يشكل الطيعة وبالتالي الانفتاح على اللامتوقع أو المتوقع السيء أكثر من الجيد. وهو الأمر الذي حرّك اهتمام عديد المفكرين وأبرزهم ادغار موران نحو تقريب هذا الزمن والسعي إلى إصلاحه عبر ضم أجزائه ووقائعه المتقطعة في سياق بناء واحد يتسم بالتعقيد، ولعله الأر الذي ينطلق ويركز على هيكل الهوية الإنسانية التي تمثل محور كلّ شيء، فمادام كل الوجود مرتبد في معناه وقيامه بالكائن الإنساني، فمن الضروري اذا حسب موران في مستقبلنا القادم أن نعيد تأسيس هذا الوجود وفق نظرية جديدة تتسم بالتركيب وتنحو تجاه الربط بين كل الهويات المختلفة ضمن بوتقة وأرض إنسانية واحدة هي الوطن الأم، ولذلك فالأفق الجديد يتجاوز التشاؤم والاختزال ويرتقي بواسطة التعقيد إلى لم شمل الانسانية تحت راية كوكبية واحدة، تضم التعدد والتنوع تحت لواء الوحدة وتستبدل النظرة ذات البعد الواحد بنظرة جديدة تنبني على الايمان بالاختلاف والتمايز وفتح الحوار بين مختلف الذوات الإنسانية، فإذا كان مستقبل الإنسانية محتمل الوجود كيف تصوره موران؟ وكيف يتم تشييد هوية كوكبية واحدة ضمن طياته؟

أولا: مستقبل الإنسانية ممكن مستشرف:

لطالما ارتبط فضول الكائن الإنساني بكل ما يحوي الغموض ويصنف في خانة المجهول، اذ شكلت الأمور الواضحة الجليّة عناصر مبتذلة تم التعرف عليها سواء باعتبارها معطاة موجودة متوفرة، أو أن الفكر سعى اليها بجهد معين وتمكن من تحديدها وكشف ماهيتها، في حين ما هو غامض مبهم لطالما شكل حلقة جذب للفكر وعلى الدوام كان خير مستقطب للعقل الإنساني، وهو الأمر الذي جعله في كل مرة يتوصل إلى انجاز ويقدم لنفسه وللحضارة اكتشاف جديد، وباعتبار المستقبل أحد هذه الأمور الغامضة، فإن فكر الانسان على الدوام كان مولع بمعرفة ما سيحصل فيه، متشوق للكشف عن أموره وما يحوي عليه من أحداث جديدة مغايرة لما هو كائن اليوم في الحاضر، ولعل الاهتمام به يزيد في كل مرّة يحصّل فيها العقل الإنساني مراحل تقدّمية جديدة، اذ أ، ذكاءه في كل مرة يتم توقع أنه بلغ أوجّه، غير أنه ومع ذلك في كل لحظة قادمة يفاجئنا بالجديد، لذا ارتبط المستقبل عند الدارسين دوما بدرجة التقدم الت يحصّلها الانسان في سياق سعيه إلى تطويع الطبيعة وجعلها تحت لوائه، وهو الأمر الذي برز بشكل استثنائي في الفترات الحديثة وما قادت اليه من أحداث معاصرة فيما بعد، بل حتى ما سيكون عليه الوضع في مستقبلنا القادم وذلك من خلال العلم والاستعانة بالتقنية، والتطور المحقق على شتى الأصعدة سياسية كانت أم اقتصادية، اجتماعية أم ثقافية... فهي ككل شهدت تقدم استثنائي ونهضة غير مسبوقة فتحت المجال أمام التساؤل عن المستقبل اذا ما سيكون أم أنه سيسير إلى العدم. وهو الأمر الذي أشرنا اليه من قبل في أنه حرّك اهتمام عديد المفكرين نحو العناية والاهتمام بهذا الزمان القادم وتخصيص دراسات حوله هي الدراسات المتعلقة بعلم المستقبليات أو علم استشراف المستقبل، اذ تنصبّ بالدرجة الأولى على تحليل ما سيكون عليه الوضع الإنساني والحضاري في الأزمنة القادمة، ولذلك برزت عديد المؤلفات وخصوصا الفلسفية منها والتي ركزت الاهتمام على المستقبل على سبيل مؤلف مستقبل الطبيعة البشرية ليورغن هابرماس، أو كتاب المستقبل بوصفه يوتوبيا سوداء عند اميل سيوران، أو حتى كتاب المستقبل في العصر النووي لهانز يوناس، فهي كلها محتويات تصب في توجيه العناية نحو فلسفة جديدة كذلك هي فلسفة المستقبل، ولن يُستثنى ادغار موران من بين هؤلاء اذ نظر هو الآخر إلى المستقبل نظرة اجتماعية، الأمر الذي جعل مختلف متونه الفكرية مشتملة على على نظرة تصورية للمستقبل بناءا على الأوضاع الحالية، اذ اصطبغت مؤلفاته في معظمها بصبغة الزمن القادم، اذ عكف وبفصد

منصرفا عن الصدفة إلى تشخيص حال الإنسانية في ظل هيمنة التقنية والنزعة الأداتية وانحراف مسار العولمة، عبر وضع أسس لبراديغمات جديدة مأنسنة تركز على استشراف المستقبل البشري عبر مجابهة الأزمات، وهو الأمر الذي تجلى عبر مؤلفاته الموسومة بـ: إلى أين يسير العالم؟ هل نسير إلى الهاوية؟ الفكر والمستقبل، تربية المستقبل. فكيف يتجلى المستقبل في عين ادغار موران باعتبار حاضر اليوم ينطوي على كثرة وثراء الاكتشافات العقلية؟

1- سذاجة المسار الخطي لثلاثية الماضي- الحاضر- المستقبل: ان المنطلق الذي يستهل به ادغار موران نظرته إلى المستقبل هو العودة إلى التصور الدوغمائي الذي وقعت فيه الحداثة من خلال منطقها التبسيطي الذي طال كل شيء، اذ اصطبغت مختف التصورات فيه بطابع الاختزال وغلبت بذلك الرؤية الواحدة ذات المسار الخطي كل الميادين والتخصصات بما فيهالا ميدان التاريخ الذي ارتكز التصور لصيرورته على الخطية، وذلك من خلال اعتبار الحاضر والماضي واضحان جليان لا يشكلان أي غموض، فالحاضر الذي نعيش فيه اليوم هو حاضر نعلم جوانبه وندرك بشكل واضح ما يحصل فيه ولذلك فنحن نتحكم بزمام الأمور، وهو الأمر نفسه بالنسبة للماضي فما دام قد زال وانقضى مضى وفات، فهذا معناه أننا عشنا فيه ووعينا بمختلف جوانبه ثم ذهب، وحتى مع زواله مازلنا نعلمه ولدينا فكرة جلية حوله، ولذلك فالماضي معلوم والحاضر هو الآخر معلوم الأمر الذي يجعل المستقبل بالضرورة واضح هو الآخر لأننا ما دمنا أحكمنا قبضتنا على الحاضر مثل ما أحكمناها سابقا على الماضي فهذا معناه أن المستقبل القادم هو الآخر سيقع بناءا على أحداث اليوم ومن ثمة فإمكانية التنبؤ والتوقع قائمة نحوه. هذا الاعتقاد الذي ساد منذ سنوات الستينات اعتبره ادغار موران معتوه، اذ يقول: "**إلا أن المشتغلين باستشراف المستقبل شيدوا مستقبلا حاليا انطلاقا من حاضر مجرد. فالحاضر الزائف المسمى بالهرمونات حل بالنسبة إليهم محل المستقبل، والأدوات الفظة والمبتورة والباترة التي كانت تساعدهم على إدراك الواقع وتصوره أعمت بصيرتهم لا عن رؤية ما ليس متوقعا فحسب، بل وعن رؤية ما هو متوقع**"[1].

ولذلك فالنظرة الاستشرافية التي سادت في القرون الماضية انما هي نظرة اعتمدت المسار الواحد الذي يشخص الماضي والحاضر وفق تصور الوضوح، الأمر الذي يجعل من المستقبل هو الآخر متوفر ممكن يقيني، فهذا التصور رفضه موران وذلك لأنه فتح المجال أمام العدم وأصبح يقود الإنسانية نحو فنائها، وذلك من خلال

[1] موران ادغار: الى أين يسير العالم؟ المصدر السابق، ص09.

الوقوع في ضبابية الوضع الراهن الذي يخلق سراب إيجابي قوامه النجاح والتقدم والتطور، وخلف ذلك مباشرة يخفي انحدار وسقوط انساني نحو الزوال بفعل مآلات التقنية والعلم. ولا شك أن موران بين طيات مشروعه كان في كل مرة يعود إلى النزعة التبسيطية والبراديغم الاختزالي الذي أفضى إلى تأزيم الوضع العالمي، فهي نزعة لم يسلم منها مجال ولا تخصص طالت كل الميادين وشملت كل الموجودات، ولذا فقد طغت وألقت بسدائلها على الإنسانية ككل، إلى حد أنها طالت التصورات المستقبلية، اذ أنها تصورت الماضي والحاضر باعتبارهما معلومين وذلك لأن التطور له عوامل جلية معلومة هي الأخرى، فيكون بذلك وفقها مبدأ العلية مبدأ خطي وبالتالي يكون المستقبل قابل للتنبؤ، وبالإمكان توقع ما سيحدث فيه.[1]

ولذلك فموران هنا يعود إلى مبدأ السببية الخطية الذي ساد من قبل ويركز على انتقاد ذلك، ذلك أنه قدم التاريخ في مسار مغلق ثابت لا يقبل الانفتاح ويقع ضحية الانفصال، فالترابط الحاصل فيه بين الماضي والحاضر والمستقبل هو ترابط شكلي فحسب، اذ في جوهره يقوم على القطيعة بين هذه الثلاثية الزمنية، اذ الحاضر وحده القائم أما الماضي فقد زال لأنه تأسس على سلبيات تم تجاوزها، والمستقبل بالتالي سيكون كما يتم تصوره وفق ما يحدث في الحاضر.

يشير ادغار موران إلى وهم كبير وقعت في الإنسانية وهو المتعلق باعتقاد الانسان بسبب مآلات التبسيط أنه على معرفة ودراية تامة بالحاضر ما دام يعيش فيه، فالحاضر يقبع في خانة المعلوم لأننا نقطنه وبالتالي فنحن على وعي بكل ما يحتويه وذلك لأننا جزء منه وفيه، في حين أنه حسب موران نوع من أنواع الانعماء، فهو وضع انما يفتح المجال أمام ثغرة كبيرة في حاضرنا، وذلك لأننا في الحقيقة لا نفهمه لم نتمكن بعد من معرفته معرفة تامة، ولذلك فهذا الانعماء تجاه الحاضر هو الذي يجعلنا بالفعل لا نبصر المستقبل.[2]

ان االتصور الخطي لسيرورة التاريخ وفق منطق التبسيط اتخذ الشكل: الماضي ⟸ الحاضر، فالعملية هنا لا تقبل الارتداد من الحاضر إلى الماضي وهو الأمر الذي شكل ثغرة وفراغ كبير في المعرفة بهما وذلك لأن الماضي سيسير بشكل واحد تجاه الحاضر الذي بدوره سيسير نحو المستقبل بنفس المسار:

الماضي ⟸ الحاضر ⟸ المستقبل، وبالتالي فهنا لا يكون للتطور التاريخي أي إمكانية للوجود، فما يغلب هو المماثلة والمطابقة، وما الترابط القائم هنا إلا ترابط بسيط يجسد الانتقال مما كان إلى ما هو كائن ثم إلى ما سيكون دون أي تبادل وتفاعل، وبالتالي غياب أي عملية للتأثر والتأثير. الأمر الذي يجعل المعرفة

[1] موران ادغار: الى أين يسر العالم؟ المصدر السابق، ص10.

[2] المصدر نفسه، ص12.

بالمسار التاريخي معطوبة مجهولة وذلك لأنها انبنت على المماثلة والمطابقة والانتقال الجاف الساذج من محطة زمنية إلى أخرى، وهنا يكون المستقبل بالتالي متوقع حسب نفس المسار الذي تم توقع الحاضر به سابقا في الماضي.

ولذلك فالخطأ الذي وقعت فيه الحداثة حسب موران هو ثقتها المغلوطة في أن حاضرها معلوم بناءا على ماضيها المعلوم كذلك، وراهنيتها على إيجابية التأثير الذي حققته العقلانية، فهو الأمر الذي قادها إلى اسقاط التبسيط والسببية الخطية على مسار التاريخ إلى حدّ الوصول إلى الايمان بإمكانية توقع ما سيحدث في المستقبل، وبالتالي فالأزمة ألقت بآثارها على مستقبل الإنسانية ولذا علينا تجاوز تلك الخطاطاة الأولى التبسيطية ونعوضها بخطاطة جديدة قوامها الترابط والتفاعل والتبادل، لهذا يمكن القول أن مهمة موران هنا انقسمت إلى شطرين:

الأول تعلق بتقديم النقد اللازم للمسار الثابت الذي ألقى بثلاثية التاريخ في خانة الجمود والانغلاق، فهو تصور ساهم في اعلاء مركزية الذات الغربية نظرا لأن حاضرها مزدهر متطور وأنها أمسكت بزمام أمور العالم، وفي ذات الوقت أصبح بإمكانها بما لديها من آلات وتقنيات توقع ما سيحدث في المستقبل، مع أن الأمر في الحقيقة يقودها إلى فنائها واندثارها وذلك لأنها تتوقع التطور وتنظر إلى الجانب المشرق فحسب من التقانة، في حين تغفل الجانب المظلم منها. ولذا من الضروري ايقاظ العقلنة من كابوسها وتنبيهها إلى خطورة الوضع الحالي.

أما الشطر الثاني من مهمة موران فهو المتعلق بلفت الانتباه إلى ارتدادية المسار التاريخي، وإلى لايقينية الوضع المستقبلي، كل ذلك بنظرة تفاؤلية لا تسقط ضحية التشاؤم طالما المستقبل غير متوقع به وانما تروم الإصلاح والتغيير لمستقبل الكائن البشري.

2- المسار الارتدادي التركيبي من أجل مستقبل مستشرف: ان النظرة الاستشرافية عند ادغار موران هي نظرة تركيبية للمسار التاريخي تنطلق من تصور تفاعل تبادلي بين ثلاثية الماضي والحاضر والمستقبل، فالمسار الأول الذي اتخذ صورة واضحة من الماضي إلى الحاضر لابد من تجاوزه، ذلك أن التطور التاريخي يحيد عن الحتمية والميكانيكية والخطية فهي كلها تصورات تبسيطية ومن الغباوة الانطلاق منها والإيمان بها، ذلك أن

الواقع الاجتماعي متعدد الأبعاد إذ يشتمل على عوامل ديمغرافية، اقتصادية، تقنية، سياسية وايديولوجية، ولذلك فمن الضروري حدوث التفاعل والدوران في سياق دياليكتيكي وفق حركة أزلية.[1]

إن إدغار موران يعمد إلى قلب التصور السالف حول علاقة الماضي والحاضر الجامدة المنبنية على السببية الخطية من خلال انتقال المسار عبر طريق واحد من الماضي ⟵ الحاضر، بخطاطة جديدة وتصور مغاير قوامه الارتداد السببي، أي حصول التفاعل ووقوع التأثر والتأثير بين زمنيين وفق مخطط الماضي ⟷ الحاضر؛ إذ يقول: **"والواقع أن هناك دائما عملية تفاعل تبادلي بين الماضي والحاضر حيث إن الماضي لن يساهم في معرفة الحاضر فحسب وهو أمر بديهي، بل إن تجارب الحاضر تساهم في معرفة الماضي، ومن هنا تعمل على تفسيره"**[2] ولذلك فالعلاقة بين الماضي والحاضر هي علاقة حيوية ديناميكية تقتضي التواصل، فالحاضر ضروري للماضي من خلال تقديم تصور عنه والتمهيد له، وكذلك هو الحاضر ضروري للماضي عبر تكوين معرفة تامة حوله، ولما لا إحداث تغيير فيه ولذلك لا يتسنى لنا فهم الماضي إلا عبر فهم الحاضر، ذك أن هذا الماضي لا يكون منعزل منفصل وإنما مرتبط خاضع للحاضر والذي بدوره سيكون خاضع للمستقبل، ولهذا فعلى المستوى الثاني لابد من الابتعاد على خطاطة التبسيط السابقة للثلاثية والإنتقال إلى تصور مركب ينبني على الارتباط الثلاثي والارتداد السببي ويتجاوز أي يقين مطلق وإمكانية لتوقع ما سيحدث في المستقبل بناءا على الحاضر الموجود فعوض التنبؤ والتكهن من الأفضل إحداث تواصل متبادل بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، بكيفية تجعلنا نؤسس حلقة تولد معرفة اكثر وضوحا على الحاضر وإسقاطات غير يقينية بما فيه الكفاية عن المستقبل.[3]

وهكذا تصبح الخطاطة التركيبية اليوم:الماضي الحاضر المستقبل أي تبادل التواصل من الأسباب والنتائج كما سبق وأن اشرنا إلى ذلك في مبادئ التعقيد ضمن طيات الفصل السابق فما كان سببا ينتقل إلى نتيجة والتي بدورها ترتد إلى السبب، كذلك هو الحال في هذه الثلاثية وأخصها المستقبل، إذ أنها تقوم على التداخل فالحاضر يرتد إلى الماضي الذي بدوره يرتد إلى الحاضر وهذا الأخير بدوره يرتد إلى المستقبل والعكس وكذلك الحال بين المستقبل والماضي.

---

[1] موران ادغار: الى أين يسير العالم؟ المصدر السابق، ص15.

[2] موران ادغار: الى أين يسير العالم؟ المصدر السابق، ص10.

[3] المصدر نفسه، ص14.

ولذلك فإدغار موران ينوه إلى أن مشكلة المعرفة اليوم إنما تتعلق بالمعرفة غير الواضحة حول الحاضر، فسوء فهمنا له وجهلنا بوضعنا فيه إنما هو الذي جعلنا نتعإلى ونظن أننا امتلكنا مفاتيح الفهم وتمكننا من السيطرة على الطبيعة ذلك بسلاح ومفتاح العلم وما قاد إليه من تطور، مع أننا في الحقيقة لا نزال في وضع أزمات ثنائي الحد:

– فهو من ناحية متشرذم وذلك لأنه جعلنا نسقط ضحية فهم خاطئ للواقع الحاضر وبالتالي توقع أكثر خطأ للمستقبل، ذلك أن المستقبل القادم فتح لنا المجال للظن بانه في جعبتنا وبالتالي سهولة توقع ما سيحصل فيه، ومن ثمة بلوغ الهدف المنشود والمتمثل في سلطة الإنسان وتحكمه في كل شيء.

– أما الحد الثاني فهو الوضع السيء الذي آلت إليه الإنسانية والحضارة من تلاشي ومشاكل أخذت تعصف بوجود الكائن البشري نتيجة عملية الغسيل الدماغي الذي حدث له، إذ أضحى يتوهم الرقي ويجهر بالتطور ويعترف بالسعادة، مع أنه في الحقيقة يسير شيئا فشيئا ويوما بعد يوم في دوامة القلق الجديدة، ينحو نحو الضياع والتبعثر بفعل مآلات العقل الحديث.

إن إدغار موران وفي مقابل تشخيص هذا الوضع المتأزم للحاضر الإنساني ومع أنه يقدم النقد اللازم لعلماء المستقبليات والذين أخذوا بيقينية المستقبل وقابليته للتوقع في مقابل جهره باللايقين؛ غير أنه طفق يدعوا إلى إصلاح لازم لحال اليوم وذلك من أجل استشراف أنسب لوضع الغد، فالمستقبل ومع أنه ينفتح على اللاإحتمال إلا أن التفاؤل تجاهه أفضل لحال الإنسانية، ولذلك أخذ ينادي بمستقبل مشرق يتجاوز ضبابية الحاضر ومع وقع فيه من نزعة تقنية مادية ضيعت الهويات الإنسانية وبعثرتها عن بعضها البعض، فالمستقبل الذي علينا بلوغه هو مستقبل ينتقل من القديم الأول الذي ينطلق من الإنسان ذو الأصل الكوني ومرورا بالتدريج عبر الإنسان البيولوجي في الحاضر للوصول في المستقبل إلى الإنسان الثقافي وهو الإنسان الكلي الذي يجمع الرايات ككل تحت شعار واحد.

لذا فإستشراف المستقبل عند مران إنما انبنى على علاقة التبادل بين الماضي والحاضر وما لذلك من إمكانية لتوقع إيجابي للمستقبل، فالفهم الجيد للحاضر عبر رد تفاصيله بثغرات الماضر سيساعد لا محالة على رسم الطريق الصحيح نحو المستقبل، ولذا فالإهتمام سينصب بتوضيح معالم الوقت الراهن والتركيز على معرفته بشكل سليم معرفة تتركز على التركيب والنظرة التعقيدية التي تتجاوز الاختزال والتعالي والانفصال وترتحل إلى التواصل والتبادل وإدراك الجوانب المتحدة لا على مستوى الكائن البشري الواحد وإنما على مستوى الكائنات

البشرية أجمع، وهو أساس مشروعه الكوكبي الذي يُنَظر إلى سيرورة حياتية جوهرها تآلف الوحدة والتنوع والسير في مسار تبادلي تفاعلي بين الذوات الإنسانية من الماضي إلى الحاضر، عبر الإيمان بالإختلاف والإعتماد على الحوار الجدلي، كل ذلك من أجل مستقبل هووي مشترك للإنسانية، مستقبل بناء يتيح المجال للتقدم والتطور الحقيقي الفعال وهو التطور الثقافي الإنساني، إذ يقول في الجزء الأخير من كتاب إلى اين يسير العالم؟، في قسم وعنصر (الترحل): "إننا موجودون في الصيرورة، والصيرورة تتضمن الماضي والحاضر والمستقبل، ولنذكر لآخر مرة أن الفرد يعيش العديد من الحيوات حياته الخاصة، وحاة اقربائه، وحياة المجتمع وحياة الإنسانية، وحياة الحياة، كل فرد يعيش كي يحافظ على حياة الماضي وكي يحيا الحاضر، وكي يمنح الحياة للمستقبل".[1]

في النهاية يمكن القول أن المستقبل الذي لنا أن نركز عليه هو مستقبل لم يأتي بعد، وعوض النظر إليه، بتوقع وثقة تامة على أنه سيكون مثل حاضرنا المتطور المزدهر، علينا في المقابل الإنتباه إلى هذا الحاضر والتركيز على فهمه ومعرفته معرفةً تامة، ذلك أننا حسب موران صرنا نتخبط في إفرازات الحداثة ومنظومتها التبسيطية التي صورت لنا الحاضر على أنه جلي ناجح متقدم، مع أننا في الحقيقة نغوص في لأزمات سياسية، اقتصادية، علمية، تقنية، اجتماعية والأهم أزمات إنسانية عويصة لابد من الوقوف عليها وتشخيصها حتى نرتقي بالإنسانية إلى مصاف عليا في الزمن القادم. لهذا فمهمتنا إصلاحية بالدرجة الأولى تطمح إلى إغناء البعد الإنساني ونشر ثقافات التواصل والترابط في المستقبل القريب، وهو الطموح الذي جذب اهتمام إدغار موران وأشار إليه في كتاب "لنغير السبيل" بقوله: " **المستقبل الذي لا يمكن التنبؤ به هو في طور التكوين، اليوم دعونا نأمل أن يكون ذلك من أجل تجديد السياسة وحماية الكوكب، وإضفاء الطابع الإنساني على المجتمع، لقد حان الوقت لتغيير المسار.**"[2]

ثانيا: الهوية المتعددة الكوكبية: ان الثورة التي أحدثتها التقنية والتقدم العلمي عادت على الحضارة الإنسانية الغربية بالنجاح والتقدم، إلى حد جعل الكائن الإنساني يبلغ مراحل سعادته القصوى، وذلك لما توصل إليه من قدرات عقلية وإمكانيات بتحسين الحياة والإنفتاح على المستقبل المشرق في الأزمنة القادمة، ولذلك فالجرعات الخاصة بالإنفتاح والتقدم إلى حد معين كانت ملائمة ومناسبة للوضع الإنساني والحالة العالمية، غير أنها وبفعل الممارسات اللاعقلانية إنفلتت السيطرة على الأمور وزادت الجرعات الخاصة بالحرية عن حدها إذ بلغت تأثيرها الإنعكاسي أي هتك وجود الإنسان المعنوي الروحي وبالتالي التهديد بفنائه ككل،

[1] موران ادغار: الى أين يسير العالم؟ المصدر السابق، ص89.

[2] موران ادغار: لنغير السبيل، المصدر السابق، ص 16-17

ولهذا طغت الهماجية وتفشى العنف وسادت المركزية على الذات والأنانية، وهو الأمر الذي حرك اهتمام وعناية عديد المفكرين الغيورين على الوضع الإنساني والمتوسيمين الخير والإصلاح لحال الوضع الحاضر اليوم حتى يتم الانتقال بسير إلى مستقبل مشرق، وابرزهم إدغار موران الذي عمد إلى تشييد مشروع كوكبي يتأسس على البعد التركيبي والتصور المعقد بكل شيء وبما ان الكائن البشري هو محور كل الموجودات فإن أي تغيير لابد إحداثه إنما يخص هذا الكائن، ولذا كان مشروعه التركيبي مشروع متشعب يتفرع على كل الجوانب والميادين ولكنه في نفسه الوقت يعود إلى الكائن الإنساني، الأمر الذي يجسد طابع الوحدة والتنوع.

ولذا فأزمة الراهن اليوم هي أزمة هووية انبثقت من إنفلات الذكاء الإنساني الموسوم بالعمى، هذا الذكاء الذي أفرز الوحشية والهماجية وقاد الذات الإنسانية إلى جهل نفسها والعجز عن تحديد هويتها ومكانتها ضمن الوجود، الأمر الذي يستدعي حسب موران الإنتقال إلى وعي إنسان منفتح، وبواسطة براديغم التركيب إصلاح حال الإنسانية ككل من خلال نقل البعد التعقيبي القائم على مستوى الكائن البشري والفرد الواحد إلى كل الأفراد الآخرين، ولذا كان مشروعه إنساني هوياتي يطمح الوصول إلى إنسانية حقيقية مؤسسة على هوية أرضية كوكبية تتجاوز الإنفصال وتؤمن بالتنوع والإنفتاح نحو بلوغ مصير مشترك وتشييد مجتمع عالمي يضم الجميع بإعتبارهم إخوة.

فإذا كان موران يستشرف الوضع الإنساني المستقبلي في ظل التفاؤل بإنتصار الإنفتاح الكوكبي على التخوصص المركزي، فكيف إذا قام بنقل البعد المركب من الإنسان الواحد إلى نطاق هوية إنسانية كوكبية؟ هوية تجسد الإرتقاء من البعد الفردي إلى البعد الجماعي وصولا لبعد ثقافي يضم مختلف الذوات الإنسانية لما فيها من قيم على سطح أرض واحدة هي الأرض الوطن؟

1- مصير الإنسانية الكوكبي: ان الانسان وعلى الدوام شكل محور أساس في فلسفة ادغار موران الاجتماعية، اذ اعتبره الكائن البشري الذي لا يتسنى حصره في بعد أو جانب واحد، وإنما نظر إليه بكونه ذلك اليان والصرح المؤلف من تلاقح ابعاد وعناصر عديدة تنبثق في الأصل من ثنائيته المزدوجة الحسم من ناحية وما له من إفراز مادي والنفس من ناحية ثانية وما لها من تجلي روحي معنوي، ولذلك كانت فلسفته فلسفة إنسانية أتت من أجل إعادة الإعتبار لهذا الكائن الذي طاله التهميش وفتك به التغريب حتى وصلت به الحداثة إلى حالة شبه إنسان.

وكما أشرنا في نهاية الفصل الماضي إلى أن مهمة الأنسنة عند إدغار موران كانت ثنائية: تعلقت من ناحية بإعادة الاعتبار للكائن البشري الواحد وإلحاق الجانب البيولوجي والتصور العاقل له بجوانب ثانية إجتماعية، ثقافية، اقتصادية.... فالمهمة هنا تعلقت بالنظر تركيبيا إلى الإنسان الواحد والوصول إلى أن هوية الذات الواحدة لا تحوي الإنفصال والشتات وإنما تضم التعدد، وهي تعبر على الوحدة والتنوع في آن الوقت.

أما الناحية الثانية فهي المهمة الثانية فتتعلق الآن بنقل تلك الهوية من صعيد الإنسان الواحد إلى مستوى الإنسانية أجمع، أي نشر التركيب والتعقيد الإنساني ليشمل كل الذوات، وهو الأمر الذي يقود إلى مجتمع عالمي قوامه التعايش والتواصل بين الهويات الإنسانية الامر الذي يصبغ هذه الهوية المركبة بصبغة التكوكب ويضيف لها خاصية الإنفتاح والتلاقي تحت سقف إنساني أرضي واحد.

1-1 التحول مسار نحو الكوكبة: إن التغير وإحداث النقلة بالإنسان وواقعه كان دوما الطموح الذي سعى إليه العديد، ومع أنه إنطلق منذ الوجود الإنساني إلا أنه عرف بروز وتجلي واضح في عصر الأنوار الذي جسد الإنتقال وإخراج الإنساني من وضع مزدري متدهور إلى وضع آخر أكثر انتقاء عمد إلى إعادة الإعتبار لهذا الكائن وإحداث تغيير لوضعه. لكن وبما أنه حاد عن الطريق الذي وضع من أجله، وأخذته المبالغة إلى مصاف أكثر انعكاس فإن هذا الأمر استدعى إعادة النظر في هذا المصطلح (التغيير) وبخصوص هذه المهمة (نقل الإنسان لوضع أفضل) ولعل إدغار موران من ابرز الذين عملوا على إعادة ضبط وبلورة هذا الأمر خصوصا في ضوء استشرافه للمستقبل إذ طفق يهتم بإحداث التحول وتجسيد التقدم للوضع الإنساني عبر نقلهفي هذا المصطلح (التغيير) وبخصوص هذه المهمة (نقل الإنسان لوضع أفضل) ولعل إدغار موران من ابرز الذين عملوا على إعادة ضبط وبلورة هذا الأمر خصوصا في ضوء استشرافه للمستقبل إذ طفق يهتم بإحداث التحول وتجسيد التقدم للوضع الإنساني عبر نقله لما هو إيجابي وتجاوز كل ما من شأنه الحط من قيمته.

فالمهمة النقدية المورانية إنما انبنت في شقها الثاني بعد تقديم النقد اللازم لإنحرافات الحداثة، على لفت الإنتباه إلى ضرورة إصلاح الفكر الإنساني وقلب موازين الواقع عبر ثورة تعقيدية تحدث نقلة جذرية على مختلف الميادين، كل ذلك من أجل إصلاح الأوضاع الحاضرة والتطلع إلى أفاق قادمة أكثر اشراقا.

في كتابة "هل نسير إلى الهاوية" وبعد تشخيص الوضع الذي آلت إليه الحضارة الإنسانية لفت موران الانتباه إلى أن المهمة التي علينا إيلائها العناية تتعلق بالعودة إلى نقطة البداية، فالإستمرار لم يعد يأتي بأكله إذ

أفرز آثار مرتدة على عكس تخطيطاتها، ولذلك فالإنسانية اليوم في حاجة ماسة إلى إنطلاقة جديدة لا ترتبط بالحاضر ما دمنا على جهل تام به كما ينطلق في ذلك دعاة التنمية، وإنما الانطلاقة تستدعي العودة إلى الطاقات البشرية التوليدية[1]، فالمهمة هنا إذا تتعلق بالدرجة الأولى بالإهتمام والعودة إلى أعماق الذات الإنسانية وما تنطوي عليه من ثراء فكري تم تغليطه ونقله إلى مستوى أكثر ضبابية، قاد إلى سوء فهم بل جهل لاستيعاب ما يحصل في الحاضر والاهتمام بتوقع وتنبؤ ما سيقع في المستقبل، الأمر الذي جعل من الذات تتعإلى بعقلنتها ويطالها الغرور والغطرسة فأصيبت بالعمى عن رؤية أخطائها واصبح الفكر فيها معطوب طاله السقم.

فمن الضروري إذا إحداث التحول كما يوظفه موران Métamorphose للوضع الفكري، تحول يستهدف إحداث تغيير للوضع الذي امتد من الماضي إلى الحاضر فخلف جهل معرفي وسوء فهم للحال الإنساني والحضاري. لذلك فموران يستخدم كلمه التحول من خلال كتابه تفكير الشامل اشار إلى ان كلمه تحول أفضل في الاستعمال من كلمه ثوره فهذه الأخيرة اسيء استخدامها معناها العام اذ تم ربطها بمختلف اشكال التدمير والعنف.[2] في حين كلمه تحول تشير إلى كل ما من شانه التغيير بإيجابيه اي احداث اصلاح دون اي ضرر، انطلاق مما سبق دون قطع الصلة به، الذي عاد اليه من قبل في استشراف المستقبل مده من الارتداد والتواصل والعودة إلى الماضي من اجل تقديم الفهم الكافي للحاضر وحتى يتسنى الربط، وبالتالي تغيير الفعال في المستقبل.

لذلك فالوضع الانساني في حاجه ماسه إلى تغيير وسيرورة في نطاق التقدم يعد ضروري ولابد منه، وفي ذلك يقدم موران مثال الفراشة التي تعرف عملية تحول تمثل تطورها وانتقالها من وضع اول بسيط إلى حال ثاني اكثر جده وافضلية إذ تنطلق في البداية من مرحلة اولى سابقه بكونها يرقه من تدمير نفسها وتحطيم جهازها الهضمي وذلك من أجل إعادة تشكيل ذاتها وهو ما يتجلى عند انفتاح الشرنقة وتجلي جناحيها بتحولها إلى فراشة[3]، كذلك تماما الحالة الإنسانية والهوية التي تحتاج لا محاله إلى ضرورة العودة لماضيها وما ينطوي عليه من هويتها التاريخية السابقة وتراثها الضروري الذي لا يسهل الاستغناء عنه، اما بعد ذلك الانتقال في حاضرها إلى التأقلم معه عبر الانفتاح عما فيها من جديد، وذلك من اجل اضافه الاثراء، مما يؤكد ان الماضي لا يجب رفضه

[1] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟ المصدر السابق، ص77.

[2] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص92.

[3] المصدر نفسه، ص92.

تماما، بل لابد من الاستعانة بما هو ايجابي فيه والعودة إلى اصالته المقبولة، وفي نفس الوقت لابد من السعي إلى تقبل ما هو اضافي جديد في الفترات الراهنة، هذا وحده ما يجسد استقلال الهوية الإنسانية وبلوغها مرحله المعافاة مما طالها من وضع متأزم.

ان بلوغ التكوكب ونقل الإنسانية إلى مصاف اكثر تأنسن وشمولية تتم عبر تجسيد التفاعل والتلاقح بين الذوات والمجتمعات اي الثقافات والحضارات، فهذا وحده ما يحدث التغيير والنقل إلى مصاف اكثر عالمية وكوكبية، لذا فقد أكد على أن الاحوال لابد أن ينبثق منه مجتمع تندرج فيه الأمم من جميع أنحاء العالم[1]، فالتقدم نحو هوية واحدة كوكبية انما يتم بشكل تخطيطي وبقرار مؤكد مدروس ولا يمكن أبدا أن يحدث التقدم أو التحول بشكل اعتباطي، والامر الذي لابد الاهتمام به في سياق هذا التقدم هو الابتعاد عن اليقين المطلق اذ ينبه موران إلى فكره اللايقين، يقول في ذلك:" **غير المحتمل أو غير المتوقع هو ممكن اذا والتحول هو ممكن ايضا والمعركة غير ميؤوس منها تماما، الأمل هو الشيء الممكن وليس الشيء الاكيد، وانه لخطأ كلي أن نضيف عليه سمة اليقين، وكما قال هيرقليطس: اذا لم تبحث عن الميؤوس منها فانك لن تجده**"[2]. ان المشكلة التي طالت الانسانية ولحقت بفكرها وأضحت تهدد قيمتها ووجودها هي انحراف فهمها ووعيها عن المسار الذي وضع له، ولذا عوض التلاؤم مع متغيرات العصر الراهن والارتقاء نحو التقدم من خلال الاستخدام الحسن لإفرازات العلم انفتح المسار وابتعد الطريق عن التكيف، ولذلك فنسبة التقدم التي عرفتها البشرية ومختلف التطورات والانتصارات التي حققتها وتوصلت اليها انما نمت في نفس الوقت مع نسبه ثانية تعلقت بسوء الفهم والعجز عن وعي ما يحصل لها وما ينطوي عليه حاضرها المعقد بسبب لجوؤها إلى تبسيط كل شيء، الامر الذي يستدعي حسب موران احداث تحول يغير وضعيتها يسهل لها الطريق من اجل الفهم، فهم ذاتها، فهم وضعها، فهم طبيعتها التي تم الاقتصار فيها على الجانب المادي في حين استثنيت الجوانب النفسية والعناصر المعنوية، فوقع بذلك الانسان ضحية جهله وعدم استخدام فكره بشكل جيد الامر الذي جعل الكائن البشري يعاني التشظي والتلاشي وعوض البروز طاله الضياع.

لهذا فالتحول سيقود لا محال إلى معالجة الوضع اذ يقوم على ربط ما حدث في الماضي بالحاضر واستخدام الوعي بشكل جيد من أجل الوصول إلى فهم سليم، اذ يتم فيه تمييز محاسن الأمور عن مساوئها،

[1] موران ادغار، التفكير الشامل، المصدر السابق، ص93.

[2] المصدر نفسه، ص95.

وبالتالي الارتقاء بشكل جيد نحو مستقبل منفتح مقبول، وهو الأمر الذي أورده في كتاب النهج "انسانية البشرية الهوية البشرية"، حيث أكد أن المستقبل أمامنا انما ينفتح على احتمالين أحدهما جيد والآخر سيء، وأن بلوغ الجيد هو الخطوة اللاّزمة من خلال إحداثنا للتحول اللازم الذي ينصبّ بالدرجة الاولى على تحويل الفكر أو كما يسميه "الذهن" اذ يقول: **"المستقبل الأفضل هو ذلك الذي يتحكم فيه الذهن بدماغه كعازف البيانو الماهر، فالذهن البشري حينما يكون سيد نفسه سيكون قادرا على تطوير نفسه واستخلاص أفضل الامكانيات الادراكية والجمالية والأخلاقية الرائعة من الآلة الدماغية الرائعة التي يبقى كمونها واسعًا جداً"** [1]

ولذا فالفرق بين هذا المستقبل والثاني الذي اعتبره موران مشؤوم، هو أنه ارتقاء نحو التحول الذي يرتفع عن الهمجية والبربرية والجهر بالأنا المركزية، وما لها من نزعات سلطوية وافشاء لمظاهر العنصرية والصراعات والحروب. فالتحول بذلك يكون نحو إصلاح إنساني، إصلاح يستهدف إخراج الكائن البشري من وضعه الأحادي البعد الذي قصر فيه النظر على ما لديه من امكانيات، وما في جعبته من تقدم وتطور علمي وتفشي لمظاهر النمو التقنوي، الأمر الذي جعله يصل إلى غطرسة وأنانية فتحت المجال امام التعالي الغربي عن باقي الامم، والجهر العلني بالمركزية، وبالتالي اقتسام وشطر الوجود الأرضي إلى مستويين: أحدهما راقي أصيل هو صاحب الابتكارات والانجازات واليه يعود كل الفضل وكل الوجود بما فيه من تطورات؛ وبالمقابل مستوى ثاني أقل قيمة وفائدة ودور، لابد من طمسه وتهميشه وعدم الالتفات اليه. الأمر الذي ساعد على تردّي الأوضاع سواء المادية العلمية بسبب الثقة المبالغ فيها في العقل الأداتي، أو حتى على مستوى العلاقات الانسانية التي انفتحت على الصراع والكره والنزاع.

لهذا لجأ موران إلى التحول وقدمه في قالب تعقيدي أساسه لم الشّمل بين مختلف التناقضات والنظر اليها من جهة المغايرة والاختلاف لا من منظور النزاع والخلاف، كل ذلك سيساهم في إحداث النقلة نحو واقع ومستقبل جيد. فالوضع الانساني المتأزم والمشكلات التي أفرجت عنها الحداثة انما ارتبطت بالوعي، ولذلك فالتراجع أو التقدم انما يرتبطان به وما علينا إلا الإعان بولادة جديدة لهذا الوعي، فهي ولادة ستسمح باستيعاب الوضع وتلاقي الجوانب المادية والمعنوية على حد سواء، الأمر الذي يسهل فهم الكائن البشري بأبعاده المتعددة بيولوجية، سيكولوجية، وسوسيولوجية.. وفهم الطبيعة وموضعته بشكل سليم فيها، ولذا

[1] موران ادغار: النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص296.

فالإنسانية حسب موران لن تستطيع بلوغ انسانيتها ولم شتات وبعثرة هويتها الا عبر اصلاح وتغيير وتحول اصلاحي يعيد لها الشأن ويجهر بطابعها التعقيدي الكلي الكوكبي. فإذا ما وقع التحول نحو اصلاح الوعي الانساني سيصبح هذا الكائن سيدًا لنفسه وسيدًا لكل شيء بشكل ايجابي فعال، وستصبح الذات الواحدة متصالحة مع ذاتها ومتحدة في نفس الوقت مع باقي الذوات الأخرى، وهذا ما سيمكن من الوصول إلى الهوية البشرية الواحدة الكوكبية، في كتاب لنغير السبيل يقول موران: " **يجب علينا ان نفهم أنه لكي تبقى البشرية على قيد الحياة يجب عليها أن تتحول... يجب على الانسانية المتجددة اليوم أن تجد طرقا نحو التحول**".[1]

1-2 الوحدة والتنوع من الانسان الواحد إلى الانسانية أجمع: لقد سبق وأن أشرنا في الجزء الأول من مهمة موران أنه ارتكز على اعادة الاعتبار للكائن البشري الذي نقل الاهتمام والنظر اليه من البعد الواحد المادي البيولوجي، نحو الانفتاح على باقي الأعاد الأخرى وخصوصا النفسية الثقافية، الأمر الذي يؤكد أن هذا الكائن انما هو حصيلة اجتماع ثالوث قوامه: الفرد-المجتمع – النوع، فالإنسانية لا يمكن الحديث عن نشأتها وتكونها وتأصلها إلا عبر ردّها إلى هذا الثالوث. وإذا كان لها علاقة بالتأثر الكوني والتأصل الأرضي، إلا أن انطلاقتها الفعلية وتأنسنها الحقيقي ارتبط بالتفاعل الحاصل بين مختلف أبعاد، فإدغار موران تحدث على البعد التعقيدي للكائن البشري وتوصل إلى أن الإنسانية المتجددة إنما هي إنسانية تتأسس على الاعتراف بالبعد المركب، ومن خلاله تدرك ضرورة الجمع باستمرار بين العقل والعاطفة، وما لذلك من إفراز لمختلف المظاهر الاخرى، فالمهمة الاولى التي قام بها موران هي العودة إلى الهوية الفردية للكائن البشري، هذه الهوية التي تقوم على الوحدة والكثرة في نفس الوقت. فالأنا المتمركزة على ذاتها تدرك قيمة جوانبها وضرورة اتحاد أبعادها من عقلية، جنونية، اقتصادية، وصانعة...وهي ما تمثل المركزية الأولى التي انتهى اليها موران في اثبات وحدة وتنوع الكائن الإنساني.

لتنبثق بعدها ثاني مركزية وهي متحدة بها متصلة بجوانبها ألا وهي مركزية النحن، هذا النحن الذي يتعارض مع الأنا ولكنه مكمّل له، اذ يظهر منذ الولادة ومنذ لحظة المجيء إلى العالم، عبر الحاجة إلى الرعاية والحنان والمداعبة والهدهدة في كنف الشعور بالحب، في كنف العائلة، برفقة الوالدين والاخوة والأخوات، ليكبر

[1] Edgar morin, changeons de voie , p79

ويتسع فيشمل الوطن والحزب والدين والاصدقاء والأحبة[1]. وبذلك فمهما كان كيان الكائن البشري الواحد يحتوي على التعدد والكثرة، ومهما حمل معنى ووجود هوياتي، إلا أنه يبقى وجود ناقص اذا ما تم شطره وفصله بشكل مطلق عن باقي الهويات الأخرى، اذ لابد من نقل طابع التركيب من الانسان الواحد إلى الإنسانية أجمع اذ يقول موران في كتاب دروس قرن من الحياة: **" أنا كل بالنسبة إلى ذاتي وفي الوقت نفسه لست شيئا تقريبا بالنسبة إلى الكل... كل امرئ عبارة عن عالم مصغّر يحمل في طي وحدة أناه الذاتية غير القابلة للاختزال، وغالبا من دون وعي، دروب الكل المتعددة التي هو جزء منها في كنف الكل العظيم، وهذه الدروب المتعددة من الكل انما تتشكل من تنوع أصولنا العائلية وانتماءاتنا الاجتماعية"**[2].

إن الوحدة والتنوع كما يؤكد موران في كتابه" البراديغم المفقود" لا يجب النظر اليهما باعتبارهما مصطلحين مختلفين متعارضين متناحرين، بل على العكس من ذلك هما مصطلحان مترابطان متصلان[3] الأمر الذي يؤكد أن الهوية الانسانية واحدة باشتمالها على الوحدة وخصوصية مكوناتها وانفتاحها في نفس الوقت على التعدد باتحاد اختلاف أبعادها، فهي ترتقي في الوقت عينه وتنقل هذا الأمر إلى مستوى أكبر يخص هوية الأرض والكوكب أجمع أي باقي الهويات والذوات الاخرى المتعايشة معها.

ولذا فإدغار موران يرد الهوية الانسانية إلى الوحدة والتنوع، خصوصا وأن خطابه الهوياتي هو خطاب تركيبي تعقيدي ينطلق من الايمان بوجود التعدد والكثرة، وأن بين هذا التعدد هناك لا محالة روابط وشروط تقتضي الاتصال، وبالتالي لا يجب الانتقال من الكل وتبسيطه عبر تقسيمه إلى أجزاء، بل أن الكل محتوى في الجزء تماما كما هو العكس، وأن الترابط بينها ارتدادي تفاعلي وليس سببي خطي، فالإنسان كائن معقد مركب يتوفر على العقل، والجنون، واللعب والاقتصاد في نفس الوقت، ومن أجل فهمه علينا الارتحال من البيولوجيا إلى الأنثروبولوجيا، وانطلاقا من طابع التعقيد الموجود فيه يتم الانتقال إلى مستوى آخر يظهر فيه المجتمع والعالم، ولذلك فاذا ما أردنا الحديث على الطابع التركيبي الذي أشار اليه موران فإننا نجده متفشي في الحضارة والوجود الإنساني، إذ ينتشر عبر الفرد الواحد ويمتد إلى باقي الأفراد والكائنات البشرية، وهو الأمر

[1] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص28،29.

[2] Edgar morin,leçons d'un siécle de vie, editions denoél, paris, 2021, p18.

[3] Edgar morin, le paradigme perdu, p 168.

الذي يستدعي في كل مره الاقرار بالوحدة من ناحية والتنوع من ناحية ثانية، يقول موران: " **إن الوحدة هي كنز التنوع البشري كما أن التنوع هو كنز الوحدة البشرية، فما هي الحاجة البشرية الاساسية التي يصبوا اليها كل كائن بشري وتبرز في أحلك الظروف التاريخية إن لم تكن هي تحقيق شخصيته في صلب مجموعة ينتمي اليها؟**"[1]

ولذلك فبعد أن تحقق الوعي الأول وهو الوعي بمركبة الكائن البشري الواحد والتي تتجاوز الاختزال وحصر هذا الكائن في أجزاء متناهية في الصغر، بل على العكس يتم النظر اليه بناءا على حالات وأشكال التنوع التي يشتمل عليها، يتم حينها الانتقال إلى وعي ثاني أكثر تركيب وتعقيد هو الوعي باتحاد الكائنات البشرية ككل، وهو ما يشكل هوية أسانية واحدة تصطبغ بطابع التكوكب والعالمية، وهذا ما اشار اليه ادغار موران عندما حدد لها ثلاث أعاد متداخلة على الرغم من اختلافها:

أ- **البعد الفردي**: يتعلق هذا البعد بالجانب البيولوجي الموجود على مستوى الكائن البشري الواحد، أي جملة الخلايا والأنسجة والأعضاء التي يتكون منها، والتي لا تتخذ صفة الثبات وانما هي واحدة باعتبارها ضمن كيان وهيكل متكامل، غير أنها متعددة من حيث وظائفها، كما أنها متغيرة معرضة للموت والمرض والتلف والنمو... ولذلك فهي هوية ذاتية خاصة تعبر على خصوصية الفرد الواحد وتنوع أجزائه واختلافه عن باقي الأفراد الآخرين، فكل كائن بشري يحوي تركيبة بيولوجية مغايرة لباقي الكائنات البشرية الأخرى من لون بشرة، بنية الجسم، اختلافات وراثيه...، وهذا ما يشكل التنوع، غير أنه في ذات الوقت ينتمي ويلتقي معهم عبر الإنتماء إلى نوع واحد هو النوع البشري وهذا ما يشكل وحدة الهوية البشرية، فالموروث البشري قاسم مشترك بين مختلف الأفراد، ولذلك فمهما كان البعد الوراثي مختلف فهو مشترك في نفس الوقت، ومهما اصطبغ كل فرد بجانبه الوراثي الخاص وببصمته الوراثية أو حمضه النووي الخاص ADN،إلا أن النوع يبقى واحد وأصل تشكل الجنس البشري يبقى هو نفسه، يقول موران: " **تنطوي وحدة الهوية البشرية الأولى على النوع، ويتجاوز معنى النوع هنا المعنى الوراثي ويتضمنه في الوقت نفسه. فهو يخص المصدر المولّد للجنس البشري والمحدد له، بغض النظر على التخصصات والانغلاقات والتقسيمات، إن الموروث الوراثي نفسه مشترك بين جميع البشر ويضم جميع الصفات الموحدة الأخرى، ويتيح التزاوج بين جميع**

[1] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص89.

البشر من أوروبيين واسكيمو وأقزام، ويعيش كل فرد حياته ويكابد بوصفه فردا مميزا وهذه الخصوصية التي تميز كل شخص عن الآخر مشتركة بين الجميع".[1]

ويعد الدماغ البشري أكبر دليل على اجتماع الأفراد ضمن خاصية نوعية واحدة، فهو سمة وقاسم تنطبع به الهوية البشرية، ومهما بلغت درجة اختلافه خصوصا من حيث حجمه وحتى طريقه استخدامه من فرد إلى آخر، وحتى إن تعددت الاختلافات العرقية والإثنية، غير أن له طابع تنظيمي وقدرات جوهرية هي واحدة عند الجميع، ومهما تعددت فهي مشتركة.

ولا يعني هذا الأمر أن الطابع المشترك بين الافراد يقتصر على الجانب المادي العضوي بل أن العناصر والخصائص العاطفية النفسية هي الأخرى تتخذ نصيب من الاشتراك، والدليل في ذلك جملة المشاعر التي على الرغم من اختلاف درجاتها حسب خصوصية الموقف إلا انها في النهاية واحدة، فالانفعال بالإيجاب تجاه موقف خيّر كمساعدة شخص وتقديم يد العون لمريض مثلا عبر التبرع له بالدم أو مساعدته في حمل أغراضه، هي تصرفات ستنال الموافقة والرضا من قبل أي فرد يراها من بعيد، وهو العكس عند الحاق الضرر بشخص أو حتى حيوان فالاستهجان والرفض سيكون مشترك من قبل كل الأفراد، يقول موران: " **ينبغي لنا أن نقرّ بوجود سمات نفسية عاطفية شمولية،... فبعض الأفراد يتأثرون بالصداقة، آخرون يتأثرون بعاطفة الحب خاصة، وآخرون يهيمن عليهم الكره والحسد**". [2]ولذلك فالبعد الفردي يؤكد على أن أول عنصر يساهم في تشكل الهوية الانسانية الكونية، هو العنصر المتعلق بادراك ووعي قيمة الفرد الواحد المركبة والمتصلة في نفس الوقت بالنوع الاكبر. كذلك تعد اللغة إلى جانب الدماغ أداة جوهرية معبرة على الجانب الخاص في الفرد، وبالتالي فهي سمة جوهرية للوحدة البشرية، اذ باعتبارها مقدرة تمكنت من انتاج تنوعا لا حد له من اللغات، وبالتالي تلاقي الأفراد والهويات ضمن بوتقة هوية واحدة. يقول موران في كتاب ''النهج:" **يتسم جميع الافراد بسمات مشتركة تضفي انسانية على البشرية، تفرد وذكاء من نمط جديد، وسمة عقلية تتيح تجلي الذهن الذي بدوره يتيح ظهور الوعي".**[3]

ب- **البعد الاجتماعي:** إن طابع التنوع والوحدة ينتقل من الفرد الواحد إلى جملة الأفراد الذين يتحدون ويقطنون رقعة جغرافية معينة تشكل المجتمع، فاذا كان الكائن البشري عبارة عن عدة أفراد مختلفين

[1] موران ادغار: النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص74.

[2] موران ادغار: النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص79.

[3] المصدر نفسه، ص75.

عن بعضهم البعض ولكن متحدين عبر سمات معينة تجمعهم في نوع واحد، فإن المجتمع كذلك هو أفراد مختلفين متمايزين عرقيا، دينيا، لغويا... إلا أنهم مجتمعين على بيئة واحدة، وخاضعين لضوابطها وأحكامها، فهم منفردين بخصائصهم متشابهين بانتمائهم، ولذلك فإن كل اجتماع انساني هو اجتماع متميز، فلكل مجتمع هويته الخاصة، أي تلك العادات والتقاليد والطقوس والشعارات وحتى الشعائر التي تشكل في مجموعها تراث وموروث جماعي خاص، ولذلك فإلى جانب الهوية الاولى الفردية هناك هوية ثانية اجتماعية للفرد تمكنه من التواصل والالتقاء بالهويات الاجتماعية الأخرى والتفاعل معها، ولكن حسب موران بالإمكان أيضا أن تؤدي إلى تجسيد التبعية المبالغ فيها وعوض التقبل تميل احداها إلى التمركز والتعالي فتستبعد بالمقابل، وبالتالي فهوية الفرد الاجتماعية مثل ما تحقق ازدهاره تسمح ايضا باستعباده حتى بفعل الضوابط والأوامر[1].

إنّ الكائن البشري هو أهم أساس في المجتمع، ولذلك اعتبره موران مركز الوعي، وانتمائه للجماعة انما يؤكد على طابعه التركيبي وبعده الكلياني، فهو أول التقاء يعبر على هويته الاجتماعية ينطلق من الزواج، ويتشكل عبر الاسرة أو العائلة كما يسميها موران، فهي جزء من الفرد وهو بدوره جزء منها ولذلك فهي أول مجتمع مصغر ينتمي اليه الفرد وينهل منه القيم والضوابط والتعاليم التعاونية التشاركية، فهي مصدر مدّ الانسان بالتكوين البيولوجي والنفسي والاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي والديني... وهذا ما ينوه إلى أنها تؤصل لهوية اجتماعية تتسم بالتعقيد وتنتقل من المستوى الأسري الواحد إلى مستوى الشارع، فالمدينة، فالدولة، فالامة، فالحضارة ككل وهذا ما يكوّن فيما بعد البعد الثقافي.

إن الهوية الاجتماعية اليوم عند موران طالها التغيير بفعل متغيرات الوضع وافرازات التقدم العلمي، وما لذلك من انعكاس على حال العائلة كتغير اسس وعوامل قيامها عبر اختلاف وظائف المرأة والرجل، أو حتى تغير النظر للانجاب ببروز بنوك حفظ السوائل المنوية، أو تجلي فكرة الام الحاضنة، أو حتى اختلال التركيبة البيولوجية للاب والام اي تغيير الجنس... فهي كلها طوارئ ظهرت مع قرون الحداثة وأصبحت تتيح استفهامات جديدة حول مستقبل هذه الهوية، الأمر الذي يستدعي لا محالة الاستعانة بمناهج علاجية تحولية كما سبق وان اشرنا. فالإصلاح ممكن وحتى وان لم يعد الأسرة والهوية الاجتماعية إلى وضعها الاول إلا أنه بإمكانه توفير الشروط الأنسب للحفاظ عليها من الزوال، وذلك عبر مدّها بالقيم الاخلاقية الانسانية الكافية لتحقيق الحب والتواصل، والتعاون والتسامح، والتضامن.

[1] موران ادغار: النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص200.

ج-**البعد الثقافي**: لقد سبق وأن أشرنا إلى العامل الثقافي في ثالوث التكوين الانساني الأول عند موران، فقد لعبت الثقافة إلى جانب الذهن واللغة دور جوهري في ترقية الانسان، اذ تزوده بالعناصر الكافية للانتقال إلى مصاف عليا، لذلك فالثقافة في المستوى الأول هي التنوع الذي يتوفر عليه الفرد الواحد والهوية التي تحتاج إلى خصوصية وانغلاق تارة من أجل الحفاظ على أصالتها، وفي نفس الوقت الانفتاح تارة أخرى على باقي الهويات الموازية لها وهذا ما يحمل البعد الكوكبي الانساني.

فالثقافة تحافظ على هوية الفرد الواحد وهوية الجماعة باعتبارها تكتل لأفراد عدة، ولذلك فهي التي تجمع هوية الفرد والجماعة معا، ولهذا السبب اعتبرها موران سابقا جملة العادات والتقاليد والممارسات، والمهارات، والمعارف والقواعد، والمعايير، والممنوعات والاستراتيجيات، والمعتقدات، والافكار والقيم، والاساطير، والطقوس التي تستمر من جيل إلى جيل وتتوالد داخل كل فرد تنتج التعقيد الاجتماعي وتجدده.[1]

ولذلك فالثقافة تنادي بضرورة اغناء التنوع سواء على مستوى الفرد الواحد عبر الجهر بطابعه المعقد المشتمل على التقاء أجزاء البيولوجيا والنفس، والاجتماع والوجدان، أو على مستوى الجماعة والتآلف الحاصل عبر التقاء الكيان الكلي المعقد للكائن البشري الواحد مع باقي الكائنات البشرية الاخرى على مستوى مؤسسة اجتماعية معينة، فالفرد هو واحد ومتنوع، واحد كبناء كلي ومتعدد باتحاد جوانبه الدماغية والعاطفية، والمجتمع هو الآخر بناء كلي يجمع الافراد تحت غطاء اللغة والعادات، والضوابط، والقيم وهو في ذات الوقت متنوع بما أن هؤلاء الافراد متميزين مختلفين وهذا ما يؤكد الطابع والبعد الثقافي الذي يتجسد عبر وحدة وتنوع الفرد والجماعة.

لذلك فإن الثقافة عند موران هي الخاصة اللازمة للفرد والمجتمع اذ لا يمكن تصورهما وخصوصا المجتمع دون ثقافة، وبالعودة إلى طابعها الانغلاقي والانفتاحي فموران يؤكد على أنها تعتمد الوسطية بينهما، اذ لا تنفتح بشكل كلي حتى تقضي على معالمه وتجسد الاختزال والذوبان عبر انصهار مقوماتها في سياق مقومات ثقافة ثانية، بل عليها الانفتاح بشكل نسبي فقط يسمح بالالتقاء واخذ ما يفيد ومد الاخر بما يحتاجه، وفي نفس الوقت لا يجب عليها الانغلاق لان ذلك يؤدي لذلك الانحطاط والجمود وبالتالي الاندثار،[2] لذا فعليها ان تنغلق كذلك بشكل نسبي حين تحتاج إلى الحفاظ على اصالتها وهذا ما يمكن من انتاج الكون الكوكبي اي

[1] موران ادغار: النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص77.

[2] بلخضر وحيد، دراس شهرزاد: الهوية البشرية والتعدد الثقافي عند ادغار موران/ مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد 09، العدد 03، جوان 2020م، وهران، ص337.

الالتقاء والتفاعل تارة والانفصال والمحافظة على الخصوصية تارة اخرى، ولذا فمهمة الثقافة هنا تجديد طابع التعايش بالشكل الذي يجسد التواصل والالتقاء دون التمارين وكذلك الابتعاد عن الترفع والتعالي الذي يقود إلى الاقصاء والتجاوز.

2- **الهوية والوعي الأرضيين**: إن الهوية من أبرز المواضيع التي انشغل بها فكر وقلم ادغار موران منذ كتاباته الأولى وإلى غاية يومنا الحالي، اذ كان على الدوام يسعى إلى بناء مجتمع انساني ويطمح نحو تشييد هوية شاملة كوكبية تتحد ضمنها مختلف الهويات المتنوعة، ولذلك فقد كانت الهوية حاضرة على الدوام في مؤلفاته سواء الأولى منها على سبيل كتاب" النهج انسانية البشرية الهوية البشرية "الذي اعتبر فيه الهوية الانسانية الشعلة الضرورية التي تنير الظلمات الحداثية الجديدة، فهي المعول الذي يساهم في الخروج من المآزق التي آلت اليها حضارة العصر اليوم، ولقد وقف فيها على ثلاث جوانب لها انطلق من الهوية الماضية التاريخية التي على الانسان ان يقف عليها ويدركها بشكل أولي، حتى يتسنى له الارتقاء في حاضره إلى النوع الثاني وهي الهوية الاجتماعية اذ تحتاج إلى معايشة حالية، كل ذلك يسهل عليه في النهاية امتلاك هوية قادمة مستقبلية، ولذلك فالهوية الانسانية هي واحدة كلية ذات بعد مركب كوكبي، ولكنها في ذات الوقت تشمل على التعدد والتنوع وأبرزه التنوع الثلاثي:

أ- الهوية التاريخية: لقد نظر موران إلى التاريخ من العين والزاوية نفسها التي نظر بها إلى الانسان، اذ أعطاه بعدا مركبا معقدا، فالعلاقة المتعدية تنتقل من اعتبار الانسان كائن يتصف بالكلية والتعقيد، والتاريخ موضوع يرتبط بالكائن الانساني أولا وقبل كل شيء، فالإنسان وحده بالمفهوم الذي قدمه هايدغر هو الكائن المتزمن الذي يدرك ويعايش وينفتح على اللحظات الزمنية الثلاث (ماضي، حاضر، مستقبل) الأمر الذي يجعل من موضوع التاريخ وقوانينه منوط بالإنسان الكلي والواقعي[1]. ولذلك فكل ما يحدث على مستوى التاريخ أو على مستوى الانسان متصل ببعضه البعض، وقد أشار ادغار موران في كتاب" النهج" إلى هذا الامر عندما نوه إلى فكرة الانفراج التاريخي، فالأمر الذي وقع على مستوى التاريخ فتح المجال والإمكان لجوانب الانسان، اذ برز الجانب العاقل والمجنون في ذات الوقت، وظهرت قوى الابداع لديه في نفس وقت تنامي قوى التدمير، وبذلك فقد واجه التاريخ وجهين متضادين أخذ في الربط بينهما على نحو مستمر هما: الحضارة والبربرية، البناء

[1] فروم ايريك: مفهوم الانسان عند ماركس، تر: محمد سيد الرصاص، دار الحصاد للنشر، ط1، سوريا، 1998م، ص29.

والتدمير، التكوين والابادة، فالوجه الأول هو وجه الحضارة العظيمة أما الوجه الثاني للتاريخ فيتمثل في أشكال التخريب الجنوني والعنف الذي اقترفه ليس ما يعرف بالبربريين بل أيضا ما يعرف بالمتحضرين[1] .

ولذلك فالوضع الانساني أضحى يعايش الاحتضار وأصبحت هويته تعاني التهديد، وهو الأمر الذي خلق أزمة هوياتية ومشكلة إنسانية شرذمت هذا الكائن وجعلته يعاني الضياع في حاضره نتيجة عدم فهم ما حدث له من قبل، الأمر الذي يستدعي نظرة جديدة وقراءة مغايرة لمسار الوضع التاريخي، وكيفية الانتقال فيه إلى الحاضر من خلال العود الأول إلى الماضي، كل ذلك سيساهم لا محالة في ايضاح الرؤية للمعاش اليوم والمترقب غدا، ولذلك فالهوية التاريخية عند ادغار موران انما هي هوية تعود إلى موروثها السابق حتى تستطيع الانتقال بشكل سليم إلى فهم الحاضر والاستعداد للمستقبل.

ب- **الهوية الاجتماعية**: ينطلق موران في نظرته للمجتمع من الحالة المعاصرة المزدرية وذلك من خلال الهمجية والبربرية التي طغت عليه، عصر تجلي مظاهر الصراع والحروب على مختلف المستويات، وذلك فمن الضروري مجابهة هذا التراجع الاجتماعي، وذلك لا يكون الا من خلال مواطنيه وقاطنيه، ذلك أن المجتمع عبارة عن تكتل للأفراد والتقاء لهم على مستوى مؤسسات اجتماعية معينة، ولذلك فهمجيته منهم وكذلك خلاصه يرتبط بهم ويعود اليهم، على هذا الأساس لابد من احداث تغيير على مستوى العلاقات بين الأفراد، وذلك عبر غرس السلوكيات والفضائل الضرورية والناجعة من أجل تحقيق سلامة الاجتماع، وهو الأمر الذي طرحه من خلال تصوره لمنحى جديد هو المنحى الذي يدفع إلى التساؤل على مستقبل العلاقة القديمة الأساسية بين المجتمع والنوع والفرد، والتي كانت تبدو ثابتة لكنها اليوم متغيرة[2].

ولذا فمن الضروري للأفراد أن ينتبهوا إلى هويتهم الاجتماعية في ظل راهن اليوم، وما يقع فيه من انحلال وتمزق للعلاقات الانسانية، وبالمقابل إعادة التأسيس والتأصيل لها وربطها بمختلف التغيرات الطارئة عبر فتح المجال لتحسينها ونقلها إلى مستوى لاأزماتي، الأمر الذي يعيد تجديد وتشكيل انسانية جديدة.

ت- **الهوية المستقبلية**: هي الهوية المنشودة في فكر ادغار موران، فهي الهوية ذات الطابع الكوكبي المركب الشامل الذي ينقل الاهتمام من الفرد الواحد إلى الانسانية أجمع، عبر تحقيق التواصل والتعاون ومشاركة الغير هذا الوجود وهذه الارض باعتبارها عالم الجميع، فالحاجة الماسة اليوم انما تتعلق ببلوغ هذه الهوية

[1] موران ادغار: النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص241.

[2] موران ادغار: النهج إنسانية الإنسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص 205،206.

وذلك لما لها من فائدة كبرى تتعلق بإصلاح مختلف جوانب ومشكلات الوجود الذي اخذ يسير نحو التشابك والتعقيد.

لقد سبق وان أشرنا في العناصر السابقة إلى أن موران نظر إلى المستقبل بجانب محتمل وغير محتمل، ومعنى ذلك ان الوضع الفوضوي واللامتحكم فيه اليوم بفعل مالات التقانة الانسانية انما فتح المجال امام امكانات عديدة في المستقبل القادم، اذ أن الرؤية فيه لم تعد واضحة والاحتمالات فيه بإمكانها الانفتاح على ثلاث حالات:

- مجيء مجتمع عالمي.
- مجيء الات ضخمه يصعب السيطرة عليها.
- مجيء بشريه ضخمه يصعب السيطرة عليها[1] .

ولهذا فالنقلة نحو مستقبل ومجتمع عالمي تبرز فيه الهوية الواحدة الكوكبية لا يكون الا عبر تنمية ثقافة ووعي بمصير انساني واحد، وغرس فكر جديد قوامه ضرورة العودة إلى الأصول والجذور الأولى للهوية الانسانية الواحدة، ثم الانتقال إلى الحاضر الخاص بها والسعي إلى التأقلم والتعايش مع ما يتواجد فيه من كائنات بشرية أخرى في جو تلاقحي اجتماعي، الأمر الذي يهيئ المجال لبلوغ مستقبل هوياتي مشرق وهوية انسانية تتسم بالتكوكب.

ان كتاب "دروس قرن من الحياة" عند ادغار موران هو الكتاب الذي يحمل معالم الهوية الواحدة المتعددة وهذا ما خصص له جزء اول منه يحدد فيه تصوره الخاص للهوية التي تسير نحو التكوكب من خلال الالتقاء الجماعي على سطح واحد، اذ يقول في مستهل الجزء الخاص بالهوية: **"من أنا؟ جوابي: أنا انسان، هذا هو اسم ذاتي لكني أحمل صفات عديدة تتفاوت أهميتها بحسب الظروف، انا فرنسي، من أصل يهودي، سفاردي ايطالي، واسباني جزئيا، متوسطي للغاية، أروبي الثقافة، مواطن عالمي ابن الأرض ـالوطن".**[2]

فالوضع الانساني الذي انفتح على حروب عالمية وصراعات نووية، بفعل مآلات العولمة المنحرفة، هو نفسه الذي وبدءا من نهاية القرن العشرين يستشرف بروز وعي بوحدة المصير، بناء على الجانب الثاني لهذه

[1] موران ادغار: النهج إنسانية الانسانية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص 290.

[2] موران ادغار: دروس قرن من الحياة، المصدر السابق، ص11.

العولمة والمتعلق بإثراء الجانب الانساني وتجسيد التحرر ونقل المستوى إلى جانب أكثر عالمية، عبر اذعان ميلاد وعي مشترك بالإنسانية وهذا ما دفع ميريال دلما مارتي Mireille delma marty إلى القول: " **لقد بدأنا من خمسين سنة نفكر في أنفسنا باعتبارنا إنسانية**".[1]

ولذلك فما يجب التركيز عليه وتصوره عند ادغار موران هو أمور ثلاث أساسية:

❖ وحدة المصير: فمادمنا كأفراد خاضعين لنفس الظروف والتهديدات خصوصا بسبب تفشي السلاح النووي وما قاد اليه من تردي للمحيط الحيوي عبر تجلي الانحباس الحراري ودمار الغابات المساهمة في نشر الأكسجين، إلى جانب مختلف مظاهر التلوث والكوارث والفيروسات الجديدة المنتشرة أو الجراثيم التي اكتسبت قوة المقاومة او انفلات مآلات الاقتصاد،[2] فهي كلها مؤشرات تؤكد على أن المصير البشري اليوم هو واحد مشترك، وبانحراف الحداثة عن مسارها ارتدت انجازات العقل العلمية واكتشافاته عن طريقها المرجو ولذلك فما سيقع في المستقبل انما هو مصيرنا الواحد الذي علينا ايلائه العناية والاهتمام اللازمين.

❖ هوية انسانية مشتركة: مهما برزت الاختلافات وحمل الافراد تنوعات جسدت مغايرتهم لبعضهم البعض سواء على الجانب الوراثي البيولوجي أو الاجتماعي، الا أن الهوية الانسانية تلتقي على مستوى الدماغ كما أشرنا من قبل، فالإنسان العاقل Homosapiens يمثل الهوية المشتركة التي تعود إلى نفس النوع وكذلك الأمر بالنسبة إلى الجانب العاطفي فهي بالتأكيد عناصر ومهما اختلفت من شخص إلى آخر إلا أنها في النهاية انبثقت من أصل واحد أول وثقافة كبرى جسدت هوية واحدة مشتركة منفتحة على التنوع.

❖ الوحدة ذات الأصل الأرضي: من خلال الوعي والشعور بانتمائنا وهويتنا الأرضية، أي تلك الهوية التي تنطلق من أسلافنا ومن هويتنا شبه البشرية والثدييات والفقاريات والتي تجعل منا أبناء للحياة وأبناء للأرض،[3] ولذلك فهناك ترابط بين تطور وعينا بالإنسانية ووعي بوطننا الأرضي، فالوعي شرط ضروري عند موران أي إدراك جانب الانتماء إلى الوطن الأرض لأن ذلك وحده ما يحقق الانفتاح[4].

[1] موران ادغار: العقل المحكم، المصدر السابق، ص97،98.

[2] موران ادغار: العقل المحكم، المصدر السابق، ص98.

[3] المصدر نفسه، ص99.

[4] المصدر نفسه، ص100.

ولذلك فهذا التصور الثلاثي الذي قدمه موران إنما يتعلق بالوعي الانساني الذي لابد من نقله إلى جانب عالمي كوكبي، وذلك بدءا بادراك الوضع الحالي لهذا الكائن بعد افرازات التقانة والأحداث التي ظهرت وتفشت موازاة والتقدم العلمي وما يحمله ذلك من وحدة المصير أي الخضوع لحاضر واحد ومستقبل لابد من نقله إلى مصاف أفضل، هذا ناهيك عن تآلف الأبعاد الفردية والاجتماعية والثقافية كما أشرنا إلى ذلك في العنصر السابق، فبعد ادراك وحدة تركيبتنا وتنوعنا عبر الاشتراك في نفس الخصائص المادية والمعنوية،فإننا لا محالة في النهاية سنتوصل إلى إدراك بعدنا الهووي المتكامل الذي يجعلنا أبناء هذه الأرض ولدنا من رحمها وكبرنا تحت رعاية يديها،فهي مجتمعنا الكوكبي وهي أساس وحدتنا التي قوامها انتماؤنا المتبادل والمرتبط في ذات الوقت بها هي أرضنا وموطننا الوحيد[1] .

إن الهوية الانسانية عند ادغار موران اذا تنبثق من الوحدة أي ذلك الأصل الأول المشترك بين البشر، غير أنها في نفس الوقت تنفتح على التنوع والاختلاف والتعدد، ولذلك فمفهوم الهوية الكوكبية قد تلوّن بطابع التعقيد الذي نظر إلى أي بناء على أنه جملة من العناصر المستقلة عن بعضها البعض وفي نفس الوقت تتسم بالاتحاد، كذلك هو الأمر بالنسبة إلى الإنسان وهويته فلابد من تجاوز النظريات الكلاسيكية السابقة والتي عمدت إلى اختزاله وتجزيئه إلى عناصر غير متحدة غلب عليها الانفصال، فما يجب القيام به هو إعادة تجسيد التقاء هذه العناصر عبر الربط بينها والحاق الأبعاد النفسية والاجتماعية بالبعد الأول البيولوجي، الأمر الذي يصل بالإنسان إلى هوية أولى فردية تنطوي على التناقض والتماثل في ذات الوقت، بل ونقل هذه الهوية إلى مستوى أكثر اجتماعية وثقافية عبر جعلها مناسبة للكائنات البشرية ككل باعتبارها تتشارك نفس الأرض الوطن، وهذا ما يتمثل في الهوية الكوكبية عنده اذ يقول:" **أخيرا يصل الوعي الكوكبي من تلقاء نفسه إلى فكرة الوطن، ها نحن البشر الصغار على فيلم صغير من الحياة، يحيط بالكوكب الصغير المفقود في الكون العملاق، لكن هذا الكوكب هو عالمنا هذا الكوكب هو في نفس الوقت منزلنا وحديقتنا نحن نكتشف شجرة إنسانيتنا و بطاقة هويتنا الأرضية التي تجعلنا نتعرف على عمومتنا الأرضية في وقت أصبحت فيه المجتمعات البشرية العالمية مترابطة**"[2].

[1] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص118، 119.

[2] Edgar morin, changeons de voie, p85-86.

إن الهوية الإنسانية الحقيقية هي الهوية التي تنطلق من إعادة النظر و التأسيس لمعنى جديد حول الكائن البشري حسب موران، وذلك من خلال الاعتماد على خطاب وطرح جديد مخالف للطرح السابق الذي غيب عليه الوعي، ورسخ في ذهنه حلم واحد فحسب متعلق بالسيطرة على الطبيعة والتحكم فيها،بل الطرح اليوم ينبني على وعي مخالف يؤمن بالتعدد والتنوع مع باقي الأجناس، ويؤصّل لتصور منفتح معترف بالوحدة في إطار التعدد متقبل لعلاقة متصالحة بين الأنا والآخر،إذ يقول في هذا السياق: " **أنا أنفتح على الآخر وأجعل من هذا الآخر يثبت هويته معي** "[1]، ولذلك فالمهمة الآن تتعلق بتعلم كيفية العيش هنا أي العيش على كوكب الأرض، فوجودنا عليه يقتضي ضرورة التعلم من أجل الحياة والمشاركة والتواصل والتعاون، فهي كلها أمور لا نستطيع تعلمها على المستوى الفردي وداخل الثقافة الفردية وإنما هي اشياء تحتاج إلى النقل نحو مستوى أكثر اشتراكية، أي أن نتعلم التعاون والالتقاء باعتبارنا بشرا ينتمون إلى كوكب الأرض، وهذا ما يجسد ويضفي الطابع الكوكبي على الانسان، اذ باعتباره ينتمي إلى الارض كوطن فهو يعيش ويتشارك ويتواصل ويتعاون مع باقي الذوات الأخرى، الأمر الذي يضفي الكونية و العالمية عليه وعلى علاقاته التي تخضع لقيم سامية أبرزها:

- الضمير الانتروبولوجي: عبر الاعتراف بوحدتنا.
- الضمير البيئي: من خلال الاعتراف بالكائنات الحية الأخرى ومشاركتها الحياة على سطح محيط حيوي واحد.
- الضمير المدني الأرضي: عبر تحمل المسؤولية تجاه أطفال الأرض.
- الضمير الروحي: من خلال ممارسة التفكير والنقد الذاتي والبين ذاتي والتفاهم المتبادل[2] .

إن ادغار موران يؤكد على أن الكائنات البشرية تشترك جميعا مع كل تنوعاتها الثقافية وابتداءا من العهد الكوكبي في المصير الواحد، وهذا معناه أن البشر ومهما بلغت درجة اختلافهم وتنوعهم فتأصلهم الأول وانطلاقهم واحد، وكذلك الأمر بالنسبة إلى مصيرهم، ولذلك فمن الضروري مد جسور التواصل بينهم وتجاوز كل ما من شأنه تغذية الصراع والنزاع، فنحن نمتلك هوية واحدة إذ ننحدر من جذع واحد ومن رحم واحد وهو الأرض[3]، ولذلك فما علينا إلا أن نتحد من أجل إصلاح هذه الأرض وصلاح علاقاتنا أي صلاحنا

[1] الخويلدي زهير: تعقد الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص1423.

[2] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص119،120.

[3] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟ المصدر السابق، ص139.

نحن، فالعلاقة بين الأنا والنحن لابد أن تتجاوز القطع والفصل وتنتقل إلى الربط والتواصل في سياق بوتقة واحدة قوامها الإرتداد والعود بينهما،فالأنا جزء من النحن، والنحن جزء من الأنا يقول موران:" **فالعيش هو حركة دائمة ننتقل داخلها من الأنا إلى النحن، ومن النحن إلى الأنا، في إتجاه أقصى الحالات التي يمكن فيها للأنا أن تضحي بنفسها في سبيل النحن، وفي سبيل الدفاع عن ذويها،وعن وطنها، وآرائها السياسية وديانتها"**[1].

إن تأسيسنا للهوية الواحدة الكوكبية على وطننا الأرضي يكون من خلال دمج الهويات المحلية و الهوية الأرضية العالمية، وذلك عبر إثراء التضامن ونبذ العداوة خصوصا مع التراث، وفي ذلك عود إلى الثلاثية الزمنية إذ يتعين علينا ان نهيئ لمستقبل هوياتي كوكبي، وذلك عبر العودة إلى التراث الماضي واستحضار ما يفيد منه فحسب وقراءته قراءة اعتبارية استلهامية، الأمر الذي يساعد على فهم الوقت الراهن والتمكن من مجابهة مشكلات الحاضر الاختزالية التمركزية، وهو ما سيمكن من الانتقال إلى المستقبل كأفق قادم وهذه هي حياة الإنسان، فهي الحركة الدائمة المرتبطة بين الماضي وما فيه من معاني وقيم متعالية، والحاضر وما ينطوي عليه من مشكلات معقدة يمكن حلها من الارتقاء إلى المستقبل، ولذلك فالقيام بهذا الفهم وعيش هذه الحياة بمهامها لا يقتضي منا السعي الفردي، وانما يتطلب منا التحالف،والتعارف، والمشاركة، ولذلك فعلينا نشر ثقافة التواصل مع الآخرين عوض اشعارهم بقوتنا في مقابل ضعفهم، فالحكمة تقتضي أن يكمّل بعضنا الآخر وهذا ما يتحقق عبر التعايش الحكيم Symbiosophy.[2]

إن الوعي الكوكبي لابد أن يرسخ في الذوات الإنسانية، إذ عليها أن تدرك أن التبادل والتواصل المشترك هو ضروري ولازم بين الجميع، لهذا يجب الحفاظ على تعددنا في سياق وحدة أساسية، وبالتالي فالهوية الإثنية والقومية و الحضارية، أي الهوية الأرضية لابد أن تنطوي تحت لواء هوية كوكبية شاملة للجميع رغم تعدد وتنوع خصوصياتهم، ولذلك فالإنسانية جمعاء على مستوى هذا الكوكب منخرطون في مهمة جوهرية هي مهمة الحياة ومقاومة الموت، وهي المهمة التي على التربية كما سنرى في قادم الأجزاء القيام بها وهي مهمة تطمح لبقاء الجنس البشري عبر نقل الأرض والنوع البشري إلى مصاف إنسانية حقيقية أصيلة[3].

[1] موران ادغار: التفكير الشامل، المصدر السابق، ص29.

[2] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص122،121.

[3] المصدر نفسه، ص123.

ولا يتسنى لنا في النهاية إلا القول أن الهوية الإنسانية الكوكبية عند ادغار موران هي الهوية التي تقوم على ضم ونقل الهويات الفردية المتنوعة عبر إثراء اختلافها إلى مستوى أكثر وحدة وعالمية، يظهر فيه تميزها ويتجلى فيه تنوعها وهو المستوى الذي تلتقي فيه باقي الهويات الأخرى المقابلة لها، ضمن جو تلاقحي واحد ينطوي على تأثر وتاثير وتلاقي وهذا ما ستساهم التربية في تجسيده كما سنرى في باقي الاجزاء، إذ لابد من تحسين العلاقة الثنائية الإنسانية بين الأنا والنحن، عبر تجسيد الشرط الإنساني، والتضامن، والتسامح، والتواصل والتعاطف، والفهم السليم الذي يساهم في النقل الجيد لمستقبل مشرق لا محالة، يقول موران: " **إن الإنسانية واحدة ومتعددة معا، وإن ثراءها في تنوع الثقافات، لكن يمكننا وينبغي لنا أن نصل الأناسي بعضهم ببعض في الهوية الكوكبية الواحدة، فمتى صرنا حقا مواطنين نتقاسم ثقافة واحدة بمئات الورود صرنا منتبهين ومحترمين للمواريث الثقافية**".[1]

[1] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟ المصدر السابق، ص105.

المبحث الثاني: التربية رهان لتحقيق الهوية الكوكبية

لقد تكرست الحياة والجهود الفكرية المورانية على الدوام نحو ايجاد حلول لمختلف المشكلات التي غرقت فيها الإنسانية، والتي أخذت تسير نحو تهديد وجودها والعصف بحضارتها، وهو الأمر الذي دفعه إلى الانشغال على مشروعه التعقيدي، وابستيمولوجيته الرامية إلى اخراج الوضع الانساني من حالات الضياع التي انحدر اليها بفعل مشروع التبسيط القائم على الفصل واختزال النظر إلى الكائن البشري في بعد واحد فحسب مادي، لذا فقد انبنت الفلسفة المورانية على بعد بنائي قوامه تجسيد الاتحاد بين مختلف الجوانب التي تساهم في علاج الإنسانية، وذلك عبر تقديم معاني وتصورات جديدة لها تقوم على التعقيد والتوليف والنظر إلى العلاقات فيها بخطاب هوياتي جديد يقوم على التواصل والتفاعل والفهم السليم، وهو الأمر الذي سيؤدي لا محالة إلى مجتمع انساني عالمي يسوده السلام، ويطغى عليه التعايش وفق مصير واحد كوكبي.

وعلى هذا الأساس تقدم البراديغم التعقيدي في قالب شمولي يروم الاصلاح لواقع البشرية، وإحداث النقلة بالهويات الفردية المتنوعة، نحو هوية كوكبية شاملة، وهو الأمر الذي لابد له من حقل وسياق مناسب ويحتاج لآليات مساهمة في نقله من حقل التنظير إلى حقل التطبيق، وفي ذلك يعود موران إلى أهم منظومة مساهمة في انشاء وتكوين الأفراد منذ بدايات حياتهم ألا وهي" المدرسة "، بما توفره من جو تربوي، وتعليم ضروري، يلعب دور أساسي في غرس القيم الكافية، وتنميتها لديهم،كل ذلك في سياق السعي إلى اجتماع اخلاقي وكوكبة ايثيقية تعمل على مد الأفراد بالسلوكيات المناسبة، والضوابط الضرورية الكافية لتحقيق تعايش واحد، وتآلف مشترك يضمن السير نحو هوية انسانية واحدة. ففيما يتمثل مشروع الاصلاح الذي قدمه ادغار موران من أجل عيش هنيء سعيد؟ ما الدور التي تقدمه التربية؟ وكيف يتسنى لنا من خلال الاخلاق الكوكبية

الحديث على عيش مشترك؟ ثم هل بالإمكان الحديث على آفاق هوياتية شاملة، والوضع الانساني اليوم يعاني تأزم جديد خصوصا ما تعلق فيه بسعي الهوية العربية إلى الدخول لبوتقة العالمية؟

إن التربية هي الدعامة الأساسية التي ينبني عليها المجتمع الصالح،وذلك لأنها تعمل على مد الأفراد ومنذ مراحل تكوينهم الاولى بالعناصر الضرورية التي تمكنهم من مجابهة ما يقف في طريق سعيهم إلى بناء هويتهم، والاتحاد بالهويات الأخرى المقابلة لهم، من أجل صلاح المجتمع والحضارة الانسانية ككل، وهو الأمر الذي جعل موران يقوم بالمراهنة عليها من أجل اصلاح الوضع الانساني الذي عصفت به الحداثة، والعمل على نقل المجتمع والهوية الإنسانية التي طالها الضباب نحو حال جديد أكثر وضوح، يضعها ضمن السياق العالمي الكوكبي، ولهذا فقد قدم كتابه الشهير "تربية المستقبل المعارف السبع ضرورية لتربية المستقبل" إلى جانب كتاب" تعليم الحياة بيان لتغيير التربية" وذلك من أجل الاستشراف والنحو تجاه ما سيكون في الزمن القادم، أي المهام التي لابد ان تجسدها التربية وتعمل على ترسيخها في ذوات الافراد من أجل التأسيس لتعاليم وقيم انسانية متجددة تتلاءم مع وضع مغاير هو الوضع والسياق الكوني الشمولي، الذي يروم اصلاح العلاقة الثنائية القائمة بين الذات والاخر،كل ذلك من خلال المناشدة بالاعتراف،والتعاطف، والتواصل، تحت لواء التسامح والتقبل.

ولذلك فالتربية ليست جملة الضوابط والأوامر التي تستهدف وتستثني الاهتمام بالسلوك الانساني فحسب والاقتصار عليه من بعد وجانب واحد، وانما هي عمليه الترقية ومنظومة الاصلاح التي تروم احداث التغيير على المستوى الفردي والاجتماعي على حد سواء، وتقصد التغيير على الصعيد الحضاري ككل، كل ذلك من خلال اعادة الاعتبار لمعنى الانسان وفهم الشرط الانساني الهووي الخاص به، باعتباره شرط يعود إلى طابعه المعقد.ولذا فالبراديغم التعقيدي حاضر على الدوام في فلسفة ادغار موران، خصوصا وانه براديغم اصلاحي ينبني على تصور مركب لمختلف جوانب الحياة الحالية والمستقبلية، ولما كانت التربية أحد دعامات هذه الحياة فهي الاخرى ستصطبغ بالتعقيد.

ان ادغار موران استعان بالتربية نظرا لما تفشى في المجتمع من مظاهر سوء الفهم، وعمى العلم والذكاء، إلى جانب اختزال كل المعارف والسلوكات في عناصر جزئيه منفصلة، وما لذلك من انعكاس على حالة الانسان وعلاقته بنفسه أولا، ثم بعالمه وما فيه من كائنات خصوصا الإنسانية منها، ولذا فالتربية هنا ضرورية، والحاجة اليها مستعجلة، من أجل مجابهة المشكلات، عبر وضع سياسات إصلاحية تعليمية أكثر مواءمة مع استشراف المستقبل.

ولهذا فموران يعمد إلى التعويل على التربية من أجل السمو بالحضارة الإنسانية نحو مصاف راقية، وهو لا يحصرها في مؤسسة المدرسة فحسب على الرغم من أنها تعد مركز التعليم والقاعدة الضرورية للتربية، بل على العكس امتازت نظرته بالشمولية اذ وسمها بطابع التركيب و وضعها في سياق مشروعه التعقيدي، وذلك عبر ايلاء مهامها ومسؤوليه نشرها وترسيخها بين الافراد على عاتق مختلف المؤسسات الثقافية، والسياسية، والأخلاقية، أي مؤسسات المجتمع ككل. فما هي المهام التربوية التي قدمها موران من أجل مستقبل مشرق للهوية الانسانية وكيف يرتحل التعليم عنده هو من الشرط الانساني إلى الفهم ثم المواطنة العالمية؟

1- التعليم رهان التربية: تعاني التربية اليوم من وضع متأزم وذلك لكونها حتما متصلة بما خلفته الحداثة من أوضاع، لذا فتأزمها من تأزم الحداثة، اذ أصبحت المعرفة العلمية متشضيه تعاني الانشطار والسقم، وذلك نتيجة أسلوب الاختزال الذي حصرها في أجزاء منقسمة منفصلة عن بعضها البعض، الأمر الذي جعلها تنتقل من مسعى خدمة الانسان وتلبية متطلباته، وبالتالي النهوض به وبعلمه نحو مسار معاكس كشف عن معارف جديدة تشيئ هذا الكائن وتعصف بوجوده وكينونته. ولذلك فالمأمول الآن يتعلق بتجاوز هذه النظرة الكلاسيكية، عبر تسليح التربية بسلاح الربط والتعقيد بدءا بربط ووصل مناهجها التي عانت من الانشطار والانفصال المعرفي يقول موران:" **ان التعليم الذي يبدأ من تخصصات منفصلة عن بعضها البعض لا يوفر سبلا لمعالجة المشاكل الكبرى... وعليه يفترض أن يحل محل هذا النمط التعليمي نظام تعليمي جديد يقوم على تخصصات متصلة فيما بينها، ويختلف اختلافا جذريا عن التعليم الحالي، وسيعزز هذا النظام الجديد قدره العقل على التفكير في المشاكل الفردية والجماعية مع كل ما تتسم به من تركيب**".[1]

ولذا فالنظام التربوي الجديد الذي يتوسم فيه موران الاصلاح انما يتأسس على التركيب بين مختلف المعارف والمعلومات مهما بلغت درجه تناقضها، وذلك من أجل مد الإنسانية بآليات مواجهة مشكلاتها خصوصا المعرفية منها، والارتقاء بالتالي إلى مستوى أكثر علو يتعلق ببلوغ مجتمع مستقبلي خالي من الأزمات وعاج بالانتصارات، اذ سيمكن التعليم المركب الجديد عبر المستويات التدريسية الثلاثة من ترسيخ مواد أساسيه شخصها موران في:

- معرفه المعرفة: عبر ازالة اللبس وسوء الفهم الذي طالها وجعل المعرفة أكثر ملائمة.[2]

[1] موران ادغار: السبيل لأجل مستقبل البشرية، تر: بشير البعزاوي، منشورات الجمل، ط1، بيروت، لبنان، 2019م، ص214.
[2] المصدر نفسه، ص216.

- معرفه الانسان: من خلال إدراك الجانب التركيبي والثالوث المكون للإنسان (فرد، مجتمع نوع).[1]
- معرفه العصر الكوكبي: من خلال ترسيخ فكرة الانتقال من غزو العالم نحو الكونية.
- الفهم البشري: عبر التركيز على تعليم فهم الغير من خلال احلال ثقافة التفاهم بين الاشخاص والشعوب.
- مواجهه اللايقينيات: مهما كان نوعها فردي اجتماعي او تاريخي.
- الايثيقا التثليثية: تتعلق بنقل الاخلاق من مستوى الفرد الخاصة بشرفه، إلى أخلاق الجماعة ومساعدتها ثم أخلاق النوع البشري.[2]

وعلى هذا الاساس فالتربية الحقيقية تنطوي على ازاله اللبس عن المعرفة الإنسانية عبر ضم أجزائها واخضاعها للتركيب البنّاء، وجعل التعليم أهم سلاح يواجه الاختزال ويؤصّل للمعرفة الحقة التي ترسخ الوعي السليم، والذي هو وعي بالبعد الانساني والتكوكب الهووي، ولذا فموران من خلال كتاب تربية المستقبل يضع جملة من المهام للتعليم ولعل أهم ما يرتبط منها بالهوية يتمثل في:

1-1 تعليم الشرط الانساني والهوية الأرضية: لقد خصص موران فصلين من كتاب تربية المستقبل من أجل تحديد مهمة التربية اللازمة والهادفة إلى تحقيق أنسنه الهوية ونقلها إلى مصاف عالمية، فالفصل الثالث خصصه لتعليم الشرط الانساني ذلك أن الإنسانية حسب رأيه ومن خلال دخولها مرحلة العصر الكوكبي أخذت تسير نحو مغامرة واحدة تتعلق بالاعتراف والمشاركة بين مختلف الذوات، أي تنميه ثقافة التواصل والانفتاح على الآخر مهما بلغت درجة التنوع والتمايز بيني وبينه، ولذا فمهمة التربية الأولى تتعلق بتعلم الشرط الانساني اذ يقول:" **من المفروض أن تشتمل التربية على تعليم أولي وكوني يختص بالشرط الإنساني**".[3]

ان تعلم هذا الشرط حسب موران يتعلق بتحديد وضع الانسان أو" الكائن البشري" كما يصطلح، في الكون، أي تحقيق التقاء الانسان بكونه وموضعته فيه، وهو الأمر الذي سبق وأن أشرنا اليه من قبل عندما نوّهنا إلى فكرة التأصل الكوني عند موران، فالإنسان ومن خلال النظرة الجديدة والتصور التركيبي، لم يعد ينظر

[1] المصدر نفسه، ص220.

[2] موران ادغار: السبيل لأجل مستقبل البشرية، المصدر السابق، ص222.

[3] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص45.

اليه باعتباره أجزاء مبعثرة وانما عبر الرؤية التوليفية، علينا لم الشتات والنظر اليه كوحدة أي موضعته داخل العالم، فهذا وحده ما سيمكّن من النظر اليه كبناء كلي مركب منطوي على الوحدة والتنوع، ولذا على تربية المستقبل أن تتجاوز البعثرة التي شهدتها ولا تزال تشهدها العلوم اليوم،والتي عرقلت عمليه ادراك التعقيد الانساني اذ لابد من توحيدها حتى يتم بسهولة القاء ضوء جديد على وضع الكائن البشري داخل الكون[1].

وبناء على هذا الامر فالدور الذي يتعين على التربية القيام به بالنسبة للشرط الانساني هو توضيح كيفية تجلي الأنسنة، وذلك من خلال الاتحاد الحاصل بين الجانب الأول وهو الجانب الحيواني، ثم الجانب الآخر الإنساني، فهما متحدان وباتحادهما يتجلى شرط الوجود للإنسانية، والمقصود من ذلك ان الأنسنة كما أشرنا اليها في الفصل السابق عرفت محطات ارتقائية عديدة انطلقت من ملايين السنين كمغامرة، باستهلالها من طرف الانسان البدائي، مرورا بالمروض والحاذق، ووصولا إلى تجلي اللغة والثقافة، هذا ناهيك عن تطور التوظيف العضوي للتوائم الجسدية،مع تشكل الدماغ، وما له من مهام متكاملة وأجزاء ساعد على تطورها الاستخدام العقلي، وهذا ما بينته الأنثروبولوجيا التي أجلت مسار الأسنة ذو الطابع الاجتماعي المعقد، من خلال عوامل عديده تفضي في النهاية إلى الانسان العاقل، ولذلك فالترابط موجود وضروري بين المجال الحيوي الطبيعي والمجال المعنوي الثقافي[2] .

ولذا فتجلي الإنسانية هو مهمة تربوية، اذ لابد من ايضاح الكيفية التي تشكلت بها الإنسانية والموضعة التي تتخذها في سياق تذاوت الذوات، أي في سياق جعلها جزء من الكون وجعل الكون جزء منها، وهذا هو الشرط الانساني يقول موران: " **ومثلما الشأن بالنسبة لنقطة ما في الهولوغرام إننا نحمل في قلب خصوصيتنا ليس فقط مجموع البشرية وكل الحياة، ولكن أيضا مجموع الكون، بما في ذلك لغزه الثاوي في قلب الطبيعة البشرية**". [3]

ولعل أهم ما يجب على التربية التركيز عليه في هذا الشرط هو ترسيخ فكرة وحدة التنوع البشري، وهو الأمر الذي توسعنا فيه من قبل، سواء على مستوى الانسان الواحد أو على مستوى الإنسانية ككل، ذلك من خلال التعبير على أن الإنسانية مثل ما تنطوي على الوحدة والاجتماع بقدر ما يكون الاجتماع فيها

[1] المصدر نفسه، ص45،46.

[2] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص48.

[3] المصدر نفسه، ص49.

مشتمل على الاختلاف والتنوع، والدليل أن الانسان كبناء هو كيان واحد كلي ينظر اليه في صورة شاملة، ولكن مع ذلك هو كائن متعدد الجوانب يتحد فيه الجانب البيولوجي، بالسيكولوجي، بالسوسيولوجي... والدليل أن له أوجه عديدة: فهو العاقل وبإمكانه ان يكون المجنون، واللاعب، والصانع... ولذا فعلى التربية إبراز هذه الوحدة والتنوع في مجالات عديدة:

- المجال الفردي: أي ابراز الوحدة والتنوع ضمن كل فرد، بما فيه من خصائص دماغية، ذهنية، نفسية، وجدانية، وعقلية، فهي متنوعة ومتآلفة متحد، ضمن ذات واحدة متفردة.[1]
- المجال الاجتماعي: من خلال لفت الانتباه إلى التنوع القائم في التنظيم الاجتماعي، خصوصا من حيث اختلاف اللغات والألسن، ولكن مع ذلك الاتحاد ضمن هيكل علائقي اجتماعي واحد[2] .
- التنوع الثقافي وتعدد الافراد: فعلى التربية ابراز البعد الثقافي سواء على المستوى الخاص أو على المستوى العام، أي في سياق الثقافة الواحدة الخاصة التي تحافظ على أصالة ومميزات الهوية الفردية أو الاجتماعية الواحدة، وهذا ما يعبر على الوحدة في سياق الانفتاح والتنوع، في ظل التلاقي مع باقي الثقافات العالمية الاخرى[3] .
- العقل – الجنون[4]: اذ ان مهمة التربية هنا تتعلق بتفعيل الرؤية التركيبية التعقيدية للإنسان، بنقله من التصور العاقل إلى تصورات أخرى منها الجنون او الهذيان، الأمر الذي ينمي الرؤية الواحدة والمتعددة للإنسان في ذات الوقت، ولعل ذلك يتجلى بشكل خاص في اثراء الجانب الروحي المعنوي له، إضافة إلى الجانب المادي البيولوجي.
- الانسان المركب: ويتعلق الأمر هنا بفحص ودراسة التعقيد الإنساني، اذ على التربية ابراز وتشخيص مصير الانسان كنوع بشري، وكفرد، وكجزء من المجتمع والتاريخ، فالتربية عليها أن تدفعنا نحو المعرفة والوعي بالشوط الانساني المشترك بين كل البشر، وفي نفس الوقت تنوع الافراد والثقافات والشعوب وأخيرا كما يؤكد موران على التربية أن تدفع نحو تجذرنا كمواطني هذه الارض[5].

[1] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص 52.
[2] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص 52.
[3] المصدر نفسه، ص53.
[4] الصدر نفسه، ص54.
[5] المصدر نفسه ص56.

أما في الفصل الرابع من كتاب" تربية المستقبل" فان موران يشير فيه إلى تعليم آخر على التربية القيام به وهو المتعلق بالهوية الأرضية، أي تعليم الهوية الواحدة المشتركة، فالناس ومنذ تبعات الحداثة وهم يتشاركون نفس المصير الكوكبي، اذ يعايشون نفس الأزمات والمشاكل، ولذلك فالآن على التربية أن تنمي الوعي بأن الهوية واحدة والارض واحدة، أي أنهم على الرغم من اختلافاتهم الفردية، والاجتماعية، والثقافية، إلا أن تشكلهم وأصلهم الهوياتي واحد،ولذا فمهمة التربية هنا تتعلق بتعليم كيفية العيش، أي كيفية تقاسم الأشياء بيننا وبين الآخرين، كيف نتواصل معهم ونتحد بهم، كل ذلك باعتبارنا كما يرى موران أناسا ينتمون لكوكب الارض فنحن كائنات أرضية،[1] ولا يجب علينا الحجز على ثقافتنا الخاصة، والانغلاق على ذاتنا،والسعي إلى تطويع الطبيعة، بل علينا التعايش وتنمية الوعي داخلنا أي الوعي الأنثروبولوجي، الايكولوجي، المدني، الأرضي، الحوار*

ان المهمة التربوية هنا تتعلق بتحقيق الترابط بين مختلف الأفراد والذوات على مستوى وطن واحد هو الوطن الأم، اذ لابد من دمج الأسرة والعائلة الواحدة ضمن الدولة، والأمة، والحضارة ككل، ولذلك فالكون هو الارض الأم التي تحوي الجميع دون أي مركزية أو تعالي، ومن خلال الاعتراف بالاختلاف والتنوع دون أي طمس أو معادات، ولذا فعلى التربية تنمية روح الاخاء والتضامن، و غرس ثقافة الاعتراف بالآخر، والسعي إلى التواصل معه هو مهما بلغت درجة التمايز والمغايرة عنه، اذ لابد من تفاعل تبادلي بين الفرد والفرد الآخر وحتى بين الجماعة او الثقافة، و الجماعة والثقافة الأخرى، وهذا ما حتمه علينا العصر الكوكبي، اذا اقتضى منا كما يرى موران أن نعي انسانيتنا وتلك المهمة ستقوم بها التربية عبر تنميه الأخلاق الخاصة بالفهم الكوكبي[2].

1-2 تعليم الفهم (أخلقة الفهم): لقد انفتح الوضع الانساني نتيجة العصر الكوكبي على حالة من الضياع والضبابية، اذ طالت الازمة أنطولوجيته، وأصبح الشتات ينخر بذاته وبعلاقاته مع غيره، إلى حد أصبح وجوده في حد ذاته يمثل مفارقة عظمى على سطح كوكب الأرض، فهو من ناحية ناجح حقق وبلغ مراتب علمية مشرفة تمكن من ازالة الفوارق في سياق علاقته مع غيره وتواصله معهم، خصوصا نتيجة نجاح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات السلكية واللاسلكية، اذ اصبح في حاجة إلى التلاقي مع الآخرين وتبادل الفهم الكافي

[1] المصدر نفسه، ص69.

* أشرنا الى هذا النوع من الوعي من قبل تحت تسمية الضمير، وهو العنصر الذي تم التعرض اليه في سياق الحديث عن الهوية والوعي الأرضيين، وذلك من خلال تقسيم الوعي الى أربع أنواع: أنثروبولوجي، بيئي، مدني، روحي. العودة الى الصفحة 33.

[2] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص72.

معهم أي فهم ما يحدث، غير أن الامر وفي نفس الوقت خلق حالة من سوء وترد الفهم، بل أن سوء الفهم هو الظاهرة الاكثر شيوعا لحد الآن كما يؤكد ادغار موران[1] .

إن الوعي المشار اليه هنا ليس الفهم العادي المتعلق بعملية الاستيعاب الخاصة بدرس او مادة معينة، وانما الفهم المنشود هو ذلك المتعلق بالفهم الانساني الذي يختص بالذات، والوعي الفردي الذي ينطلق من هيكلته وبناءاته الداخلية الخاصة ويرتقي إلى فهم الذوات الاخرى التي تقابله، فهذه هي المشكلة التي تفشت الآن وخلفتها الحداثة اذ تزامن فيها تنامي الوعي بالتضامن بين الذوات على سطح الكوكب، في الوقت عينه الذي تصاعد فيه نمو اللاتفاهم وهو الأمر الذي يندد بضرورة الاستعانة بالتربية،من أجل ايجاد حل للخروج من هذا المأزق يقول موران: "بالتأكيد تم التقدم بأشكال كبيرة ومتنوعة في مجال الفهم، لكن وبالموازاة مع ذلك يبدو أن اللافهم لا زال يعرف تقدما كبيرا".[2]

ان المهمة المنوطة بالتربية عند ادغار موران لا تتعلق بالتعليم فحسب وإفهام فحوى مادة تعليمية معينة فهذا أمر محتوم، بل إلى جانب ذلك وهو الأمر الجوهري والهدف السامي للتربية فهو المتعلق بتحقيق الفهم الفعال، أي فهم الذوات واختراق التصورات الدوغمائية المغلقة حول الافضلية والمركزية المنوطة بالاوروبي والفرد الغربي فحسب، اذ على التربية تحطيم هذا الفهم الخاص واحلال محله فهم جديد يتأسس على ايثيقا تواصلية حوارية، دعامتها التعاطف والتسامح والوعي الايجابي بوحدة المصير، لذا فمهمة التربية تتعلق بإيصال رسالة روحية جوهرها تعليم الفهم بين الناس. [3]ولذلك فالفهم الحالي يعاني من أزمة عدم فهمه والأمر هنا لا يكون في مسار وعلى صعيد واحد فحسب، وانما هي أزمة أخذت شكلين مزدوجين:

على الصعيد الاول وهو الصعيد الكوكبي فهو فهم بين الناس أي كافة الأجناس البشرية من مختلف الثقافات، وذلك في سياق تنامي اللقاءات والعلاقات بين الأفراد والذوات المتباعدة.

أما على المستوى الثاني فهو الخاص بالفهم الفردي المتعلق بفئة وطائفة معينة تنشأ بينها علاقات خاصة، بإمكانها الانفتاح على اللاتفاهم، ذلك لأن القرب بإمكانه تحقيق الفهم وبإمكانه كذلك عرقلته،

[1] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص146.

[2] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص87.

[3] المصدر نفسه، ص87.

ولذلك فهناك التقاء بين حكمة " كلما كنا أقرب كلما فهمنا بعضنا البعض أكثر"، والحكمة الثانية المقبولة أيضا " كلما كنا أقرب كلما قل فهمنا للآخر أكثر".[1]

1-2-1**نوعا الفهم**: لقد عمد موران إلى تحديد مستويين للفهم وذلك من أجل ازالة اللّبس حول طبيعة الفهم المنشود كما سبق وأن أشرنا، وهو في سياق ذلك سيحدد الانتقال من الجانب المادي الواقعي إلى ضرورة اضافة الجانب الثاني الانساني وهو الجانب المعنوي، وكل ذلك في سياق اعادة الاعتبار والأنسنة للكائن البشري اذ أن الفهم يتخذ صورتين:

أ- فهم عقلي (موضوعي): يرتبط هذا النوع الاول من الفهم بالمجال المادي الملموس الخاضع للتعامل الحسي وعلى وجه الخصوص المجال العلمي، وبإمكانه الارتباط كذلك بأمر مجرد، المهم فيه فقط هو ضرورة الاستعانة بالتفسير كأداة محققة للفهم؛ فان نقوم بفهم مادة الماء أو تجربة معينة يستلزم الأمر منا ضرورة تفسيرها، ولذلك فالفهم هنا يمثل رؤية عقلية تحيلنا إلى ادراك النص، والسياق، والكل، والمتعدد، والهوية[2] .

إن التفسير يقتضي العودة إلى الموضوع المراد معرفته واضفاء الطابع المادي عليه، وبالتالي الاستعانة بمختلف الآليات الموضوعية المادية المساعدة في فهمه، ولذلك فهو ذو قيمة كبيرة، اذ يمكّن من إضفاء طابع الوضوح على الأشياء والمواضيع، غير أنه متعذر ولا يساهم في تحقيق الوضوح والفهم على الصعيد الإنساني، وذلك لأن الانسان لا ينطوي على الجسم فحسب وهو الممكن تفسيره، وانما الكائن الانساني روحي، وجداني، عاطفي، يحتاج إلى فهم من نوع خاص لا يقدر عليه التفسير، فالتفسير يكون كافيا من أجل فهم العقل أو الموضوع المتعلق بأشياء مجردة أو مادية، لكنه غير كافي عندما يتعلق الأمر بالفهم الانساني[3] .

ب- فهم انساني (بين ــ ذاتي): يتضمن هذا النوع من الفهم عند ادغار موران شرط جوهري وهو تواجد الذات والموضوع، فهو فهم يحيل إلى معرفة الذات للذات الأخرى في سياق التفاعل والتواصل والتطابق، فالأخر هو أنا وأنا قد أصبح غيرا، ولذلك فهذا النوع من الفهم ينقل العملية إلى معرفة الغير والقيام

[1] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص147.

[2] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص88.

[3] المصدر نفسه، ص88.

بإسقاطات عليها، لذلك اعتبره مسألة بين ذاتية أي عملية اجتماعية تشترط استحضار الانفتاح والتعاطف والأريحية[1].

وفي هذا الأمر يضرب لنا ادغار موران مثالا لتوضيح طبيعة هذا الفهم الإنساني: فاذا ما وقعت انظارنا على طفل صغير يبكي، فإن عملية فهمة لا ترتبط بقياس كيفية بكائه، أو درجة ملوحة دموعه، وإنما فهمه يكون عبر معايشة آلامه وذلك من خلال استحضار آلامي أنا ومعايشة طفولتي عبره هو، أي متقمصا حاله فالتقمص ضروري لتعيش الأنا كآخر والآخر كأنا[2].

ولذلك فمهمة التربية هنا هي التركيز على هذا النوع الثاني من الفهم، والقيام باستحداثه عبر اصلاح العلاقات الإنسانية وإحلال التذاوت والتواصل، والتعاطف، والتضامن والتآخي محل الصراع والنزاع، فالاختلاف بين الذوات تنوع يقتضي الالتقاء من أجل عيش سليم داخل رحم الوطن ــ الأرض.

1-2-2 عوائق الفهم: لقد حدد موران للفهم جملة من العراقيل تحول دون حدوثه، وهي ليست واحدة الا انها متعددة، منها ما يتعلق بالجانب الخارجي ومنها بالمقابل العراقيل الداخلية:

أ- **العراقيل الخارجية**: يتعلق هذا النوع من العوائق بتعذر حدوث الفهم الموضوعي والمنطقي، اذ أن هناك أمور تحدث تحول دون أن نتمكن من فهم الآخر أي كلامه وقصديته وأفكاره، وبالتالي عدم فهم رؤيته للعالم، وهذه العوائق هي[3] :

- ✓ الشواش وكل ما من شأنه تشتيت نقل المعلومات السليمة، الأمر الذي يهيئ سوء الفهم.
- ✓ الدلالات المتعددة، أي المعاني التي نصدرها بمعنى معين وتفهم بمعنى آخر، تماما ككلمة الثقافة، اذ تعني التعلم والاكتساب، وتحمل معنى العادات والقيم، كما بإمكانها الارتباط بإفرازات الأدب والفن والفلسفة.
- ✓ الجهل بعادات وشعائر الآخرين، وطقوسهم خاصة المتعلقة بالمجاملة التي تفتح الباب لإهانتهم أو التقليل من شأنهم.
- ✓ انتفاء فهم القيم الإلزامية المتواجدة داخل ثقافة ما على سبيل احترام المسنين، الاعتقاد الديني، الطاعة اللامشروطة من الأطفال.

---

[1] المصدر نفسه، ص88.

[2] موران ادغار: سبعة مبادئ من علفم التعقيد، المصدر السابق، ص148،149.

[3] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص89.

✓ انتفاء فهم الالزام الأخلاقي في ثقافة معينة، مثل الانتقام في المجتمعات القبلية، والقانون في المجتمعات المتقدمة.

✓ استحالة فهم أفكار أو حجج وجهة نظر كونية ما من داخل وجهة نظرنا الخاصة، مثل صعوبة فهم فلسفة ما من داخل فلسفة أخرى[1].

ب–العوائق الداخلية: هذه العقبات تقف كحجر عثرة أمام نوعي الفهم سواء الموضوعي أو البين ذاتي، فهي الأخرى متعددة ولا تقتصر على اللامبالاة فحسب، وانما تتعلق بالتنمر الذي شهدته نزعة التمركز التي أعلت من شأنها الحداثة، والتي جعلت الكائن الانساني والفرد الغربي بشكل خاص ينصّب نفسه السيد والمركز الأساسي، وفي مقابل ذلك تهميش باقي الأفراد الآخرين بل الوصول إلى حد خلق النزاع والصراع معهم، اذ أضحوا معيقين له:

- التمركز حول الذات L'égocentrisme: يمثل هذا التمركز سوء الفهم الأول والمتعلق بالأنانية التي وقعت فيها الذات، والخداع الذي طالها عبر التبرير والتمجيد الذاتي وبالمقابل القاء واسقاط كل انواع الشرور على الغير والغريب المختلف عنها،[2] ولذلك فسوء الفهم هنا انما ينم عن تعذر فهم ذواتنا اذ لم نستطع رؤية أخطائنا و عيوبنا، وهو الأمر الذي نمّا النرجسية والتعالي فينا، وبذلك طفقنا إلى انكار الآخر والتعالي عليه ورفضه، فهو يعكس عيوبنا ونقاط ضعفنا ولذا لا يجب علينا الاعتراف به، وهو الأمر الذي تنامى مع الفردانية التي أفرزتها الحداثة وما قادت اليه من انغلاق حول الهوية، يقول موران: " **تؤدي نزعة التمركز حول الذات إلى الكذب على الذات، وبالتالي إلى خداعها وهذا شيء ناجم عن اللجوء إلى التبرير الذاتي وإلى تزكية الذات، والميل نحو جعل الغير مصدر كل الشرور، سواء كان هذا الغير عبارة عن غريب او قريب لنا**".[3]

- التمركز حول العرق L'éthnocentrisme/ التمركز حول المجتمع Sociocentrisme: يمثلان المستوى الخارجي العام الذي ينتقل من الفرد الواحد إلى الأفراد، أي من طمس ونبذ الآخر القريب نحو تنامي فوبيا الغرباء والعنصرية، أي نبذ الآخر الأجنبي عبر السعي إلى معاملته كما لو أنه ليس ببشر،[4] فالمجتمع الغربي

[1] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، 149،150.

[2] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص150.

[3] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص90.

[4] سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص152.

أساء استخدام العولمة وتوصل من خلالها عوض إلى تقريب المسافات وتقبل الذوات، توصل إلى نبذ الآخر المغاير والمختلف من حيث العرق، والدين، والثقافة، الأمر الذي جعل بعض المجتمعات والأمم تنصّب نفسها مركزا للكون وحاميا له وممتلكا لكل ما فيه، وفي سياق ذلك استبعاد من يخالفها واخراجه من كوكبة العالم الانساني، الأمر الذي خلق جو تشاحني عدائي أخذ يعصف بالهويات، يقول موران: **"تؤدي كل من نزعة التمركز حول العرق ونزعة التمركز حول المجتمع إلى انواع مختلفة من كره الأجانب، ومن النزعات العنصرية والتي يمكن أن تصل إلى حدود نزع صفة الانسان عن الأجنبي".**[1]

- الفكره الاختزالي La pensée réductionnisme: يتمثل في الفكر الذي يجعل من الاختزال وحصر الكل في أجزاء متناهية في التبسيط، وما لذلك من انعكاس على الجانب الاجتماعي والنظرة إلى الغير، اذ يجعل الاختزال فهم الغير متعذرا لأنه يحمل على حصر فهمهم في سمة واحدة فحسب، في حين الحقيقة تنمّ عن ادراك الجانب المتعدد المترابط الأبعاد[2].

ان الملاحظ للفترة الراهنة حسب موران يلمح طغيان ثقافة الاختزال ضمن العلاقات، وذلك عبر الميل إلى طمس الآخر ونبذه بناءا على اختزال مواقفه وخصائصه الإيجابية إزاء موقف واحد فقط سلبي، كأن نحكم على شخص معين بالإجرام فقط لأنه ارتكب جريمة واحدة، اذ في هذه الحالة يتم اختزال انسانيته في نزعته الإجرامية،[3] وهو الأمر الغير سليم، اذ لابد من النظر اليه ببعد أكثر تركيب من خلال إمعان النظر في باقي الصفات الإيجابية التي يتسم بها. ففهم الانسان لا يتأسس على الاختزال وانما ينبني على أنثروبولوجيا معقدة[4] تعترف بالأبعاد والجوانب المتعددة للكائن البشري الواحد، وبانفتاح الوحدة والتنوع بين الكائنات البشرية أجمع.

2-3 أخلقة الفهم: (**ايتيقا الفهم والتواصل**) بعد تحديد وضبط طبيعة اللافهم أو سوء الفهم الذي وقعت فيه الإنسانية والذي قادها إلى العجز عن تمثل حاضرها واستشراف مستقبلها، عبر الدخول في تمركزات وصراعات جعلت الذوات فيها تعاني التشضي والانحلال، من خلال العجز عن فهم الذات الواحدة لذاتها ولغيرها في نفس الوقت، وذلك بسبب تنامي ثقافات التعصب والعداء، الأمر الذي ساهم في تأزم الوضع الإنساني. وبالتالي يستدعي ضرورة التدخل من طرف التربية، وهو الأمر الذي يؤكد عليه موران في هذا

[1] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص91.

[2] موران ادغار: المنهج (الأخلاق)، تر: يوسف تيبس، ج6، أفريقيا الشرق، المغرب، 2021، ص118.

[3] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص92.

[4] موران ادغار: المنهج (الأخلاق)، المصدر السابق، ص119.

السياق، اذ أن مهمة التربية الآن تتعلق بتعليم الفهم، فعلينا أن نتعلم كيف نفهم، كيف نفهم ذواتنا والذوات الأخرى المغايرة والمقابلة لنا، فهذا وحده ما يمكننا من فهم كيفية العيش السليم الذي يحقق وحدتنا وبالتالي اجتماعنا ككل ضمن هوية انسانية واحدة تتسم بالتكوكب.

ولذا فإدغار موران يعمد إلى التعويل على التربية ويوكلها مهمة تعليم فهم انسانية الإنسانية خصوصا عندما ربطها برحاب المدرسة كما أشار إلى ذلك في كتاب "تعليم الحياة بيان لتغيير التربية" اذ نوه إلى أنه من الضروري أخلقت الفهم بين مختلف عناصر العملية التعليمية، خصوصا وأن التعليم يعاني من أزمه اختزالية عويصة، اذ يقول: **"نحن لسنا في حاجة إلى الفهم فحسب، بل لابد لنا ايضا من أن نعزز قبل كل شيئا أخلاقيات الفهم باعتبارها علاجا لأدواء التربية".** [1]

إن أخلقت الفهم تتطلب النظر إلى تصور انفتاحي حول علاقتنا بالآخرين، تصور قوامه نقلهم من خانة الغرباء وناحية الأعداء، إلى منطقة جديدة أساسها الصداقة والأخوة، فالاختلاف بيننا وبينهم موجود كائن ولكنه لا يذعن بالمركزية، وانما ينم على التنوع ضمن بوتقه واحدة هي بوتقة الهوية الكوكبية، وهذا هو المطلب الأساسي للتربية، اذ تسعى إلى احلال التفاعل والتلاقي بين الذوات وذلك من خلال إزالة الفهم الخاطئ الذي طغى من قبل، والقائم على الإدانة، وبالمقابل التأسيس لفهم جديد يتموضع على الحوار والتسامح والتواصل، يقول موران: " لو عرفنا كيف نفهم قبل أن ندين، لأصبحنا نسير في طريق أنسنه العلاقات الإنسانية". [2]

ويشير موران إلى أن أهم ما يساعد على تعزيز هذا الفهم يتمثل في:

- التفكير الجيد أو التفكير المعقد المنظومي *أي الطريقة التي نفكر بها وتمكننا من ضم شمل الأجزاء إلى كلها، أي فهم المركب وما لذلك من مساعدة على فهم شروط السلوك الانساني سواء الذاتية أو الموضوعية على سبيل الوهم والعُصاب[3].

[1] موران ادغار: تعليم الحياة، المصدر السابق، ص78.

[2] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص93.

* يفضل ادغار موران كلمة تفكير معقد على كلمة تفكير منظومي لأسباب متعلقة بالفهم الاختزالي لكلمة منظومة، مع أن الاستخدام الحاضر لهما يعتبرهما شيء واحد ووجهان لنفس العملة وهي التفكير الانتظاري الذي ينطلق من تفاعل أجزاء في سياق معين يتسم بالانفتاح، كل ذلك نحو مرامي تتسم بالكلية. (العودة الى كتاب موران سبعة مبادئ من علم التعقيد ص156).

[3] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، 156.

- الاستبطان: فهو ممارسة تمكن من العودة إلى الذات وفحص دواخلها من أجل الوقوف على نقاط ضعفها وبالتالي التمكن من فهم الآخرين كذلك باعتبارهم ذوات تحمل النقص أيضا، فهو نمط من التفكير النقدي الموجه نحو الذات والمساعد على تجاوز المركزية، يقول موران: " **عندما نعي بأننا جميعا ضعفاء غير معصومين، غير كفوئين، محتاجين، هذا الأمر هو الذي يجعلنا نسعى إلى الفهم والحوار**[1] .

إن تربية المستقبل عند ادغار موران عليها الوصول إلى ايقاظ الوعي الانساني عبر ترسيخ ثقافة التعقيد والبعد المركب للكائن البشري، سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي، وما لذلك من سير نحو العالمية، وذلك لا يكون الا من خلال مجموعة شروط تنطوي عليها ايثيقا الفهم ومن الواجب على التربية الاستعانة بها ضمن مختلف مؤسساتها، فقد حدد موران نوعين من الشروط منها الذاتية التي تتم على مستوى الذات الواحدة وهي أخلاقيات منها واليها، اذا على كل ذات التحلي بأخلاقيات معينة تسهل عملية تذاوتها مع الغير، وإلى جانبها نجد الشروط الاجتماعية التي ترتقي بعد الاصلاح والاستعداد الفردي إلى احلال الأخلاق الكوكبية ضمن سياق الجماعة، ومن بين هذه الشروط نجد:

- **الانفتاح الذاتي التعاطفي على الغير**: اذ يؤكد ادغار موران أننا كائنات بشرية وذوات نمتلك قلبا مفتوحا، ولكن للأسف هو محدد نحو صنف معين فحسب من القضايا والناس، في حين أنه يعمل على الانغلاق تجاه الصنف الآخر، فمع أننا نعيش على نفس الأرض ونتشارك نفس المصير إلا أننا نسقط في نزعة الأنانية وتسيطر علينا الغطرسة والنرجسية إلى حد الابتعاد عن الآخرين وتجنب التعاطف معهم، والدليل أن حدوث التقمص والتعاطف بالصدفة لنتيجة نفسية سيكولوجية في الافلام السينمائية مع الغير، لا تكون هي نفسها على أرض الواقع اذ ننظر اليهم بجمود ونعتبرهم غرباء ومتمردون،[2] ولذلك فالعلاقات الإنسانية تعاني من فراغ عاطفي وغياب لتبادل المشاعر الإيجابية في ظل تنامي مشاعر الطمس والحقد والعداء، وهذا ما يظهر ويتجسد خلال قراءتنا لرواية معينة أو مشاهدتنا لفيلم ما، اذ نتعاطف في اللحظة التي نعايش فيها الموقف من بعيده وتتملكنا مشاعر إنسانية، غير أن الأمر يتغير بمجرد قربنا من الأشخاص، يقول موران:" **نحن قادرون على فهم شخصيات بعيدة تماما عنا وتعيش في عوالم غريبة، أو فهم شخصيات غامضة وأحيانا اجرامية وشريرة... فنحن نتفهم آلام المظلومين ومحنة المتخلي عنهم ونفهم شخصية متشرد أو**

[1] المصدر نفسه، ص156.

[2] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص158.

منحرف مثل شخصية شارلو، ولكن عندما نعود إلى حياتنا اليومية نفقد القدرة على فهم الغير ونغمض أعيننا عمدا عن المتشرد ولا نعود إلا إلى الجانب الاجرامي لهذا الشخص الذي كنا نتفهم طابعه المعقد في المسرح وفي السينما، ومن ثم فنحن نبدّد في واقعنا اليومي التفهم الذي نختبره في الخيال".[1]

إن التربية وكمهمة ضرورية عليها العناية بالجانب التعاطفي، عبر ايقاظ الوعي به وتنميته في ذوات الأفراد،اذ لابد للإنسانية أن تتقدم إلى الاتحاد والتكوكب وذلك عبر احلال التفاهم بين الناس وتجسيد ثقافة التقبل والتعايش مع الآخر مهما بلغت درجة مغايرته لي، بل الانفعال لما يطاله و والتفاعل مع ما يصيبه ويحدث له، فالفهم عند موران هو تلك المعرفة التشاعرية، التعاطفية التي تقتضي الاسقاط والتماهي بين الأنا والآخر، أي معايشة مشاعر الآخر ومقاصده وغاياته،من خلال محاكاة نفسية تمكن من الاتحاد به واستيعاب ما يحصل له، ولذلك فالإسقاط خاص بالأنا عبر قصدها للآخر، أما التماهي فيكون من طرف الآخر عبر اتحاده معها وتذاوتهما في سياق بوتقة واحدة، ففي هذه الحلقة يصبح الأنا الاخر (الغير)،آخر الأنا (أي غير الذات).[2]

ولذا فأخلاق الفهم تستدعي التحلي بالمشاعر والعواطف الإيجابية التي تحقق الالتقاء الشاعري بين الذوات، من خلال ارتحال الأنا إلى الآخر والتماهي معه عبر معايشة نفس اللحظات، فنحن في حاجة إلى الشعور بالآخرين والتمكن من استيعاب أنهم كذلك لديهم حالات ومشاعر داخلية فيها السعادة والفرح، وتنطوي على الحزن والغضب كذلك، وهو الامر الذي يجعلنا عوض الميل إلى اهانتهم وادانتهم، نرتقي عبر الاسقاط إلى التماهي معهم وفهم معاناتهم. وفي هذه النقطة ينوه موران إلى أن التماهي لا يعني الذوبان التام، بل هو اتحاد مع الحفاظ على التنوع والاختلاف، فأن اتجه إلى الآخر مثل عملية القصد الهوسرلي وأعايش معه تجربة خاصة تجعلني أتعاطف مع ذاته وفي سياق التقائي وترابطي به أحافظ على خصوصياتي كذلك، وهذا هو جوهر الوحدة والتنوع يقول موران: **" أصير انت وأظل انا في آن".**[3]

[1] موران ادغار: السبيل لإصلاح مستقبل البشرية، المصدر السابق، ص392.

[2] موران ادغار: المنهج معرفة المعرفة (الأفكار)، المصدر السابق، ص215.

[3] المصدر نفسه، ص216.

وفي سياق ذلك يضرب لنا موران أمثله عديدة توضح فكرة التذاوت وقيمة الاسقاط والتماهي ودورهما الفعال في ايقاظ الوعي وتنمية التعاطف تجاه الغير، فالطفلة الصغيرة مثلا التي تلعب بدميتها، ستعايش الاسقاط عبر تقمص دور الأم للدمية، وفي نفس الوقت الدمية للرضيعة، مع بقائها طفلة تلعب بدميتها. فهي تعايش دور الأم والرضيعة والطفلة، وستتماهى في كل موقف الأمر الذي سيمكّنها من فهم مختلف الأدوار وقيمة الشخصيات المؤدية لها وخصوصا الأم.[1]

ولذا فمن الضروري فهم الآخرين والاعتراف بهم ومشاركة الحياة معهم عبر الانفتاح عليهم ومعايشة لحظاتهم ومواقفهم مهما بلغت درجة تمايزهم عنا، اذ من الضروري الاتحاد بهم والتماهي معهم دون انصهار تام بل بوسطية تتيح التواصل وتحفظ الأصالة والخصوصية، وهذا ما على التربية تنميته أثناء تعليمها الفهم الجيد للأفراد، يقول مروران:" **ان الاعتراف بالقيمة الإنسانية للآخر شرط قبلي لازم لكل فهم، وهذه الخصلة ضرورية في الحياة اليومية حيث تتجلى في أبسط مستوياتها من خلال الكياسة... إن كوكب الارض في حاجة إلى كل ما يعنيه الفهم المتبادل من معان**"[2].

- **التسامح**: إن التسامح عند ادغار موران لا يطلق للإشارة إلى اللامبالاة والريب العام تجاه الأفكار، بل يتطلب الايمان والقدرة على اتخاذ قرار معين في الوقت عينه الذي يتيح قبول حق الآخرين في التعبير عن أفكارهم وتصوراتهم واختياراتهم مهما بلغت درجة مغايرتها، فالتسامح إذا ينطوي على التلاؤم والقبول بالتعايش في ظل تحمل معاناة أفكار تحمل السلبية والضرر،[3] وقد حدد له موران أربع درجات:

- الدرجه الأولى: هي التي أعرب عنها فولتير من خلال التنويه إلى ضرورة احترام حق الغير في التعبير عن مقاصده، مهما بدت لنا تحمل نوع من الدناءة فالواجب ليس احترامها على الرغم من دناءتها، وانما الأمر يتعلق بتجنب فرض تصورنا الخاص لما هو دنيئ وأخذه كمبرر لمنع الغير من الكلام. [4]

- أما الدرجة الثانية فهي التي تتصل بالخيار الديمقراطي، على اعتبار أن الديمقراطية تعمل على تغذية الآراء المتنوعة والمتعارضة ولذلك أهمية التركيز على اتباع المبدأ الديمقراطي الذي يحث الجميع على احترام التعبير عن الافكار التي تعارض افكارنا[1] .

---

[1] المصدر نفسه، ص217.

[2] موران ادغار: تعليم الحياة، المصدر السابق، ص69،70،71.

[3] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص159.

[4] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص95.

- فيما يخص الدرجة الثالثة للتسامح فهي المتعلقة بتصور نيلز بور Niels bohr والذي ينبني على أن أي فكرة عميقة اذا وجدت فكرة أخرى تناقضها فهي تتسم بالعمق كذلك، وبالتالي فهناك لا محالة حقيقة متضمنة في الفكرة المعارضة لفكرتنا وما علينا الا التسامح معها[2].

- لترتبط الدرجة الأخيرة للتسامح عند ادغار موران بالوعي التام للإنسان بسيطرة الخرافات والايديولوجيات والأفكار والآلهة عليه، والتي تقود إلى طريق غير مطموح له، وبالتالي فالتسامح هنا يتقدم ولكن مع الأفكار فحسب لا مع الإهانات وأشكال الاعتداء أو القتل[3].

ليصل موران في النهاية من هذه الشروط إلى سياق كوكبي تجتمع فيه ثلاثية الفهم، والأخلاق، والثقافة، ويروم الربط بين الأخلاق الخاصة بالحوار والتواصل بين الافراد وفهم بعضهم البعض، وبين أخلاق العصر الكوكبي التي تنفتح على تقبل مختلف الثقافات ونقلها من الانغلاق والتقوقع القائم على التمركز، إلى الانفتاح والتعايش القائم على الحوار والاعتراف والتعاطف.

وما يجب الإشارة اليه فيما تعلق بأخلاق الفهم والشروط المنوطة بها، أنها لا تقتصر على هذه الثلاثية فحسب كما أشرنا في البداية، وانما موران يضيف لها شروط أخرى على غرار: الشرف، المسؤولية، مقاومة الهمجية، الحرية، الإخلاص، الصداقة والحب. لتأتي بعدها مباشرة وفي مسار انتقالي الشروط الاجتماعية والمتعلقة بأخلاق الجماعة التي تسير نحو نزعة انسانية كوكبية وهو الأمر الذي سيبرز من خلال العناصر القادمة.

1-3 تعليم الديمقراطية والمواطنة الأرضية (الاخلاق من اجل الجنس البشري): لقد أكد موران على أن الكائن البشري يتم تعريفه من خلال ثلاثية الفرد، المجتمع والنوع، و لذلك فهو كائن يتسم بالتعقيد و يغلب عليه الطابع التركيبي، فلا يمكن اختزاله في بعد واحد فحسب وهو الفردي على سبيل الحصر، و انما علينا النظر اليه باعتباره هيكل مؤلف من اتحاد لجوانب عديدة، ولذلك فالعلاقة دائرية ارتدادية بين هذا الثالوث اذ الأفراد ينتجون من تكاثر لنوع انساني، وباتحادهم يتولد المجتمع الذي بدوره ينتج الأفراد، فهذه المكونات غير مفصولة عن بعضها البعض، اذ كل تطور للجنس البشري يعني وجود تطور مرافق له في أشكال

[1] موران ادغار: المنهج (الأخلاق)، المصدر السابق، ص109.

[2] المصدر نفسه، ص110.

[3] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص160.

الاستقلال الفردي وفي المساهمات الجماعية، وفي الاحساس بالانتماء البشري، وداخل هذا الثالوث المركب يبرز الوعي. [1]

ان الامر المنوط بالتربية هنا هو تنمية الوعي الانساني من خلال تفاعل الحلقة الثلاثية للفرد، المجتمع والنوع، وهذا ما يطلق عليه موران بالانتروبو –أخلاقية أي أنسنة الأخلاق، فهي تطمح إلى أنسنة الانسان وتبني مشروع ادارة الكوكب من خلال تحقيق الوحدة والتنوع عبر تنمية أخلاق الفهم التي تحترم الاختلاف القائم بين الأنا والآخر وتشابههما كذلك[2].

ولذلك فالأخلاق التي يسعى اليها موران من خلال التربية هي أخلاق خاصة بالجنس البشري الذي ينطلق من المستوى الفردي وايقاظ الوعي الذاتي عبر تنمية أخلاقيات التفاعل والتواصل والفهم السليم، ووصولا إلى المستوى العالمي الكوكبي القائم على الاعتراف بالتعدد والتنوع، ولذلك فالتعليم هنا سيركز على الجانب الديمقراطي ما دامت الديمقراطية كما أشرنا من قبل في ظل مستوى التسامح الثاني هي تغذية واعتراف بالتنوع مع احترام ذلك مهما عارض تصوراتنا وآرائنا وأفكارنا ويتم ذلك من خلال:

أ– حلقة الفرد المجتمع: تنطلق العلاقة الترابطية على مستواها الأول بين الفرد والمجتمع اذ من المتعذر بل المستحيل وجود أحدهما دون الآخر، فالفرد تابع للجماعة والجماعة لا تتأسس الا بتكتل فردي، ولذا تبرز الديمقراطية* هنا من خلال انماء الجانب العلائقي بين هذه الثنائية، اذ تسمح ببناء علاقة مركبة غنية بين الفرد المجتمع في قالب تعاوني منفتح على بعضهما البعض[3].

إن الديمقراطية لا ينظر اليها هنا على أنها مجرد أداة للحكم، ولا تنحصر في كونها مجرد نظام سياسي، وانما هي استمرارية واعادة الانتاج الدائم للحلقة المعقدة الدائرية التي تنص على انتاج المواطن للديمقراطية وهي نفسها أداة انتاج للمواطن،[4] ولذلك فإن الديمقراطية هي هوية خاصة للفرد تتسم بالحرية والاستقلالية، اذ فيها

[1] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص99.

[2] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص167،168.

* أشار موران الى أن مفهوم الديمقراطية لا يتسم بالبساطة وانما هو مفهوم ذو طابع معقّد، اذ تحتاج الى تفاعل لجملة من العناصر من اجل إضفاء المعنى، وأهم ما يميز ذلك هو وجود الحرية والقدرة على التخلي عن أي منافع ذاتية في سبيل تحقيق منفعة الجميع. كتاب سبعة مبادئ من علم التعقيد، ص169.

[3] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص100.

[4] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص168.

يصبح المواطن قادرا على الجهر بآرائه واهتماماته ومختلف تمنياته، شريطة تحمل مسؤولية انتمائه إلى جماعة ومدينة عليه التضامن معها[1].

ولعل أهم ما يتجلى على مستوى حلقه الفرد المجتمع في سياق الديمقراطية عند ادغار موران هو:

✓ البعد المركب: وذلك من خلال العلاقة الحية للديمقراطية بالتعددية وهو الأمر الذي أبرزته الأنظمة الكليانية الشمولية، اذ تسعى بل وتعمل على تغذية تنوع الافكار والاهتمامات واحترام هذا التنوع وما لذلك من شأن في انتفاء تحول الديمقراطية إلى ديكتاتورية، فعلى الديمقراطية السماح للفكر بالتعبير عن نفسه مهما شكل صورة الهرطقة، وهو الأمر الذي يسمح بالتنوع فالديمقراطية عند موران لا تزدهر الا بوجود التعدد والاعتراف، وهذا ما يصل بها في النهاية إلى وحدة للهوية في الاختلاف أي نسقا كليا مركبا من اختلافات وتعدديات لا متناهية تتناقض وتتصارع ولكن مع الحفاظ على وحدة الكل أي وحدة الجماعة. [2]

✓ الحوار الديمقراطي: ان مختلف خدمات الديمقراطية تؤكد على الجانب والبعد الحواري الذي يقتضي التقاء الاطراف المتعارضة ضمن منظومة واحدة مع تنمية روح التواصل بينها.

إن كوكب الارض وبفعل مآلات الحداثة لم يشفى بعد من بقايا الأنظمة الشمولية، وهو الأمر الذي يظهر عبر استفحال بعض الأنظمة الديكتاتورية على الساحة السياسية لبعض الدول خصوصا، ولذا فالديمقراطية ستبقى معرضة للتهديد بل ان المتواجدة منها اليوم لا تتخذ المطلقية بل هي ديمقراطيات ناقصة غير مكتملة.[3] لهذا فمن الضروري اصلاح هذه الديمقراطية التي نعيش فيها اليوم حتى نصل في المستقبل إلى دمقرطة سليمة تامة كاملة للمجتمعات، وذلك لا يكون الا من خلال تنمية الوعي بالاعتراف والتقبل والتبادل السليم الايجابي بين المواطنين وبين الدول وهو الأمر الذي يجعل من الحوار سمة أساسية ضرورية من أجل تجاوز أي سبيل لوأد العلاقات ولإعلاء شأن الصراع والنزاع، وهذه المهمة التي للتربية دور أساسي فيها من خلال تنمية هذا الجانب في الأفراد ومدهم بالآليات المساعدة على الحوار البنّاء مع غيرهم.

✓ مستقبل الديمقراطية: ينوه موران إلى ان مستقبل الديمقراطية في القرن الحادي والعشرين سيصادف مشكلة عويصة، وذلك بفعل تنامي العلم والتكنولوجيا والبيروقراطية، فهذا الاتحاد الثلاثي سيقود إلى العمى والجهل ولذلك علينا الاهتمام بالتعليم من خلال السعي إلى مدّ المواطنين بالمعرفة التي يستحقونها والتي

[1] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص101.

[2] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، ص170،171.

[3] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص103.

تساعدهم في الحياة أي على مستوى الحياة اليومية، ولذلك من الضروري إعادة انتاج الحياة الديمقراطية وذلك عبر خلق إمكانية جديدة للديمقراطية في مستواها الكوكبي، اذ الحاجة اليوم في المستقبل القريب تتعلق بتجديد الديمقراطية من خلال تجديد الروح المدنية، وما لذلك من استعانة بالصلابة والمسؤولية وبالتالي تنمية الأخلاق هي الإنسانية.[1]

ب- حلقة الفرد النوع (المواطنة الأرضية): إن العلاقة الجامعة بين الفرد والنوع ليست علاقة تم ضبطها وتحديدها في الوقت القريب وانما الربط الأخلاقي بينهما يعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد عند الجهر بعبارة:" **أنا انسان،ولا وجود لشيء انساني غريب عني**"[2] من طرف أحد الكتّاب، وفي ذلك إشارة مباشرة إلى أن الأخلاق الإنسانية تعرضت للتمزيق والسعي إلى الإلغاء، وذلك بسبب الأخلاق المغلقة المدعومة من طرف الديانات العالمية الكبرى، والتي تعرف الحضور في الاتجاهات الأخلاقية الكونية، وفي حقوق الانسان، وحتى الضمير والالزام الذي نادى به كانط والذي لاحظ أن حدود كوكبنا الجغرافية تمارس علينا حيز الالزام بمبدأ الضيافة الكونية، أي الاعتراف بالغير ومعاملته بطريقة سامية تنم عن الاتصال وتتخذ منه الصديق، فانطلاقا من القرن العشرين اجتمعنا ضمن مصير أرضي مشترك أخذ يفرض علينا بشكل ملحّ التضامن،[3] ولذلك فعلينا جميعا الاتحاد في سياق مواطنة أرضيه مشتركة ترسخ التعايش وتحدّد كل الآليات المحققة للوحدة في سياق التنوع.

ج-العولمة والتقارب الإنساني: مع ان ادغار موران قد وقف على العولمة موقفا شديدا اذ عمد إلى الحكم عليها بنظرة حادة بناءاً على ما قادت اليه، وانحرافها عن مسارها الايجابي منذ فتره الحداثة، إلا أنه ومع ذلك لا ينكر فضلها الكبير في لم شمل الإنسانية ونواياها في تحقيق عيش واحد للجميع بناء على اشتراك نفس المصير.

فعولمة الأمة التي وقعت كمشروع انساني انما ساهمت في إضفاء سمه التحضير والتثقيف على كوكب الأرض،[4] من خلال تحقيق اجتماع الافراد ضمن مصير واحد مشترك ومشاركة حياة واحدة تقرب الجميع وتفتح العلاقات على بعضها البعض، ولذلك فلا يجب علينا النظر إلى ما وصلت اليه العولمة خصوصا مع

[1] موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، المصدر السابق، 174،175،176.

[2] مصدر نفسه، ص176.

[3] موران ادغار: تربية المستقبل، المصدر السابق، ص106.

[4] موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟ المصدر السابق، ص69.

أواخر القرن العشرين، ولا حتى علينا التشاؤم من الوضع المستقبلي، بأنه سيؤول إلى ما هو سيء وسيطاله الشتات، وانما علينا حسب موران أن نتحد تحت راية هوية واحدة على سطح كوكب واحد وضمن ثنايا مجتمع عالمي، وهذه هي مرحلة العولمة المطموح لها، اذ لابد من حصول الالتقاء الفعال بين بني البشر على المجال الترابي سواء الخاص بالمجتمع الواحد أو المتعلق بكوكب الارض ككلل، وهو الأمر الذي يجهر بحضارة عالمية شاملة تتلاقح فيها الثقافات من خلال تسهيل الإلتقاءات عبر وسائل الاعلام وما قدمته من دروب تواصلية على غرار: الطائرة، الهاتف، الفاكس، الانترنت... فهي كلها تندمج وتزيد من غنى الفولكلور العالمي الكوكبي[1]

ثالثا: ايثيقا العيش الكوكبي المشترك:

ان الفلسفة المورانية لطالما عرفت بأنها فلسفة كوكبية تأسست على اتيثيقا التعقيد، وأرادت عبر تجاوز الاختزال الحداثي التأسيس لمستقبل مشرق تسوده أخلاق كونية أساسها التسامح والاعتراف، والتعاطف، والفهم السليم وما لذلك من لم لشمل الإنسانية تحت لواء واحد هو لواء العيش السليم السعيد، العيش المتبادل المشترك الذي يتيح للذوات ان تتذاوت ويفشي التواصل بينها،ولذلك فعبر مختلف مؤلفاته كان يندد بثقافة تغييرية، و يروم اصلاح تربوي وحضاري يحقق السياسة المثلى وهي سياسة الانسان، هذا الكائن الذي ينطوي على التعدد ويشتمل التعقد، من خلال اتحاد ثالوثه التآلفي: فرد، مجتمع، نوع؛ ولذلك تضمن مشروعه النقد والوقوف على مآلات الحداثة من ناحية وما أفرزته من أوضاع رغم تحقيقها التطور إلا أنها تسير نحو الهلاك، وفي نفس الوقت الشق الثاني والمهمة الأخرى البنائية عنده تعلقت على الدوام برسم خارطة المسار المناسب والإصلاح الملائم لهذا الوضع الإنساني، وذلك لا يكون الا من خلال غرس الأخلاق التي تحمل بعدا كوكبيا تشتمل الذوات وتحتضن اختلافها بل وتثريه ضمن قالب واحد جوهره التنوع.

ولذا فمن المهام والطموحات التي تم ادراجها للتربية ستصل الإنسانية لا محالة إلى حالة من الأمن والوئام، ونوع من الاستقرار والعيش الرغيد الذي ينبني على الحوار الايجابي المنفتح بجودة بين الذوات، وهو الأمر الذي يجعل من الأرض كوكبا مشتركا وأما واحدة تشكل رحما واحدا يحتوي الكل ضمن هوية انسانية مشتركة. على هذا الأساس كانت الهوية الواحدة هي الأمر الذي سعت اليه الجهود المورانية الهوية التي تتيح

[1] كحول سعودي: في مفهوم الهوية الكوكبية والانسان المركب عند ادغار موران، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد 11، العدد 01، 2024، ص497.

للجميع التعايش ضمن نسيج علائقي مشترك يتوفر على التنوع، لكن هل يمكن الحديث على نجاعة هذه الرؤية الموحدة في ظل العنصرية والتحيز الغربي الدائم تجاه العرب؟ ولذا فما هي جوهر الأخلاق الكوكبية التي ترومها فلسفة ادغار موران وما هي الأسس التي وضعها من أجل سياسة انسانية تضمن تحقيق عيش واحد مشترك بين الجميع؟ ثم ما هي اسقاطات هذه الهوية الكوكبية على راهن اليوم خصوصا في ظل سعي الهوية العربية إلى الالتحاق بهذا الركب الكوكبي؟

1- **نحو سياسة إنسانية:** إن الغاية الأساسية من أي مشروع اصلاحي انما هي العود على الكائن البشري بالفائدة، وذلك لأن مختلف المشكلات التي تفشت عبر بقاع الكون انما هي مشكلات منه وتخصه وتعصف بوجوده، ولذلك فالترياق ومفتاح الخروج منها سيعود بالسلامة والفائدة عليه هو في حد ذاته، ولذا فأي مشروع وان كان يركز على المعرفة أو الواقع او البيئة بل مشروع معالجة الحضارة هو في جوهره مشروع انساني يضعه هذا الكائن من أجل حماية ذاته والارتقاء بها إلى مصاف أفضل، وهو الأمر الذي في سياق العيش السليم وضعه ادغار موران من خلال مؤلفه" نحو سياسة" حضارية فالعبارة هذه الخاصة بالإصلاح والعلاج الانسب للحضارة انما اصطلاح استعان به موران بجانب شكلي فحسب،ذلك أن القصد منه هو إحداث التغيير اللازم من أجل السياسة اللازمة وهي سياسة الانسان، اذ يقول: " **ان عبارة سياسة الحضارة فرضت نفسها عليّ في بداية سنوات الثمانينات، وهي ترتبط بما سميته آنذاك بسياسة الانسان، وهي عبارة تفيد سياسة متعددة الأبعاد لأن كل مشاكل الإنسانية تكتسب اليوم بعداً سياسيًا**".[1]

ولعل الثورة الفرنسية من خلال شعارها الثلاثي المتعلق بالحرية، والأخوة، والمساواة، هو الأمر الذي كان المطلب الاساسي الأول ذو التوجه الاشتراكي، وهو السبب الذي أضفى للإنسانية جانبا سياسيا، فالاشتراكية وبناءاً على الاوضاع المتراجعة من بربرية العلاقات الإنسانية، وطغيان الاستغلال والأنانية، والتعصب واللا تفاهم سعت باعتبارها حركة سياسية إلى تشكيل نسيج اجتماعي ترابطي تضامني للحياة، ولذا كان عملها الأساسي دمقرطة الحياة،[2] وبالتالي معالجة الحضارة من مشاكلها عبر اخراج الإنسانية من أزماتها التي أفضت إلى تمزيق العلاقات فيها بين الذوات، فعلى الرغم من أن الإنسانية تعايش التحضر والواقع ينم عن التطور، إلا

[1] موران ادغار: نحو سياسة حضارية، المصدر السابق، ص37.

[2] المصدر نفسه، ص37.

أن مظاهر البربرية تستحوذ علينا من الداخل وتجرنا نحو الأنانية والحسد والضغينة والازدراء والنقمة والكراهية، وكنتيجة لمستوى العلاقات البائس والكارثي أحيانا بين الافراد والاجناس وبين الطبقات والشعوب أصبحت حيواتنا متدهورة وملوثة[1]. ولذلك فالمخرج الذي يقترحه ادغار موران بالدرجة الأولى يتعلق بالعودة إلى السياسة كفنّ ليس من حيث خلق وايجاد الابداع والخلق فحسب، وانما من زاوية ايجاد السبل المناسبة للخروج من المآزق مهما بلغ نوعها ودرجتها، ولذلك يرى موران على أن فن السياسة أن ينهض إلى تحقيق أمل الانسان في الحرية والمساواة والتكامل، بل ويتعدى ذلك إلى فتح السبيل لإنقاذ البشرية من الكوارث التي تعصف بها نحو واقع جديد مغاير[2] .

لذا سياسة الإنسانية كانت الطموح الأول له خصوصا وأن مصير الجنس البشري أضحى ابان فترة الحداثة وانجازاتها التقنية واحد تطاله المشاكل لذلك اليوم نحن في حاجة ماسة إلى سياسة تنبني على مفهوم الأرض- الوطن باعتباره مفهوما يحمل في طياته وعيا بالمصير المشترك والهوية المشتركة، والاصل الأرضي المشترك للإنسانية، [3]يقول مران:" **تشتمل سياسة الإنسانية مختلف المشاكل التي تطرح في مناطق مختلفة من كوكب الأرض، وستصوغ هذه السياسة بدلا من معيار نموذجي يقع تطبيقه في السياقات الاكثر تنوعا، اجراءات وعمليات مناسبة لتلك السياقات... ستكون سياسة الإنسانية تكافلا بين ما هو أفضل في الحضارة الغربية والمساهمات الغنية جدا للحضارات الاخرى بهذا المعنى ستولد سياسه الإنسانية الحضارة الجديدة**".[4]

لهذا فالسياسة المتطلع اليها من طرف موران انما هي سياسة وضعت من أجل اصلاح الوضع الانساني وما له من تبعات عاصفة بالحضارة ككل، وهو السبب الذي جعله يضع لها اصطلاحات ثلاث وأوامر إذا ما توفرت فإنها لا محالة ستجابه الحال المتشرذم الذي يهتك بالإنسانية، وتتمثل هذه الأوامر في:

✓ **سياسة التضامن:** يؤكد موران على أنه من الضروري اضفاء طابع المصداقية والواقعية على التضامن، اذ أن النظر اليها بهوية مجهولة من طرف الدولة انما هوى أمر لن يصل إلى أي مراد ولذا فمن الضروري تحقيقه

[1] موران ادغار: السبيل لأجل مستقبل البشرية، المصدر السابق، ص365.

[2] موران ادغار: السبيل لأجل مستقبل البشرية، المصدر السابق، ص68.

[3] المصدر نفسه، ص71.

[4] المصدر نفسه، ص75.

وتجسيده بشكل فعلي على أرض الحياة لهذا فعلينا اليوم أن نتجاوز الاحلام والتصورات المثالية التي تجعلنا نؤمن بالتغيير دون أن نحدث هو إذا علينا أن ارضنا التضامن عبر تمريره من شخص إلى آخر ومن مجموعة إلى ثانية وذلك من خلال تنمية الشعور بحب الغيرة وتوفير السبل المساعدة على هذا الحب من تواصل ومساعدة وتكافل أي تحرير قوة الإرادة الخيرة وتشجيع سلوكات التضامن اللازمة[1] .

ولعل أهم ما يقدمه موران كمقترح من أجل بلوغ هذه السياسة الإصلاحية يتمثل في تشييد دور خاص بالتضامن، وذلك من خلال تخصيص أماكن معينة تمثل مراكز خاصة لاستقبال الاسعاف الضروري للجانب الأخلاقي، فإذا كانت شرطة النجدة والاسعاف تتدخل من أجل تقديم يد المساعدة نتيجة حوادث مادية، فإن هذه الدور الخاصة بالتضامن كذلك تحتاج إلى متطوعين محترفين يقدمون المساعدة الكافية للأشخاص من أجل غرس ثقافات وأخلاقيات التضامن فيهم، وليس على مستوى هذه الدور وحسب بل من المفروض على كل الإدارات والمؤسسات وأي مكان استراتيجي أن يحتوي على فاعلين متضامنين[2] .

إن ادغار موران يربط تقدم المجتمعات بالتضامن، ذلك أن أي تعقيد وتركيب يفضي إلى تجاوز الفوضى والعشوائية انما يقتضي بالضرورة تكتل حريات وإمكانات تساهم في القضاء على الفوضى الخفية وتجاوز ما هو مشتت من الكل إلى أجزائه، وذلك نحو تلاحم المجموع عبر بتنمية التضامن الحقيقي كمعايشة داخلية موجودة لدى الافراد في سياق شعور بالإخاء، ولذا فالشعور الجديد يجهر بأنه لا حرية من دون تضامن".[3]

✓ **سياسة المؤانسة(جودة الحياة)** : لقد اقترح موران هذه السياسة من أجل مجابهة التقهقر، وليس المقصود بذلك تحقيق رغد العيش على المستوى المادي وانما المقصود بجودة الحياة هنا جودة التواصل مع الغير والمشاركة العاطفية والودودة، وهذا معناه التأثير الايجابي على النواحي الاجتماعية والحضارية للحياة، عبر تجاوز وإقصاء كل مظاهر التعاسة من عنصرية،حروب، مجاعة،اعتداءات، متركزات واقصاءات وبالمقابل تقديم المساعدة ويد العون اللازمة للأفراد من أجل تحسين جودة حياتهم، ولذا فالسياسة والاصلاح هنا لا يتعلق بخلق السعادة وانما يخص توفير الشروط المناسبة لمعايشتها،عبر تجاوز الانحرافات التي تفشت في الواقع وهذا ما يتمثل في المؤانسة، فهي مودة ومشاركة ومشاطرة وتعاون بين الذات والغير، مهما كان هذا الأخير قريب أو

[1] موران ادغار: نحو سياسة حضارية، المصدر السابق، ص41.

[2] موران ادغار: نحو سياسة حضارية، المصدر السابق، ص43.

[3] المصدر نفسه، ص44.

غريب، مماثل او مشابه، المهم هو الاستئناس به في الحياة عبر مشاركته الأفراح والأقراح، وهو الأمر الذي سيفضي في النهاية إلى مجابهة التلاشي والتشرذم والانتقال بالهوية إلى مصاف كبرى عالمية[1].

لهذا فالحياة الإنسانية تحتاج إلى تغيير من الحال المتواجدة فيه الآن وذلك عبر الاعتراف بشعرها ونثرها معا كما يؤكد موران، أي على أنها لا تنحصر في بعد وجانب مادي واحد، وانما لها جانب يتغذى بالتشارك والحب والصداقة والتضامن والتعاطف، اذ يقول: " تشكل الحالة النثرية والحالة الشعرية قطبين مؤسسين لذواتنا، وكل قطب ضروري للقطب الآخر، ولو لم يكن هناك نثر لما كان هناك شعر، الواحد يضعنا في وضعية نفعية وعملية، وغايته هو غاية نفعية وعملية والآخر يمكن ربطه بغايات عشقية أو أخوية".[2]

ولذلك فجودة الحياة الحقيقية تتأسس من خلال النظر إلى الآخر من معيار الألفة والصداقة والسعي إلى التواصل والتبادل معه بشكل ايجابي فعال، لأن هذا وحده ما سيخلق جو ووسط يسوده التقدم وحياة بجانبها الاجتماعي والحضاري ككل صحية سليمة معافاة.

✓ **سياسة التأصل والتجذر(الرجوع إلى الأصل)** :إن هذه السياسة الإصلاحية عند موران انما يتم اللجوء اليها في ظل التلاشي الهويات الذي طغى في الحضارة وقراءة التنوع من زاوية الخلاف لا الاختلاف، الأمر الذي أفشى نوعا أنطولوجيا من القلق، فالضياع أصاب الهويات الإنسانية سواء في حاضرها اذ أضحت تجهل مكانتها ومكان تواجد أرضها، لا الأرض الفرنسية فحسب وإنما الأرض الكوكب الذي نعد أطفاله والذي من واجبنا الحفاظ عليه في تنوعه الحي والانساني[3] .

لذا فمن الضروري العودة إلى أصلنا وجذورنا الأولى، وليس المقصود من ذلك تجاوز الشتات والتنوع بالعودة إلى الوحدة المنغلقة والهوية المتمركزة على نفسها، وانما يكون ذلك بالوسطية بين الانغلاق والانفتاح الوطني،وهما الطريقتان اللتان يعمد اليهما موران من أجل العودة بالأمة والذات إلى الايمان بذاتها، فمن ناحية أولى لابد من التأصل عبر العودة إلى جذور الامة والوطن الخاص، وذلك حتى لا تزول المقومات وتندثر الأساسيات، وهو الأمر الذي أشرنا اليه من قبل في فكرة الثقافة اذا عليها من ناحية أن تحافظ على خصوصياتها حتى لا يطالها الاندثار والتماهي مع ما هو متواجد من ثقافات أخرى؛ أما الناحية الثانية فتكون

[1] المصدر نفسه، ص45.

[2] موران ادغار: نحو سياسة حضارية، المصدر السابق، ص 46.

[3] المصدر نفسه، 48،49.

عبر الانفتاح وإتاحة المجال للتواصل والتبادل الفعال عبر التضامن والتآخي والتعاون بين الأمم ومختلف الاوطان الاخرى وهو الأمر الذي عبرت عليه في فرنسا اذ أنها من جهة تحافظ على هويتها وأصلها الاول ولكن في نفس الوقت أخذت تدخل في حضنها بشكل شبه عيني فكرة كونية حقوق الانسان، فهذا وحده كما يؤكد موران ما يساعد على انغلاقها من ناحية عبر تأصلها في إطار تفردها وفي نفس الوقت يتمكن مبدأها الكوني المنفتح من اثبات البعد الأوروبي، حيث تشكل أوروبا جوابا حيويا على تحديات العصر الكوكبي، مع تشكيل مثال كوني للتشارك من أجل مواجهة الازمة الكوكبية[1] .

2- من أجل أخلاق كوكبية: لقد تشكلت الأنانية والنزاعات المركزية التعصبية التي عمدت إلى طمس الآخر ونبذه، وبالمقابل الانغلاق على الذات وتمجيد فردانيتها والتعالي بإنجازاتها على مختلف المجالات وخصوصا دور العلم والتقانة. شكلت الدافع الأساسي للمناداة بثورة إصلاحية والسعي إلى قلب المركزية الغربية بعالمية عبر بث نزعة إنسانية جديدة، وهو الأمر الذي جعل موران كما سلف وأن أشرنا يضع مهام ومسؤوليات معينة للتربية إذا ما رسّختها في الافراد فإن الإنسانية ستصل إلى ضفتها السليمة، فعلى غرار تعليم الشرط الإنساني، والهوية الأرضية، والديمقراطية بمواطنتها الموحدة. خصص موران جزء مهم لتعليم الفهم وذلك بناء على ما طاله من سوء وانحراف مسار حاد بالإنسانية عن سبيلها،ولذلك فبمجرد تعليم الفهم ستسير التربية نحو إيثيقا كوكبية شاملة تتجاوز الطغيان والتعالي والتمركز،وما للفردانية من تمادي إلى حد الايذاء، وتسير بالمقابل نحو الاتحاد والتعايش ضمن بوتقة تذاوثية واحدة، يقول موران: **"كانت فكرة أخلاق النوع الانساني فكرة مجردة حقا طالما أن هذا النوع لم يجد نفسه متحدا ومتواصلا ومتحالفا بشكل ملموس خلال تطور المصير الكوكبي، لا يقتصر الأمر على الأمم والمجتمعات فقط بل على الأفراد المنفردة والخاصة الذين يرتبطون من الآن فصاعدا بالكل الكوكبي وبالكوني الإنساني"[2].**

إن موران ينادي بأخلاق كونية ذلك لأنها أضحت تسير إلى فرض نفسها بنفسها خصوصا في ظل التطورات الحالية للعصر الكوكبي، هذا العصر الذي عوض وضع البشر بفعل الوعود بتقريب المسافات والواقع الذي ينطوي على التقدم والتطور اللامشهود لهما، أخذ يسير بمنحى مغاير مخالف، بمنحى يقطع أي روابط للتواصل والتعايش والتعاون في ظل إخاء واحدة بل وصل إلى حد بث الكراهية والبغضاء والجهر بالعنصرية

[1] موران ادغار: نحو سياسة حضارية، المصدر السابق، ص50.

[2] موران ادغار: المنهج (الأخلاق)، المصدر السابق، ص164.

واللاتوافق، وما لذلك من انبثاق جماعة مصير النوع الإنساني، ولهذا السبب اليوم أفضت الضرورة بنقل الكون من التنظير إلى الممارسة، واستدعت الحاجة أرضنته على سطح العالم ككل، كحقيقة واقعية يبرزها التضامن والوعي بالمصير الواحد المشترك، فالاهتمام الآن ينطلق من الفرد الواحد ويركز على إعادة الاعتبار لفردانيته عبر إخراجها من الغرور والأنانية الذين طبعته بهما حداثة العلم والتقنية،وما لذلك من ترسيخ للانغلاق والتقوقع على ذاته في سياق نبذ الآخر، وبالمقابل الخروج نحو العالمية ونقل الانفتاح نحو الذوات الأخرى،نحو الغير المختلف لا المخالف، فالأخلاق اليوم عليها أن تتلاءم مع الحياة ذات البعد الكوكبي، يقول فيرنادسكي:" لأول مرة فهم الإنسان حقا انه أحد سكان الكوكب وربما يجب عليه التفكير أو التصرف وفق بعد جديد، ليس بعد الفرد فقط أو الأسرة أو الجنس أو الدولة أو مجموعة من الدول، بل وفق البعد الكوكبي أيضا".[1] ولذا فلا يمكن الحديث على إصلاح لأخلاق الفرد إلا في سياق نسيج الجماعة، فالأخلاق لابد لها أن تتناسب والاجتماع الانساني وتتأسس على دعائم التواصل، والتلاقح، والتعايش والتعاطف، وذلك لا ينطلق إلا من أول وأهم خطوة وهي الاعتراف.

أ- **استبعاد الاستبعاد (الاعتراف)**: يرى موران أن الآخر يلتقي معنا في خصائص عديدة، ولكنه كذلك يختلف عنا في خصائص أخرى، فنحن نلتقي على مستوى الإنسانية خصوصا ولدينا نفس التجذر والأصل، علاوة على أننا نقتسم نفس المصير لكننا في الوقت عينه نتباين نتمايز،فلغتنا ليست نفسها وكذلك ديننا ومعتقدنا، وهو الأمر بالنسبة إلى عرقنا وربما جنسنا وثقافتنا، ولذا علينا الانطلاق من هذا الأمر في نظرتنا وفهمنا للآخر واستيعاب علاقتنا به، اذ على الرغم من خصوصية كل واحد منا غير أنه من الضروري أن ننفتح على بعض وازاء بعضنا البعض، ذلك أن الانطواء على أنفسنا سيكوّن لنا صورة خاطئة تفضي بنا إلى الصراع والنزاع، بينما الانفتاح سيمكّننا من الالتقاء يقول: " **الآخر هو النظير والمختلف في الوقت نفسه، نظير بسماته البشرية أو الثقافية المشتركة، ومختلف بتميزه الفردي أو باختلافه العرقي، فالآخر يحمل فعلا في دواخله الغرابة والتماثل وبصفته ذاتا يتيح لنا أن نفهمه في تماثله واختلافه، إن انغلاق الذات على نفسها تجعل الآخر غريبا عنا، أما الانفتاح على الآخر فيجعله أخا لنا، فالذات بطبيعتها منغلقة ومنفتحة**". [2]

[1] موران ادغار: المنهج (الأخلاق)، المصدر السابق، 165.

[2] موران ادغار: النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص93.

إن فكرة استبعاد الاستبعاد عند ادغار موران إنما القصد منها الابتعاد عن أي نظرة فوقية سلطوية تتجاوز الآخر وتعمل على إلغائه واحتقاره والنظر إليه بازدراء، فالآخر موجود مغاير لي وربما يشابهني في معايشة الوجود الخارجي ولذلك لابد من السعي إلى الاعتراف به والتواصل معه، وكذلك علينا أن نستبعد أي استبعاد للغير،وبالمقابل لابد من النظر اليه كنصف آخر يقابلني ويشاركني هويتي، فالهوية واحدة مشتركة تجمعنا مهما بلغت درجة اختلافنا، ولذلك من الضروري تجاوز البغض والكره ونظرات الإدانة والاجرام والتحقير، والارتقاء بالمقابل نحو الاحترام والاعتراف والمحبة والصداقة، إذ يقول: "**ينظر الإنسان إلى الغير باعتباره أنا مختلفة عنه وشبيهة له في الوقت نفسه، وبذلك يتقاسم الغير معي هوية مشتركة مع الحفاظ على اختلافه... عندما يعمي الغضب أو الكراهية أو الازدراء العقل يعمق الاختلاف ويستبعد الغير من الهوية الإنسانية... في المقابل يقوي التعاطف والصداقة والمودة والحب الشعور بالهوية المشتركة**".[1]

ولذلك لا يجب استبعاد الغير من حقل الهوية الإنسانية وانما لابد الاعتراف به والاتحاد معه ضمن سياق وكيان كلي مركب، اذ لا يجب التقليل من شأنه واستصغاره بل وجوده ضروري، خصوصا وأن الانسان اجتماعي لا يستطيع العيش لوحده ولا يمكن له أن يدرك ذاته ولا ما يحيط به إلا من خلال الغير فهو مرآة ثانية له، يقدم لنا الصورة التي لا نستطيع رؤيتها بعين الواحدة ولذلك فهو وجه آخر على حد التعبير الليفيناسي، حتى وإن كان مختلفا عنا إلا أنه يشابهنا ويشاركنا الوجود والهوية الإنسانية في الوقت عينه، ولذا فأخلاق الغير تلزمنا كما يؤكد موران من خلال كتاب" الأخلاق" وهو الجزء السادس من كتاب" المنهج" تلزمنا أولا وقبل كل شيئا بأن لا نستبعد الغير خارج الإنسانية،فهي أخلاق تتضمن الحاجة إلى الاعتراف بالمعنى الهيغيلي للمصطلح، والمقصود بذلك الاعتراف بالآخر كذات إنسانية وهي الضرورة الأخلاقية التي صاغها هيغل في قالب الاعتراف المتبادل بين وعيين عبر قوله: "**لا يصل الوعي بالذات إلى مستوى الرضا الا ضمن وعي بالذات آخر**"[2].

لهذا فالاعتراف أمر لابد منه من أجل الوصول إلى لم شمل الإنسانية تحت لواء هويات كوكبي واحد، اذ بمجرد الانطلاق منها يحصل التفاعل والتلاقي والاقبال على التواصل، الأمر الذي يجعل من الاعتراف طريق نحو الهوية، فكلما اعترفنا بالآخر وباختلافه وتنوعه وفي نفس الوقت أقبلنا عليه وتبادلنا معه الحياة، كلما اتحدنا

[1] موران ادغار: المنهج (الأخلاق)، المصدر السابق، 106.

[2] المصدر نفسه، ص107،108.

وشكلنا هوية واحدة نتشارك تفاصيلها الواحدة المتنوعة في نفس الوقت، ولذا فما يمكن التأكيد عليه في الأخير هو أن الفهم الانساني يحتاج لا محالة إلى تنمية الوعي بالاعتراف والنظر إلى الآخر كجانب ثاني ضروري للأنا، يشاركها الحياة وكل تفاصيل الوجود، ولهذا عليها ان تتجه اليه وتتحاور معه وتتفاعل مع أحداثه ومجريات حياته، وبالتالي تتجاوز كل مظاهر العداء والصراع وهو وحده الذي سيعزز الهوية الأرضية، تلك الهوية الجماعية التي تضم تنوّع هويات الأفراد على سطح كوكب واحد تتحقق فيه السعادة والعيش السليم، وهو الأمر الذي عبّرت عنه بشكل مثالي الباحثة العراقية رقية سعيدهفي عمل لها حول "منظومة الهوية وعلاقتها بالديمقراطية في الفكر السياسي "عندما قالت: ان كل المجتمعات البشرية تتميز بحد معين من الفهم المتبادل بين أعضائها وهو ما يساعد على أن يعيش البشر سويا كقاعدة لإشباع الحاجات، بمعنى أن كل فرد من افراد المجتمع من الضروري أن يتشارك ويتفاعل مع الآخرين وفق منظومة المفاهيم الخاصة بهم والمتضمنة للثقافة نفسها، واذا كانت الهويات الاجتماعية دليلا على تشابه الافراد فان الهوية الفردية تشير إلى عمليه التنمية الذاتية من خلال التفاعل والاندماج مع الآخر. يرسم هذا الاندماج والتفاعل صورة للعلاقة مع من حولنا من الآخرين، وترسم الهوية الفردية من سوسيولوجيا التفاعل والاندماج مع الهوية الجماعية وفق منظومه التعايش السلمي"[1].

وإلى جانب ادغار موران نلمح حضور فكرة الاعتراف عند الفيلسوف "تشارلز تايلور" الذي أكد أن الاعتراف ليس مجرد سلوك مهذب تجاه الاخرين، وانما هو حاجة إنسانية حيوية فهو حق من الواجب الحفاظ عليه والحرص على ضمانه بواسطة التشريعات المناسبة، ولذا فهو مطلب أخلاقي مشرعن لا يتوقف على الامكان وانما هو مطلب ضروري يرتحل من الخصوصية إلى الكونية[2] .

كما ويجب الإشارة إلى" اكسيل هونيث" صاحب ايثيقا الاعتراف والذي يؤكد على أن العيش السعيد للإنسانية انما يتضمن شروط معينة تحقق للذات قيمتها وجوهر وجودها، وفي نفس الوقت تمكنها عبر التفاعل السليم مع غيرها تحت لواء الاعتراف من التذاوت الفعال الذي ينطلق من التضامن الاجتماعي والاتحاد التعاوني بين افراد المجتمع ضمن سياق علائقي تواصلي يسيره كل من الحب والقانون، اذ يقول: " **علاقة الاعتراف هذه هي التي تفتح ذلك الطريق لنمط علاقة مع الذات تتيح لكل ذات أن تكتسب ثقة**

[1] سعيد رقية: منظومة الهوية وعلاقتها بالديمقراطية في الفكر السياسي، مجلة قضايا سياسية، العدد 60، بغداد، 2020، ص135.

[2] لخميس عبد الحميد، الهوية والاعتراف في فلسفة تشارلز تايلور، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، دط، اربد، الألادن، 2021، ص126.

اضافية بنفسها، تمهد تجربة الحب التذاوتية الطريق أمام الفرد لنقل هذه الطبقة الإنسانية من الأمان العاطفي ما يسمح له لا اختبار وحسب بل اظهار حاجاته ومشاعره بهدوء".[1]

ب- **الوصايا الأخلاقية:** ان الاخلاق الكوكبية عند موران لا تتموضع بشكل جلي إلا من خلال انبثاقات أساسية ضبطها في تسع وصايا:

❖ الوعي بالهوية الإنسانية المشتركة من خلال تنوعاتها الفردية والثقافة واللغة،[2] فالذات الإنسانية الواحدة لا محالة تنطوي على التنوع في حد ذاتها، ولذلك لابد من أجل بلوغ أخلاق واحدة كونية أن يتم نقل التنوع إلى مختلف الذوات الأخرى، وهو الأم الذي تساعد عليه اللغة والثقافة كل ذلك ضمن هوية واحدة.

❖ الوعي بجماعة المصير التي تربط حاليا كل مصير انساني بمصير الكوكب بما في ذلك حياته اليومية،[3] فالكوكب ككل يعايش نفس الوضع المتأزم ولذلك لابد من الانطلاق من هذه النظرة والتطلع بعين واحدة مشتركه إلى نفس المصير وهو الذي يقتضي الارتحال بشكل انفراجي من المشاكل من أبسطها إلى أعقدها ووصولا إلى المصير المشرق.

❖ الوعي بأن العلاقات بين الناس يدمرها عدم الفهم وأنه يجب أن نتعلم فهم ليس أقاربنا فقط بل فهم الغرباء والبعدين في كوكبنا أيضا.[4] وهي المهمة التي أوكلها موران للتربية فالايثيقا التربوية تقتضي اصلاح الفهم مما طاله من سوء، وما قاد اليه كل ذلك من ضبابية للوضع العلائقي بين الذوات، أين أصبح الخلاف هو السائد بينها وصار البعد شعارها، فما دام الكوكب كوكبنا وهو واحد يضمنا جميعا فمن الضروري إذا معالجهة فهمنا، وذلك عبر تقريب الغريب البعيد عنا بالحد الذي يسمح ويتيح لنا التذاوت معه.

❖ الوعي بالتناهي الانساني في الكون،[5] والمقصود بذلك إدراك الانسان للمخاطر التي أفضى اليها تماديه وسعيه الدؤوب إلى تطوير عالمه الخارجي، وما لذلك من تأثير وهتك لوجوده الانساني إلى الحد الذي أعطى الوجود والأفضلية لجانبه المادي في مقابل طمس وتجاوز بعده النفس المعنوي وما فيه من جانب عقلاني وأخلاقي، فلابد من ايقاظ الإنسانية واخراجها من تصورها الدوغمائي باللاتناهي واللافناء.

---

[1] هونيث أكسيل: الصراع من أجل الاعتراف)القواعد الأخلاقية للمآزم الاجتماعية(، تر: جورج كتورة، المكتبة الرقية، ط1، بيروت، لبنان، 2015، ص196.

[2] موران ادغار: المنهج)الأخلاق)، المصدر السابق، ص167.

[3] المصدر نفسه، ص167.

[4] المصدر نفسه، ص168.

[5] موران ادغار: المنهج (الأخلاق)، المصدر السابق، ص168.

❖ الوعي البيئي بحالة الارض التي تشمل علاقتنا الحيوية بالمجال الحيوي،[1] وذلك عبر تجاوز فكرة اختزال أو فصل الانسان عن الطبيعة والعالم الذي يعيش فيه، فالإنسانية ليست بناء وهيكل ذو جوانب منفصلة منشطرة عن بعضها البعض، وانما هي نسق كلي يتخذ صورة كوكبية ورابطة متصلة مع المجال الحيوي الذي يقطنه، وهو الأمر الذي يسير بالوعي الايكولوجي نحو وجهة سليمه قوامها نظرة تركيبية يجتمع فيها ثالوث فيزيائي، حيوي، وانساني. ولذلك من الأفضل الانتقال من طموح السيطرة على الطبيعة إلى طموح التعايش معها وعلى أرضها.

❖ الوعي بالحاجة الحيوية للتوجيه المزدوج للكوكب، أي تأليف التوجيه الوعي () للإنسانية بالتوجيه البيئي المنظم اللاوعي للطبيعة[2] .

❖ الوعي المدني الكوكبي، أي الوعي بالمسؤولية والتضامن تجاه اطفال الأرض. [3]فالأرض وطننا وأمنا الوحيدة المشتركة ولذلك فما علينا إلا احترامها وذلك عبر تنمية روح التضامن والتفاعل والتسامح بيننا، ونبذ الأنانية وثقافة الانغلاق فنحن مسؤولون عن بعضنا البعض وما علينا الا مشاركة هذه المسؤولية.

❖ امتداد أخلاق المسؤولية والتضامن إلى المستقبل مع ذريتنا،[4] وهذا يتعلق باستشراف المستقبل فعلى الاخلاق التي تتخذ طابع الكوكبه ألا تنحصر في التغيير على سياق الراهن، بل عليها الارتحال إلى المستقبل وذلك عبر نقل ثقافة المعايشة إلى الأجيال المقبلة دون حصرها في جيل اليوم فحسب.

❖ الوعي بالأرض- الوطن كجماعة المصير/ الاصل / الفقد. [5]والمقصود من هذا الأمر أنه ومع تنمية روح التضامن وثقافه التعايش عبر الانفتاح على الآخر والتذاوت معه، لابد لا محالة من الوقوف على حدود هذا التذاوت وعدم الانصهار في التماهي التام ولا الانغلاق المطلق، بل علينا كما أشرنا في سياسة التجذر، إدراك جانبنا الأصيل وتجذرنا في أصل واحد هو الأصل الأرضي، ولذلك فلابد من العيش مع الآخر في سياق حفاظ كل طرف على خصوصياته وهذا هو جوهر الوحدة/ التنوع.

وفي النهاية يصل موران إلى أن شرط الخروج من هذا العصر الحديدي الكوكبي الذي بدأ منذ قرون ماضية، وعززت مشاكله الثورة العلمية ونمو والتقانة وما للأمر من تلاشي وضياع هوياتي انساني، انما يكون عبر

[1] المصدر نفسه، ص168.

[2] موران ادغار: المنهج (الأخلاق)، المصدر السابق، ص168.

[3] المصدر نفسه، ص168.

[4] المصدر نفسه، ص168.

[5] المصدر نفسه، ص168.

اصلاح الوضع الانساني والارتقاء إلى شوملة وكوكبة أساسها انفتاح الذوات على بعضها البعض، وتعايشها في جو دعامته التعاون والتعاطف والصداقة والأخوة والتواصل ما دامت الأرض واحده والمجتمع هو نفسه العالم، وهو الأمر الذي يشجع على تلاقي وتلاقح الهويات المختلفة المتنوعة ضمن بوتقة هوية انسانية كوكبية واحدة.

3- آفاق الهوية الكوكبية في ظل صراع العرب والغرب (بين الموجود والمأمول):

لقد أخذت الخطابات الفكرية منذ القديم وخصوصا في الفترات المتأخرة تنحو نحو مشروع الأسنة، ولذلك شكل مصطلح الإنسانية محور اهتمام العديدين خصوصا في ظل التهميش والتجاوز الذي تعرض له هذا الكائن، وما عايشه من معاناة بفعل التحكم المنفلت في الأوضاع الخاصة بعالمه. ولذلك فالقراءة ضرورية والواقع يحتم استعجال نقل النظرة إلى هذا المصطلح أو هذا الكائن على حد سواء من الحيز الضيق الذي ساهم في تقزيم قيمته والغاء كرامته، إلى حال ووضع أفضل يتسم بالاتساع والانفتاح على الصحة والسلامة ولما لا السعادة الدائمة، لذلك تعالت النظرات التفاؤلية بإنسانية سليمة معافاة، وذلك ليس على الصعيد أو مستوى الفرد الواحد وانما عبر مختلف الاجناس والشعوب، وهو الأمر الذي نادت به فلسفات الاختلاف اذ حملت شعار التعايش والتلاقي بين الذوات الإنسانية تحت لواء واحد، من أجل أرض ونحو هوية عالمية كوكبية شاملة تضم وتحتوي الجميع وشعارها الوحدة في ضوء التنوع.

واذا كان أي مشروع وطموح فكري لا يخلو من مجابهات، وتطاله حتما تصدعات تقف كعائق أمام تحقيق وبلوغ مراميه، فان مشروع الهوية الإنسانية الكوكبية الذي قدمه ادغار موران قد لقي تجاذب بين طموح تغيير وضع الإنسانية ونقلها إلى مصاف عالمية أكثر إيجابية وأضمن لحالة هذا الكائن البشري؛ وبين واقع يحتم الاعتراف بالعنصرية والكراهية التي نمت بشكل ملحوظ من طرف العالم الغربي تجاه الانسان العربي، فالهوية العربية وجدت نفسها تجابه نظرة الاستعلاء والظلم بل كاريكاتير الارهاب والصورة المشوهة التي بثتها أمريكا وحلفائها كتصور مرعب واقتسام علني للعالم المعيش إلى فئة عليا سامية مرتقيه حضارية في يدها زمام الأمور، وفئه ثانية مهمشة تتسم بالبربرية والعدوانية، وهو الأمر الذي عصف بالمشروع العالمي والطموح الهوياتي بعيش واحد جماعي مشترك، اذ التنظير كان مناقض تماما دون أي مجال وامكانية للالتقاء مع الواقع والممارسة، وهو

الأمر الذي يدعو إلى إعادة النظر في هذا المشروع وتوقع جديد للمستقبل وما يقود اليه حال الانسان بالانتقال إلى أحد الاحتمالين الآخرين بعد فشل احتمال امكانية مجيء مجتمع عالمي.*

إن الفيلسوف المخضرم موران وهو يتجاوز الـ 100 سنة من العيش والتفكير، أخذ يشير بشكل علني إلى الصراع الذي تعاني منه الهوية العربية في سياق سعيها إلى التكوكب والاجتماع مع باقي الهويات العالمية الأخرى. وهو الأمر الذي دفعه إلى وصف أوروبا بالبربرية والهمجية، وبذلك فلا يجب أن تردّ الممارسات اللاعقلانية والانحرافات الأخلاقية إلى المجتمعات التي تعيش في العالم الثاني أو الثالث، بل لا يجب أصلا تحديد أقسام لهذا العالم، لأن الفئة الأولى الموضوعة قصرا وبالافتقار لأي معايير، هي التي تمارس اليوم الهمجية والطغيان والتعالي ولعل الوقائع المؤكدة لذلك عديدة، على غرار ما وقع بين الجزائر وفرنسا من استعمار أو ما تعايشه فلسطين وغزة الجريحة اليوم من بربرية غربية وانتهاكات لا انسانية من طرف دول ومنظمات حملت شعار الأخوة والمساواة والتعايش. فعلى أي أساس يشمل الغير كل الوجوه والأقنعة ويُستثنى الوجه بل يسقط القناع العربي وخصوصا الفلسطيني من الحسبان؟

إن السعي إلى تجاوز طغيان المادة على الصورة ومركزية الطبيعة على الانسان عبر نقله من الخضوع لها إلى طموح التحكم فيها، انما أنشأ فهم جديد خاطئ للمركزية في العالم الغربي، هذا الفهم الذي ينبني على تنمية الفردانية والأنانية على حساب ثقافة الحوار والمحبة والمعايشة، فالحداثة التي أرادت تجاوز مركزية اللاهوت وقعت اليوم في مركزية الانسان الغربي ضد باقي الناس وخصوصا العرب منهم. ولذلك فالأحلام التي تعلقت بسعادة وعيش انساني سليم وتقدم نحو تحسين وضع الأرض باعتبارها أم الجميع، انما هي تستفيق اليوم على مشاهد دموية وأشلاء انسانية مشتتة بل بقايا أطفال ملقى بها، في ظل مشاهد الحروب والاضطهاد التي تعاني منها بلدان العرب اليوم على غرار السودان الجريح أو فلسطين المغتصبة. الأمر الذي كشف الستار على خيبه امل مشاريع التعايش وثقافات الحوار والتواصل، فالحال اليوم تعرض للتعرية والأزمة اليوم أعظم بكثير من أزمات الحداثة وما قبلها، لأن الإنسانية حقا وجدت نفسها أمام مستقبل لا محتمل، وآمال لا محققة، واصلاح غير مرجو، بل وكوكب ميؤوس منه، فالإنسان اليوم على حد تشخيص عبد الوهاب المسيري اضحى "سيزيف"

* هو الأمر الذي تمت الإشارة اليه في عنصر الهوية المستقبلية، عند التنويه الى أن مستقبل الإنسانية ينفتح على احتمالات ثلاث، أبرزها وهو الإيجابي يتعلق بالانفتاح على مجتمع عالمي، فمادام الفشل الآن والأوضاع الحالية تنحدر نحو السلب والتشاؤم هو الغالب، اذا فالاحتمالين المتبقيين هما المتوقعان الآن والمتعلقان بفقدان السيطرة والتحكم في مصير الإنسانية (العودة الى ص29).

الذي يحيا حياة خاوية من أي معنى، بل أن الزمن الراهن اليوم وليس العصر الحديث فحسب هو الخراب الذي طال سطح الأرض[1].

لقد حمل موران على عاتقه مهمة النضال والتصدي للتعالي والسامية، بل إنه أعلن بشكل صريح رغم فرنسيته إلى تأييد القضية الجزائرية، وأفصح على الدوام عن موقفه الرافض للممارسات الإسرائيلية مع الفلسطينيين، فهي كلها انتهاكات تعصف بالإنسانية وتقودها إلى الهلاك، وهو الأمر الذي طرحه في قالب استفهامي عندما اشار إلى أن الإنسانية في مرحلة صقل فهل هناك امكانيه لكبت البربرية وتحضير البشر حقا، أيمكننا أن نتابع أنسنة البشر بتهذيبه؟ [2]فاليوم نحن أمام أزمة عويصة تتعلق بالتخاذل أمام تحقيق تأنسنا والتراجع عن الاتحاد بغيرنا مهما مثله هذا الآخر من مغايرة وتنوع عند موران، والدليل أن شعاراتنا التي حملناها وتعاطفنا الذي قدمناه تجاه الغير انما هو تعاطف شكلي استثنى البعض من هذا الغير فقط، أما البعض الآخر فيُطوى ويُرمى. لذا فموران يوجه ويخاطب الغرب بنبرة غضب واستنكار لمختلف التجاوزات التي غال فيها ضد الآخر المغاير له في لغته، وعرقه، ودينه، ومعتقداته، وهو الأمر الذي انعكس بالسلب على حال الإنسانية واسقطها في حالة من الفراغ، بل ان التشكل الهووي الذي أخذ يسير ولو بشكل بطيء نحو الاجتماع والتكوكب بفعل العولمة انما اليوم لا يعرف تراجع وانما يسير نحو الاندثار والزوال النهائي.

وقد أشار إلى أزمة الهوية العربية في ظل تأزم علاقاتها بالواقع الغربي إلى جانب موران المفكر والفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن عندما نوّه إلى الوضع الهزائمي الذي سقطنا فيه كعرب، اذ يتساءل: هل نحن اليوم في أزمة فكرية تضرب فيها آراؤنا ورؤانا بعضها ببعض؟ أم نحن في هزيمة فكرية حلت بنا لتخاذلنا في القيام بواجبنا او لإنكار الآخر لحقوقنا؟ أم نحن في فراغ فكري أتى من موت أصاب الذهن والقلب فينا؟ أم نحن في عجز فكري نتج من ضعف أفهامنا أو من نقص معارفنا؟[3] فهي كلها استفهامات انبثقت بناءاً على الوضع العويص الذي وصلنا اليه، اذ تفشت المشكلات وطغت الأزمات مختلف المجالات، الأمر الذي انعكس بالشلل على فكرنا ووجودنا وتحت لواء كل ذلك هويتنا.

[1] المسيري عبد الوهاب: فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، دار نهضة مصر للنشر، ط1، مصر، 1998م، ص06،07.

[2] موران ادغار: النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص345.

[3] عبد الرحمان طه: الحوار أفقًا للفكر، الشبكة العربية للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2013م، ص07.

لقد اهتم موران في سياق ممارسته النقدية بالثورة الجزائرية إلى جانب عديد المفكرين الآخرين على غرار "فرانس فانون، وجان بول سارتر" من خلال مؤلفه "عارنا في الجزائر"، فقد جهر موران بشكل صريح رافضا للتدخل الذي مارسته فرنسا في شمال افريقيا وخصوصا الجزائر، وهو الأمر الذي حملته أسطر كتابه" دروس قرن من الحياة" أين أعرب على أنه كان يرغب وبشكل شخصي في إقامة علاقات مميزة بين الجزائر وفرنسا،ولكنه كان على جهل بالحقائق الجزائرية في بداية الأمر، وبمجرد اكتشاف التفاصيل المخفية واللامكشوف عنها، خصوصا بعد الإهانة والوصف بالخيانة والعمالة التي تعرض لها" مصالي الحاج" يقول موران:**"لم يعد في وسعي أن أبقى صامتا ازاء حالة مماثلة تسيء إلى أب الجزائر المستقلة نفسه لذلك دافعت عن شرف مصالي الحاج"**. [1] ولذلك كان التدخل الموراني في هذا الشأن، وما كان تدخله في الدفاع على الهوية الجزائرية التي سعت فرنسا إلى وأدها الا عبارة عن تدخل انساني تحرر من أي انتماء ديني، أو وطني، أو أي قيد أيديولوجي، وعبر بفكره الانساني الراقي على ضرورة الابتعاد عن تقزيم الهوية وحصرها في جنس أو شعب أو أمة معينة، وبالمقابل السعي إلى طمس باقي الأمم الاخرى.

هذا ناهيك عن تعرضه للقضية الفلسطينية التي شغلت اهتمام العالم ككل سواء باعتبارها قضية متجذرة منذ القدم ترتبط بمعاناة الفرد الفلسطيني من همجية وطغيان المتسلط اليهودي،أو حتى في الوقت الراهن وبعد أحداث اكتوبر 2024 التي عمدت إلى اغتصاب وانتهاك حدود الإنسانية ككل في غزة، اذ أعرب موران على مساندته وتعاطفه الكبيرين مع الشعب الفلسطيني إلى الحد الذي أدخله محاكم القضاء تحت ادانة الإساءة، غير أن الانصاف كان من نصيبه ونال براءة التعبير عن أفكاره وتصوراته ما دامت هي حقوق فطرية ودستورية. يشير في كتاب "دروس قرن من الحياة" وبعد التنويه إلى موقفه الداعم للقضية الجزائرية والذي عرّضه لمحاوله الاغتيال ها هي اليوم القضية الفلسطينية تحظى بنفس النصيب أو أكثر قائلا: **" وبالمثل بعد بضع سنوات جرّ عليّ تعاطفي مع الشعب الفلسطيني المستعمر في محنته، ولا يزال يجرّ عليّ كثيرا من سوء الفهم وضروب الإساءة والسعاية"**[2].

ان الممارسات التي تشهدها فلسطين اليوم انما تعبر بشكل واضح على سقوط مشروع الهوية الكونية، فالآمال التي تم وضعها نصب العين من أجل مستقبل انساني عالمي يتحد فيه الجميع، انما تمّ التراجع عنها

[1] موران ادغار: دروس قرن من الحياة، المصدر السابق، ص99.

[2] موران ادغار: دروس قرن من الحياة، المصدر السابق، ص101.

بسبب طغيان ولا نهائية الحروب وأهمها حرب فلسطين، وذلك انما يعود إلى سبب ساذج لا أساس له وهو التصور الذي انشأه هذا الآخر المستبد المستعمر في لا وعيه، والمتعلق بأنه هو الضحية، هو المسكين والمعاني، هو الذي تعرض للاضطهاد والعنف، وبالتالي فهو اليوم لا يقوم الا بالدفاع عن نفسه ورد حقوقه، على غرار ما حدث من الصورة التهويلية الزائفة التي ابتكرتها امريكا باتفاقها مع اسرائيل خلال احداث 11 سبتمبر 2001 م كما اكد "نعوم تشومسكي" فيلسوف اللغة والإنسانية من أجل تشكيل غول إرهابي، وتكوين خلفيه سيئة حول العرب، واعتمادها كمبرر لاحتلال العراق باسم النوايا الحسنة وحق الدفاع وافشاء السلام، مع انها في الحقيقة ما هي الا سياسة للكيل بمكيالين.

ولذلك أضحى العرب بهويتهم يعانون الشتات والاضطهاد وكل انواع العنصرية والتمييز، وتم اتهامهم عنوة بالإرهاب والإجرام، وهو الأمر الذي عبر عنه موران في مقال نشره بالتعاون مع "سامي نير" و" دانييل سالناف" في جريدة لوموند تحت عنوان" اسرائيل فلسطين السرطان" اذ يقول:" **تكوّن هذا السرطان الاسرائيلي الفلسطيني متغذيًا من القلق التاريخي لشعب اضطهد في الماضي، إن يهود اسرائيل وهم ضحايا ابرتهايد سمي غيتو، يطبقون هذا الغيثو على الفلسطينيين، اليهود الذين أُذلوا واحتُقروا واضطُهدوا، يُذلون ويحتقرون ويضطهدون الفلسطينيين، اليهود الذين كانوا ضحايا نظام لا يرحم، يفرضون على الفلسطينيين نظامهم الذي لا يرحم، اليهود الذين هم ضحايا لا إنسانية، يظهرون لا انسانية مريعة**"[1].

ان الهوية الفلسطينية اليوم تقدم الصورة الفعلية والنقل المباشر لفشل الإنسانية على التحقيق، وأحداث السابع أكتوبر 2024 الراهنة في غزة خير مثال على ذلك، من مجازر وتجاوزات انسانية فظيعة قام ولا يزال يقوم بها الاسرائيليون، والمفارقة العجيبة في ذلك السكوت وحالة العماء القصدي التي يقوم بها العالم ازاء هذا الوضع، كل ذلك عبر خلق صورة ارهابية لحماس وتنصيبها السبب الحقيقي وراء هذه الحروب الجديدة، في مقابل تبرئة اسرائيل عبر الوقوف إلى جانبها بحجة أنها عانت الرعب من تلك التفجيرات، لا بل هي اليوم تقوم بالدفاع عن نفسها ورد حقوقها.[2] وموران له رأي في هذه النقطة اذ يقول متهكما:" **وعي اسرائيل أنها ضحية**

[1] موران ادغار: المنهج (الأفكار)، المصدر السابق، ص13،14.

[2] حمدي شهرزاد: الفيلسوف انسان النقصان نحو مساءلة نقدية لأحكام النسق (الحرب في غزة حجة)، الصفوة للدراسات الحضارية، موقع صفوة، https://safwa center.net/about-us تاريخ النشر: 2024/01/26م، تاريخ التصفح: 2024/08/12م، الساعة: 14:13.

هو الذي يتيح لها ان تصبح قامعة للشعب الفلسطيني، كلمه محرقة التي تميز بها مصير اليهودي كضحية، والتي تتفّه جميع المحارق الأخرى أصبحت تبرر الاستعمار والأبارتهايد والفيتو الممارس على الفلسطينيين"[1]

ولذلك فالطرح الذي لابد اعادة صياغته اليوم ينطلق من هذه الزاوية الجديدة، الطرح الذي يروم الاستفهام حول إمكانية الحديث اصلا على الإنسانية قبل نقلها إلى اتحاد وشوملة عالمية: هل يتسنى لنا اليوم التأسيس لوعي مستقبلي جديد ووعي الغرب اليوم منحرف طال الداء مختلف جوانبه؟ هل حقا تتأنسن انسانيتنا ونحن كأخر تجردنا من كل أنواع التعاطف والمساندة؟ كيف يمكن لنا أن ننادي بأخلاق وهوية كوكبية تشمل الجميع ونحن واقعيا مكتوفي الأيدي؟ ونحن نساند ونشارك ونقتني منتوجات الشركات الداعمة بشكل صريح للعنصرية والسامية؟ إذا كان الشهيد في فلسطين اليوم يدفن بناء على ميزان 70 كلغ من الاشلاء المبعثرة والمختلطة، كيف نمارس حياتنا بشكل عادي ونفرح ونعايش مختلف نشاطاتنا؟ هل لنا الحديث على مستقبل مشرق وبوتقة انسانية واحدة إذا؟

[1] موران ادغار: المنهج معرفة المعرفة (الأفكار)، المصدر السابق، ص14.

نتائج الفصل:

1- ان مستقبل الإنسانية عند موران لا يتعلق بالنظر والمسار الخطي الذي يتجه على نحو واحد مغلق من الماضي إلى الحاضر نحو المستقبل كما صورته النظرة الاختزالية، وانما من أجل مستقبل مستشرف وانسانية منفتحة على التغيير البناء، لابد من تغيير هذا المسار ونقله إلى الارتداد عبر العودة إلى الماضي ومعايشته بما فيه من تراث وثقافة، حتى يتسنى بعد ذلك الانتقال بشكل جليّ واضح نحو الحاضر ومن ثم ازالة اللبس حوله ومعالجة سوء الفهم الذي طاله، هذا الأمر وحده سيمكّن من السير نحو المستقبل والذي بدوره يعود ويرتد إلى الزمنين الماضيين ويتعلق بهما ولذا فالإنسانية ومن أجل بلوغ تأنسنها ونيل عالميتها الهوياتية، لا محالة عليها المعايشة والانفتاح على المسار الارتدادي لثلاثية الزمن.

2- ان الانتقال بالإنسانية إلى وضع شامل يقتضي لقاء الذوات وتفاعلها وتلاقحها في جو ديناميكي واحد، وهو الأمر الذي لا يتم عبر ثورة وانما يقتضي عمليه التحول Métamorphose، للحالة الراهنة للكائن الإنساني، وذلك عبر نقل العلاقات بين الناس من التنافر والصراع والمركزية، إلى حقل أكثر شمولية تحت لواء هوية واحدة يتلاقى فيها البعد الفردي وخصوصية الانسان الواحدة، مع البعد الاجتماعي الذي يرتقي عبر أسس التواصل نحو بعد آخر أكثر عالمية وهو البعد الثقافي، الذي يشمل جميع الناس ويضفي طابع التركيب والتعقيد على مختلف العلاقات، ولذلك فالهوية الإنسانية عليها أن تسير في المستقبل القادم نحو التكتل والاجتماع والتلاقي، وهو ما يشكل خصوصية الوحدة والتنوع فهي باشتمال والتقاء الافراد المتنوعين تصل إلى هوية كوكبية واحدة في النهاية.

3- ان التربية هي المعول الاساسي الذي يضعه ادغار موران نصب عينيه وذلك لما لها من دور أساسي في مد وتكوين الافراد بما يلزم من أجل معالجة وتصحيح اللبس وسوء الفهم الذي أفرجت عنه أغاليط الحداثة، ولذلك عليها بما تتوفر عليه من أسس تعليمية أن تحدث التحول الأفضل بنقل الإنسانية والهوية البشرية إلى هوية ارضية شاملة، فالتعليم فيها ينطلق من غرس الوعي بإنسانية جماعية وذلك عبر الارتقاء إلى تعليم الفهم

ومعالجته من خلال غرس مفهوم انسانية متطورة تخص التعاطف والتسامح، والتلاقي بين الذوات كل ذلك للوصول إلى ديمقراطية ومواطنة ارضية تسع الكل.

ليبقى طموح العيش المشترك والقضاء على طغيان المركزية الغربية وسعيها إلى طمس الآخر المخالف لها هو المشروع الذي سعى ولا يزال موران على الدوام يسعى من أجل تجسيده على أرض الواقع، باعتباره مشروع يروم إيثيقا واحدة ذات بعد كوكبي تستبعد الاستبعاد وتؤصل لوصايا محققة للتلاقي والتواصل والتآخي بين الكائنات البشرية، في ظل جو تسوده المحبة هو جو الوحدة والهوية الإنسانية الكوكبية التي تعود بالجميع إلى مقاسمة ومشاركة نفس الحياة على سطح نفس الأرض والكوكب، ولكن هل لا يزال بالإمكان الحديث على هذا الأمل والطموح بعد أحداث غزة الأخيرة في ظل طغيان مركزية يهودية جديدة، وبالمقابل تكتم وبكم عالمي؟ هل سنتمكن حقا من أرضنة الهوية الكوكبية في سياق مواصلة طغيان الفردية، وتعالي الأنانية والنظرة المتعالية التحقيرية؟

خـــــاتمة

ساهم التمرد الذي خص الكنيسة إبان نهايات القرون الوسطى في احداث انفال واضح بين اللاهوت والعلم، اذ تمكن هذا الأخير بعد جهود البولندي كوبرنيك والإيطالي غاليلي ومن أتى بعدهم، من الاستقلال الفلسفة موضوعا ومنهجا، وهو الأمر الذي أخذ يبشر ببوادر نهضة أوروبية شاملة جسدت التغيير والتقدم اللازمين لحال الحضارة الغربية بل امتدا للإنسانية أجمع. غير أن الموضوع المأزوم الأول ما لبث أن زال حتى أخذت بوادر تأزم جديد تلوح في الأفق، وذلك بعد طغيان التقنية وانحراف النتائج العلمية عن مراميها في الفترة الراهنة، فالعقل الذي أنار بصيرة الظلمات ها هو اليوم يقع أعمى أمام مختلف التطورات، الأمر الذي طبع انسان هذا العصر الذي غلبت عليه الأنانية والنزعة البراغماتية، بطابع الهلع واليأس فأخذت وضعيته في الكون وهويته تعايش الاغتراب، اذ عوض الحوار والتذاوت طغى الصراع والتناحر، ولذلك توضح من خلال هذا العمل الإمكان بتقديم صياغة نقدية لحداثة الحضارة الغربية من وجهة نظر ادغار موران، في مقابل تقديم البدائل الترياقات الأنسب التي تمثل سبلا الخروج من حالة الأزمة الراهنة إلى مرحلة أكثر أخلاقة تجسد الشكل الحقيقي للهوية الإنسانية التي في سياق وحدتها تنطوي كذلك على التعدد.

لذا فالقراءة المتجددة التي قدمها ادغار موران لحضارة وهوية انسان الفترة الحالية، وتأسيسا على ما تم ذكره، تتوصل دراستنا الموسومة بـ "نحو بناء هوية إنسانية كوكبية عند ادغار موران" إلى جملة من النتائج ركزت في جوهرها على ناحيتين: احداهما تشخيصية مثلت وقوفه على حال الراهن تحليلا ونقدا، أما الثانية فتعلقت بتفاؤله لحال المستقبل واقتراحه آليات لااصلاح المناسبة للحاضر. ويمكن صياغة هذه النتائج على النحو التالي:

أولا: سلوك موران لمسار التفكيك كخطوة أولى من خلال وضع أسس الحداثة الغربية في ميزان النقد واخضاعها للمساءلة والغربلة، عبر قراءة ترتقي من التناول الشكلي إلى الفحص المعمق لوضع انسان اليوم المتأزم، وهو الأمر الذي حاولنا توضيحه عند موران، فالأزمة أرّقت تفكيره وذلك لأنها مثّلت الداء الذي استفحل عبر مختلف جوانب الحضارة، اذ حطّت على السياسة والتربية، وطالت البيئة وكذا الاقتصاد، فأنتجت ضياع شامل كوّن حالة سوء فهم للأوضاع وحتى للذات، وهو الأمر الذي كشف على أنه عوض نقل الماضي إلى وضع أفضل وقع اليوم الحاضر في حال متأزم، ولذا فالضرورة تستدعي قراءة جديدة وإزالة نهائية لسوء الفهم، فالمعرفة والفهم المناسبين لحال الحاضر سيمكنان لا محالة من إزالة اللبس على الماضي، وبالتالي الارتقاء بشكل إيجابي جلي نحو المستقبل، وهو ما سيرسم الطريق نحو اصلاح أنسب لهوية الانسان وبالتالي حضارته.

ان التأزم الذي طال الحضارة الغربية عند ادغار موران لم يُشخص بدون دعائم ولم يوضع محل اهتمام بشكل اعتباطي، وانما لكونه تجسيد لأسباب ونتائج تستدعي المراجعة، فمن ناحية أولى تتمثل بوادره في نية السيطرة على الطبيعةالتي انقلبت إلى اغضابها، وذلك لأن الآليات التي تم تجنيدها لتجاوز عالم التجريد اللاهوتي، والحط بالإنسان على الكون المادي انما قادت إلى تأليه من نوع جديد، تأليه صار الانسان ممثله، فأرضنة الاهتمام الفكري في الفترة الحديثة لم تساهم في الخروج من الازمات الكلاسيكية بل على العكس فتحت مجال لأزمات من نوع مغاير. وهو الأمر الذي يقود إلى ناحية ثانية عبرت على نتائج في جوهرها تعود إلى الطغيان المبالغ فيه لنزعة الأنانية والتعالي بفعل الافرازات العلمو-تقنية واعتماد نماذج ابستيمولوجيا مغايرة تبسيطية.

ثانيا: تأكيد موران على أن التأزم الحالي انما يرتبط بتطوير الإنسانية لنوع من " الذكاء الأعمى " وهو الذكاء الذي عوض مدّ الانسان بسبل الإصلاح والنجاح، منحه راحة وسعادة مؤقتة، وزاد من عمق الازمة أكثر ولذلك فالتعويل عليه والتعالي بتمجيده سيردي الأوضاع أكثر، خصوصا من حيث تشويه الانسان وتضييع ذاته ضمن صخب الحداثة. ولذا فهو يقر بضرورة اختراق النظرة المحدودة للجانب الاصلاحي وتجاوز تسليط الضوء على البعد الابستيمولوجي فحسب، بل لابد من الاهتمام بجوانب اخرى أنطولوجية وأكسيولوجية وذلك لأن وضع الانسان الحالي ضائع وجوديا ومتشرذم قيميا، لهذا لا يجب الثقة في التقنية والعلم كأداة لإحداث التغيير، بل النقلة إلى حال أحسن بالإنسانية ستكون من خلال ذريعة جديدة تتمثل في أنموذج التعقيد، هذا الأنموذج الذي سيمثل ثورة مغايرة على ابستيمولوجيا التبسيط السابقة التي قزّمت العالم واختزلت ظواهره في أجزاء صغيرة منفصلة عن بعضها البعض، الأمر الذي انعكس على الانسان وعلاقاته بذاته وبغيره.

ثالثا: نوه موران من خلال نموذج التعقيد إلى أن الهوية الانسانية التي تعاني سقم وجودي قيمي وتنفتح على حال من الضياع والتلاشي، انما بالإمكان الآن وعبر هذا المشروع الحديث على بعث جديد لها وتشكل انساني مغاير، يتجاوز كل ما هو سلبي ويرتقي إلى فهم جلي يتخلله التركيب، فالعلاقات الانسانية التي عانت لسنون طوال من التشرذم صار بالإمكان اليوم اخراجها من حال ماضٍ متذبذب، وحاضر متأزم، إلى وضع مستقبلي منفرج، ولذا ومن خلال ابستيمولوجيا التعقيد قدم موران نظره واحياء جديدين للوضع البشري،

احياء قوامه تذاوت الذوات وتواصل الآنات، عبر بث قيم لإنسانية متسامحة معترفة متفاعلة هي الإنسانية المؤنسنة، التي ترتحل من الذات الواحدة المقبلة على باقي الذوات الاخرى في سياق بوتقة تفاعلية.

وهي النظرة التفاؤلية المشرقة التي حملها فكر ادغار موران تجاه حال الإنسانية وهو سبب ارتكاز جهوده نحو توحيد الرؤية حول هوية الانسان عبر إضفاء التعقيد عليها وجمع مختلف الرايات والذوات تحت لوائها، وذلك من خلال ارداف الجانب الروحي العاطفي على العلاقات الإنسانية ونقلها من حيز الانفصال إلى حيز التلاقع والتلاقي.

رابعا: منح موران الإنسانية ولا يزال إلى يومنا الحالي يمنحها مشروع ومسار إيجابي تفاؤلي يسعى إلى اصلاح الحاضر بشكل فعال يسمح بالسير نحو مستقبل مشرق، وهو الطموح الذي عبّر عليه ضمن مختلف متون مؤلفاته والتي على اختلافاتها حملت نفس الغاية وسعت إلى نفس الطموح المستقبلي والمتعلق بإحياء إنسانية البشرية على غرار كتاب: السبيل لأحل مستقبل البشرية، نحو سياسة حضارية، تربية المستقبل، لنغير السبيل، اذ كلها تسير في منحى إصلاحي ومشروع قوامه بث الشروط الكافية لشوملة وكوكبة هوياتية. ولعله الأمر الذي أسند إلى التربية بالدرجة الأولى باعتبارها الأساس والمنطلق الأول الذي يمد الانسان بالدعائم الكافية، اذ ربط موؤان بالتربية أسس اذا ما تم غرسها منذ البداية فإن الإنسانية لا محالة ستسير نحو التأنسن، وما للأمر من أخلاقيات وضوابط منطلقها الأساسي أواصر الحب والتآخي والاستعانة بقيم الاعتراف والتسامح، لأن ذلك وحده ما سيسمح بتجسيد التبادل والتلاقي بين الذوات والاقبال عوض النفور، وبالتالي يتجسد بشكل شاعري حقيقي في عين الوقت مشروع إنسانية الإنسانية، وتُحتضن بذلك الهوية تحت جناح كوكبي انساني شامل طالما العيش أضحى واحد مشترك.

لكن ومع ذلك خصوصا بعد الأحداث التي طالت فلسطين منذ تاريخ 07 أكتوبر 2023م هل لا يزال في الإمكان الحديث على نقلة وأنسنة جديدة للإنسانية؟ هل يستطيع مشروع الهوية الموراني أ، يصمد في ساحة التفاؤل أمام الأوضاع الإنسانية قبل السياسية التي تقع للفرد الفلسطيني؟ كيف يتسنى لنا اليوم التشييد لهوية كوكبية والفلسطيني يتعرض لمختلف أشكال الطمس والتجاوز؟

وفي الأخير نأمل أن تكون أطروحتنا دراسة علمية مساهمة في اثراء الفكر الموراني الذي سعى إلى كشف انحرافات الخطابات الحداثية، وفي ذات الوقت الطموح والمناداة بتأسيس انساني مغاير

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

باللغة العربية

1. موران ادغار: التفكير الشامل (الانسان وكونه)، تر: المنتصر الحملي، منشورات الصفحة سبعة، ط1، الجليل، المملكة العربية السعودية، 2022

2. موران ادغار: السبيل لأجل مستقبل البشرية، تر: بشير البعزاوي، منشورات الجمل، ط1، بيروت، لبنان، 2019

3. موران ادغار: العقل المحكم (إعادة التفكير في الإصلاح وإصلاح التفكير)، تر: المنصف ونّاس، معهد تونس للترجمة، دط، تونس، 2020

4. موران ادغار: الفكر والمستقبل مدخل الى الفكر المركب، تر: القصوار أحمد والحجوجي منير، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2004

5. موران ادغار: المنهج (الأخلاق)، تر: يوسف تيبس، ج6، أفريقيا الشرق، المغرب، 2021

6. موران ادغار: المنهج معرفة المعرفة أنتروبولوجيا المعرفة (ج3)، تر: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2012

7. موران ادغار: النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، تر: صبحي هناء، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2009

8. موران ادغار: الى أين يسير العالم، تر: العلمي أحمد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2009

9. موران ادغار: تربية المستقبل (المعارف السبع ضرورية لتربية المستقبل)، تر: لزرق عزيز والحجوجي منير، دار توبقال للنشر، اليونسكو، الدار البيصاء–فرنسا، ط1، 2002

10. موران ادغار: تعليم الحياة (بيان لتغيير التربية)، تر: الطاهر بن يحي، منشورات ضفاف، ط1، بيروت، لبنان، 2016

11. موران ادغار: ثقافة أوروبا وبربريتها، تر: محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2007

12. موران ادغار: دروس قرن من الحياة، تر: خليد كدري، منشورات الصفحة سبعة، ط1، المملكة العربية السعودية، 2022

13. موران ادغار: سبعة مبادئ من علم التعقيد، تر: علي طارق، دار الكتب والوثائق، ط1، بغداد، العراق، 2019

14. موران ادغار: في مفهوم الأزمة، تر: بديعة بوليلة، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان، 2018

15. موران ادغار: نحو براديغم جديد، تر: تيبس يوسف، مجلة رؤى تربوية، العدد29.

16. موران ادغار: هل نسير الى الهاوية؟، تر: حزل عبد الرحيم، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2012

17. موران ادغار، بودريار جان: عنف العالم، تر: توما عزيز، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، دط، 2005

18. موران ادغار، بودريار جان: عنف العالم، تر: عزيز توما، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية

19. النشار مصطفى: تطور الفكر السياسي القديم (من صولون حتى ابن خلدون)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999

باللغة الأجنبية:

1. Edgar morin ;sabah abouessalam, changeans de voie les leçons du coronavirus, éditions denoél, paris, 2020

2. Edgar morin, la méthode 5, l'humanité de l'humanité, édition du seuil, paris, 2001

3. Edgar morin, la voie pour l'avenir de l'humanité, éditions fayard, paris, 2011

4. Edgar morin, le paradigme perdu: la nature humaine, éditions du seuil, paris, 1973

5. Edgar morin,leçons d'un siécle de vie, editions denoél, paris, 2021

6. Edgar Morin: Introduction à la pensée complexe, éditions du seuil, paris, 2005

7. Morin Edgar; Méthode 1, la nature de la nature, paris, edition du seuil,1977

قائمة المراجع:

1. أبو ريان محمد علي: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (المقدمات العامة–الفروقات الإسلامية وعلم الكلام– الفلسفة الإسلامية)، دار المعارف الجامعية، دب، ط2، 1990

2. أبو ريدة محمد عبد الهادي: رسائل الكندي الفلسفية، دار الفكر العربي، مصر، دط، 1950

3. أبو سحلي كرم: ثمن التنوير حوارات مع فلاسفة ألمان، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 2019

4. أحمد إبراهيم: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، لبنان، 2006م

5. أفلاطون: الكحاورات الكاملة، تر: شوقي داود تحراز، مج 2، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، دط، 1994

6. أفلاطون: جمهورية أفلاطون، تر: حنا خباز، مطبعة المقتطف والمقطم، دب، دط، 1929

7. آل ياسين جعفر: فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط، دار مكتبة البصائر، بيروت، ط1، 2012

8. أمين عثمان: الفلسفة الرواقية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، 1945م

9. آن شتغ: تاريخ الفكر الصيني، تر: حمود محمد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012.

10. باشلار غاستون: الفكر العلمي الجديد، تر: العوا عادل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983

11. باومان زيجمونت، بوردوني كارلو: حالة الأزمة، تر: أبو جبر حجاج، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2018

12. بدوي عبد الرحمن: ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، دط، مصر، 1943

13. بلايك جيمس: الهيولية تصنع علما جديدا، تر: علي يوسف علي، المجلس الأعلى للثقافة، دط، القاهرة، مصر، 2000

14. بلكا الياس: الوجود بين السببية والنظام (دراسة في الأساس الشرعي والفلسفي لإستشراف المستقبل)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، فيرجينيا، الو.م.أ، 2009

15. بنعبد العالي عبد السلام، أسس الفكر الفلسفي المعاصر (مجاوزة الميتافيزيقا)، دار توبقال للنشر، المغرب

16. بوانكاريه هنري: قيمة العلم، تر: شغموم الميلودي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، 2006

17. بومنير كمال: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت(من ماكس هوركهايمر الى أكسل هونيث)، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010

18. البوني عفيف: في الهوية القومية العربية، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013

19. تارناس ريتشارد: آلام العقل الغربي (فهم الأفكار التي قامت بصياغة نظرتنا الى العالم)، تر: جتكر فاضل، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الامارات، ط1، 2010

20. تايلور تشارلز: منابع الذات (تكوّن الهوية الحديثة)، تر: حاج إسماعيل حيدر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2014

21. التريكي فتحي، التريكي رشيدة: فلسفة الحداثة، مركز الانماء القومي، بيروت، دط، 1992

22. تورين ألان: نقد الحداثة، تر: مغيث أنور، المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1997م

23. الجابري محمد عابد: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط8، 2002

24. الجابري محمد عابد: مسألة الهوية (العروبة والإسلام..والغرب)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 2014

25. الجرجاني محمد: معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت

26. جورافسكي أليسكي: الإسلام والمسيحية، تر: الجراد خلف محمد، عالم المعرفة، الكويت، دك، 1996م

27. حلمي مطر أميرة: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1998

28. حمود ماجدة: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، دط، 2013

29. حنفي حسن: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012

30. خليل أحمد خليل: مداخل الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1988

31. الدواي عبد الرزاق: موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر (هيدجر- ليفي ستروس-ميشيل فوكو)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط1، 1992

32. ديكارت رينيه: حديث الطريقة، تر: الشارني عمر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008م

33. ديكارت رينيه: مقال عن المنهج، تر: الخضيري محمود محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1985

34. ديكارت رينيه: مقالة الطريقة لحسن قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم، تر: صليبا جميل، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط3، 2016م

35. ديكارت: التأملات في الفلسفة الأولى، تر: عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، دط، 2009

36. روس جاكلين: الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: العوا عادل، منشورات عويدات، بيروت، دط،.

37. زكرياء فؤاد: نيتشه (نوابغ الفكر الغربي)، دار المعارف، مصر، 1966

38. سبيلا محمد: الحداثة وما بعد الحداثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2000م

39. سبيلا محمد: مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009م

40. سمير حميد: خطاب الحداثة قراءة نقدية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الإصدار 15، الكويت، ط1، 2009

41. شلبي أحمد: مقارنة الأديان4 اديان الهند الكبرى (الهندوسية، الحينية، البوذية)، مكتب النهضة المصرية، القاهرة، ط11

42. شهاب محمد: رواد علم الاجتماع، موقع كتب عربية، دط، دب، دت

43. شوفالييه جان جاك: تاريخ الفكر السياسي (من المدينة الى الدولة القومية)، تر: صاصيلا محمد عرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993م

44. الشيخ محمد: نقد الحداثة في فكر نيتشه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2008

45. عبد الرحمان طه: الحوار أفقًا للفكر، الشبكة العربية للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2013

46. عبد الرحمن طه، روح الحداثة (المدخل الى تأسيس الحداثة الإسلامية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006

47. عطية أحمد عبد الحليم: نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2010

48. غالب مصطفى: نيتشه، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، دط، 1988

49. الفارابي أبو نصر: كتاب الحروف، دار المشرق، بيروت، دط، 1986.

50. فروم ايريك: مفهوم الانسان عند ماركس، تر: محمد سيد الرصاص، دار الحصاد للنشر، ط1، سوريا، 1998.

51. فضل الله مهدي: فلسفة ديكارت ومنهجه (دراسة تحليلية ونقدية)، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1996

52. فيري لوك: الانسان المؤله أو معنى الحياة، تر: هشام محمد، أفريقيا الشرق، بيروت، دط، 2002

53. فيري لوك: تعلم الحياة سأروي لك تاريخ الفلسفة، تر: الولي سعيد، أبو ظبي للثقافة والتراث، الامارات، دط، دت

54. الفيلالي أبو بكر: العلم في مواجهة الفلسفة التقليدية أو موران ضد ديكارت، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المغرب، ماي 2023

55. قيروللو شارل: اساطير بابل وكنعان، تع: خير بك ماجد، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، سوريا، ط2، 1990

56. كانط ايمانويل: مشروع للسلام الدائم، تر: أمين عثمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1952

57. كرم يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 2012م

58. كرم يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، 1946

59. الكفوي أبي البقاء: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1998

60. لاوتسه، تشوانغ تسه: التاو، تر: العلوي هاني، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط1، 1995

61. لبيض سالم: الهوية العروبة، الإسلام، التونسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2009

62. لخميس عبد الحميد، الهوية والاعتراف في فلسفة تشارلز تايلور، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، دط، اربد، الألادن، 2021

63. مراد محمود: دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2004

64. المرزوقي جمال: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، دار الأفاق العربية، بيروت، ط1، 2002

65. مسرل ادموند: أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترونسوندنتالية، تر: إسماعيل مصدق، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2008

66. المسيري عبد الوهاب: دفاع عن الانسان دراسات نظرية وتطبيقية في النماذج المركبة، دار الشروق، ط2، القاهرة، مصر، 2006

67. المسيري عبد الوهاب: فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، دار نهضة مصر للنشر، ط1، مصر، 1998

68. مصدق حسن: النظرية النقدية التواصلية (يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005

69. معلوف لويس: المنجد في اللغة العربية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، دط، 2009

70. مفرج جمال، الفلسفة المعاصرة من المكاسب الى الاخفلقات، منشورات الاختلاف (الجزائر)، الدار العربية للعلوم ناشرون(بيروت)، ط1، 2009

71. منور أحمد: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، دب، دط، 2007

72. هابرماس يورغن: القول الفلسفي للحداثة، تر: الجيوشي فاطمة، منشورات دمشق، دط، 1995م

73. هاشمي محمد: مقاربات الهوية عند تايلور، موقع مؤمنون بلا حدود، 2023/01/25، 13:51.

74. هايدغر مارتن: الفلسفة، الهوية والذات، تر: محمد مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015

75. هوركهايمر ماكس، أدورنو ثيودور.ف: جدل التنوير (شذرات فلسفية)، تر: كتورة جورج، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2006

76. هونيث أكسيل: الصراع من أجل الاعتراف (القواعد الأخلاقية للمآزم الاجتماعية)، تر: جورج كتورة، المكتبة الرقية، ط1، بيروت، لبنان، 2015

77. هيغل: العقل في التاريخ، تر: امام عبد الفتاح امام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2007

78. الوالي كاظم عبد الجليل: جدلية العولمة بين الاختيار والرفض ضمن كتاب جماعي العولمة وتداعياتها في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2003

79. وانبرغ ستيفن: أحلام الفيزيائيين بالعثور على نظرية نهائية جامعة شاملة، تر: السمان أدهم، مكتبة دار طلاس، دمشق، ط2، 2006

80. وطفة علي: مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فكر ونقد، العدد 43، نوفمبر 2001

81. وهبة مراد: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، دط، 2007

باللغة الأجنبية:

1. A.Touraine, critique de la modernité, les éditions fayard, paris,1992
2. René descartes: discours de la méthode, librairie de l.hachette et giv, paris, 1856
3. René guénon, la crise du monde moderne, éditions bossard paris, 1927

الموسوعات والعاجم:

1. ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دط، 2016
2. أندري لالاند:موسوعة لالاند الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001م
3. بدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984
4. الخويلدي زهير: تعقد الطبيعة البشرية عند ادغار موران، موسوعة الفلسفة الغربية المعاصرة (صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة الى التشفير المزدوج)،ج2، دار الأمان، 2012م
5. صليبا جميل: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة بيروت، لبنان، دط، 1982

6. لالاند أندري: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، ج2، عويدات للنشر، بيروت، دط، 2012.

7. م.روزنتال، ب.يودين: الموسوعة الفلسفية، دار الطليعة، لبنان، ط4، 1981

8. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008

9. مذكور إبراهيم: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1983

المقالات:

1. بلخضر وحيد، دراس شهرزاد: الهوية البشرية والتعدد الثقافي عند ادغار موران/ مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد 09، العدد 03، جوان 2020م، وهران

2. بن ماضي فاطمة الزهراء، شريف رضا، براديغم التعقيد كرهان لاستشراف المستقبل في فكر ادغار موران، مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد08، العدد04، 2001م، الجزائر

3. خليفة داود: السيبرنطيقا دراسة في المفهوم ومجالاته، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران، المجلد 11، العدد02، أفريل 2022

4. خليفة داود: نحو ابستيمولوجيا حوارية، سلسلة الأنوار، المجلد09، العدد02، نوفمبر2019

5. الدمرداشي ربيع عبد الغفار خديجة، فلسفة الذكاء الاصطناعي، مجلة متون، المجلد 16، العدد 03، جويلية 2023

6. ديون حياه: حدديث النهايات العقل التواصلي بديلا عن العقل الأداتي، مجلة مقاليد، لبعدد 05، ديسمبر 2013

7. سعد الله محمد سالم: مدرسة فرانكفورت النظرية النقدية وفلسفة النص، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، سطيف، العدد09، 2009م

8. سعيد رقية: منظومة الهوية وعلاقتها بالديمقراطية في الفكر السياسي، مجلة قضايا سياسية، العدد 60، بغداد، 2020

9. سعيدي عبد الفتاح: نقد العقل العلمي الحداثي عند ادغار موران، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26، سبتمبر 2016م

10. سعيدي عبد الفتاح: نقد العقل العلمي الحداثي عند ادغار موران، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد26، 2016م، الجزائر

11. صديقي علي: الأزمة الفكرية العالمية نحو نموذج معرفي قرآني بديل، مجلة إسلامية المعرفة، السند 15، العدد 59، 2010م

12. طه محمد: علم المعرفة آفاق جديدة في دراسة العقل، مجلة عالم الفكر، المجلد35، العدد01، سبتمبر 2006

13. كحول سعودي: في مفهوم الهوية الكوكبية والانسان المركب عند ادغار موران، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد 11، العدد 01، 2024

الأطروحات:

باللغة الأجنبية:

1. Christine daigl. Le nihilisme est-il un humanisme ? etude sur nietzche et sartre, théze de doctorat en philosophie. Université de montréal,2000

المواقع الالكترونية:

1. بنكيران رضا: التعقيد، شبكة قراءة للعالم المعاصر، 2024/07/08، 14:50، www.archipress.org/raed/page.

2. حمدي شهرزاد: الفيلسوف انسان النقصان نحو مساءلة نقدية لأحكام النسق (الحرب في غزة حجة)، الصفوة للدراسات الحضارية، موقع صفوة، https://safwa center.net/about-usتاريخ النشر: 2024/01/26م، تاريخ التصفح: 2024/08/12م، الساعة: 14:13.

فهرس الأعـــلام

ابن رشد: 17 ..

ادغار موران: 2

أرسطو: 14

أفلاطون: 14

الفارابي: 16

بارمنيدس: 13

ديكارت: 17

هرقليطس: 12

هيغل: 18

ادغار موران: 1 ،2 ،3 ،4 ،5 ،6 ،7 ،2 ،23 ،24 ،26 ،35 ،36 ،40 ،43 ،49 ،52 ،62 ،
63،65 ،67 ،69 ،71 ،72 ،73 ،76 ،78 ،85 ،90 ،94 ،95 ،97 ،98 ،100 ،101 ،
102،104 ،105 ،106 ،108 ،110 ،112 ،113 ،114 ،115 ،116 ،119 ،125 ،
128،130 ،131 ،133 ،136 ،138 ،140 ،143 ،144 ،145 ،146 ،147 ،148 ،
149،150 ،151 ،152 ،153 ،159 ،162 ،163 ،164 ،165 ،167 ،168 ،169 ،
171،172 ،177 ،178 ،179 ،183 ،184 ،186 ،188 ،190 ،191 ،192 ،194 ،
197،199 ،202 ،207 ،210 ،211 ،212 ،221 ،222 ،223

أرسطو،14 ،15 ،16 ،18 ،25 ،31 ،81

أفلاطون،14 ،99 ،110 ،216

آلان تورين،48 ،54

الرواقية،28 ،29 ،30 ،67 ،216

الفارابي،16 ،55 ،219

الكندي،16 ،216

أوغسطين،31

بارمنيدس،12 ،13

تشارلز تايلور،11 ،199 ،220

توما الإكويني،31
توماس كوهن،49
جان بودريار،45 ،116
حسن حنفي،21
ديكارت،17 ،18 ،46 ،47 ،50 ،51 ،60 ،63 ،67 ،73 ،74 ،79 ،83 ،84 ،85 ،88 ، 219،218
شلينغ:19
غاستون باشلار:88
لوك فيري:60 ، 61
مارتن هايدغر، 110 ، 111 ، 216
ماكس هوركهايمر، 57 ، 217
محمد عابد الجابري، 21
نيتشه، 55 ، 56 ، 57 ، 110 ، 218 ، 219
هابرماس، 45 ، 59 ، 60 ، 145 ، 220
هرقليطس، 13 ، 28
هنري بوانكاريه، 101
هيغل، 18 ، 19 ، 20 ، 33 ، 34 ، 35 ، 98 ، 104 ، 198 ، 221
وثيودور أدورنو، 57

فهرس المصطلحات

المصطلحات باللغة الانجليزية	المصطلحات باللغة الفرنسية	المصطلحات باللغة العربية
Cosmic Identity	identité cosmique	الهوية الكون
Cosmic Cosmology	science cosmologique	علم الكون الكونية
Planetary	planétarité	الكوكبية
Modernity	modernité	الحداثة
Reductionism	réductionnisme	الاختزالية
Reductionist Thought	pensée réductionniste	الفكر الاختزالي
Nothingness	néant	العدم
Nihilism Crisis	crise nihiliste	العدمية أزمة
Kreysiology	créasiologie	كريزيولوجيا
Rationality	rationalisme	العقلانية
Rationalization	rationalisation	العقلنة
Simplification of the Thinking Self	simplification du soi pensant	تبسيط الذات المفكرة
The Extended Thing	l'objet étendu	الشيء الممدود
Blind Intelligence	intelligence aveugle	ذكاء أعمى
Pathology of Knowledge	pathologie de la connaissance	باطولوجيا المعرفة
Complexity	complexité	تعقيد
Theory of Cybernetic Divine	théorie de la cybernétique	نظرية الرُبّانية السيبرنطيقا
Chaos Theory	théorie du chaos	نظرية الفوضى (الكاوس الشواش)
Nonlinear System	système non linéaire	منظومة لاخطية
- Theory of Information	- théorie de l'information	نظرية الاعلام
- Principle of Dialogic	- principe dialogique	مبدأ الديالوجيك
Principle of Dialogism	principe de l'interaction	مبدأ الحوارية

Principle of Organizational Feedback	principe de rétroaction organisationnelle	مبدأ الإرتداد التنظيمي
Circular Causality	causalité circulaire	السببية الدائرية
Holographic Principle	principe holographique	المبدأ الهولوغرامي
Holography	holographie	الهولوغرامية
Homo Sapiens	homme raisonnable	إنسان عاقل
Madman	homme fou	انسان مجنون
Neanderthal Man	homme de Néandertal	الانسان النيوندرتالي
Anthropocene	anthropocène	الأنثروبوسين
Believing Man	homme croyant	الإنسان المؤمن
Religious Man	homme religieux	الانسان المتدين
Making Man	homme créateur	الانسان الصانع
Mythical Man	homme mythique	الانسان الأسطوري
Economic Man	homme économique	الإنسان الاقتصادي
Playing Man	homme joueur	الانسان اللاعب
Free Man	homme libre	الانسان الحر
Transformation	transformation	التحول
Wise Coexistence	coexistence sage	التعايش الحكيم
SelfCenteredness	centration sur le soi	التمركز حول الذات
Ethnic Centrism	centration sur la race	التمركز حول العرق
Community Centrism	centration sur la société	التمركز حول المجتمع

فهرس المحتوى

شكر وتقدير .....

إهداء..... .....

مُقَـدّمة..... .....

أولا: الهوية – جينيالوجيا المفهوم– 10

1–مفهوم الهوية..... 10

ب–اصطلاحا: 11

2–تاريخ المفهوم:..... 14

أ: الهوية في الفكر الاغريقي (الفلسفة اليونانية): 14

ب: الهوية في الفترة الوسيطية: (الفلسفة الإسلامية أنموذجا) 18

ت: الهوية في الفترة الحديثة: 19

ج–الهوية في الفترة المعاصرة: 22

ثانيا: من الكونية إلى الكوكبية عند ادغار موران – أركيولوجيا وتاريخ المفهوم–..... 25

1–الكونية – أركيولوجيا وتاريخ المصطلح – 27

أ–مفهوم الكونية:..... 27

ب–الكونية وتاريخ المصطلح: 28

2–موران والهوية الكوكبيّة: 37

نتائج الفصل: 42

الفصل الأول: الحداثة وتصدعات عقلانيتها التبسيطية..... 43

المبحث الأول: الحداثة بين المبادئ ومفاعيلها العكسية 46

أولا: الإحاطة المفاهيمية بالحداثة ومبادئها:..... 46

1 –مفهوم الحداثة: La modernité 46

1–1 لغة: 46

2–1 اصطلاحا: 47

2 –مبادئ الحداثة: 48

1–2 الذاتية (الفردانية– النزعة الإنسانية): 48

2–2 العقلانية: 49

3–2 الحرية: 54

ثانيا: المفاعيل العكسية لمبادئ الحداثة 56

المبحث الثاني: قلق الحداثة وانتقادات موران لمبادئها: 65

أولا: القلق الحداثي قلق حضاري: 66

1 –أسطورة التحكم: 70

2 –أسطورة التقدم: 71

3 –أسطورة السعادة: 72

ثانيا: عقلانية الحداثة في ميزان النقد الموراني: 73

1 –العقلانية المفتوحة والعقلنة المغلقة: 73

1–1 – التحليل: 75

1–2 – النظام: 76

1–3 – المنطق: 77

المبحث الثالث: منظومة التبسيط ومساءلة موران النقدية لها: 80

1–2 في معنى التبسيط: 80

2–2 مبادئ ابستيمولوجيا التبسيط: 82

ثانيا: انتقادات موران لمنظومة التبسيط: 87

نتائج الفصل: 92

المبحث الأول: براديغم التعقيد عند موران 97

أولا: التعقيد ونظرياته: 97

1 –التعقيد: **Complexe** 97

ثانيا: مبادئ براديغم التعقيد: 106

1 .مبدأ الديالوجيك – مبدأ الحوارية: **Dialogique** 106

2 .مبدأ الإرتداد التنظيمي– السببية الدائرية: **Récursivité** 107

3 .المبدأ الهولوغرامي– الهولوغرامية: **Hologrammique** 108

المبحث الثاني: في قلب أزمة الإنسانية الكوكبية 111

أولا: في طبيعة الأزمة الإنسانية: 112

ثانيا: الإنسانية نحو مستقبل محتمل غير محتمل: 121

المبحث الثالث: الإنسانية نحو بناء جديد (نحو تغيير السبيل) 124

أولا: الوضع البشري من التأصل الكوني إلى الإنبثاق الإنساني: 125

ثانيا: إنسانية الإنسانية: 132

1)ثالوث الثقافة – اللغة – الذهن: 132

2) ثالوث الفرد – المجتمع – النوع: 136

3) الإنسان الواحد المتعدد: 138

نتائج الفصل: 142

المبحث الأول: الاستشراف ومستقبل الهوية الكوكبية 146

أولا: مستقبل الإنسانية ممكن مستشرف: 147

المبحث الثاني: التربية رهان لتحقيق الهوية الكوكبية 173

ثالثا: ايثيقا العيش الكوكبي المشترك: 193

نتائج الفصل: 210

خـــــاتمة..... 211

قائمة المصادر والمراجع 211

فهرس الأعـــــلام 211

فهرس المصطلحات 211

فهرس المحتوى 211

الملخص: إن المطلع على الحالة العلمية والتقنية الراهنة يلحظ من خلال مسألة الهوية على سبيل المثال محاولة الحضارة الغربية تجاوز وحتى اقصاء باقي حضارات العالم وذلك من خلال النزعة الأداتية التي تعد من أبرز العوامل التي أحدثت هوة بين كفتي المركز والهامش، وخلقت تصدعات عدة على غرار الاستغلال، الاستيلاب، التغريب، والتشييء.

هذه الأسباب كانت الدافع الأساسي الذي انطلق منه الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي ادغار موران سعيا لهدم وتقويض ما آلت اليه حالة انسان الحقبة المعاصرة، بتحطيم المركزية والقضاء على التماثل والانغلاق والاختزال، وتجاوز أزمات الحداثة على غرار: اقصاء الآخر ورفضه، زوال المعايير والضوابط الايتيقية في ساحة العلم والتقنية، إلى جانب التغريب الذي تقوقع على التماثل ورفض الحوار.
وبالمقابل الانفتاح على التعدد والاختلاف من خلال مشروع وبراديغم انسيابي منفتح رجراج متأرضن على حوار الذوات وتعايش الهويات، يسير بالهوية البشرية إلى حقيقتها ويعود بها إلى جوهرها من خلال الاعتراف بالوحدة في سياق التعدد، وبذلك التأسيس لهوية كونية كوكبية تعمد إلى التأصيل لمعنى جديد للانسان معياره تجديد خطاب الأنا والأنت.
الكلمات المفتاحية: الحضارة الغربية، الحداثة، الهوية، الكوكبية.

Abstract: An examination of the current scientific and technological landscape reveals, particularly through the lens of identity, an effort by Western civilization to surpass and even marginalize other world cultures. This is evident in the instrumentalist tendency, which is one of the most significant factors creating a chasm between the center and the periphery, leading to various fractures such as exploitation, alienation, Westernization, and commodification.

These issues served as the primary impetus for French philosopher and sociologist Edgar Morin's quest to dismantle and challenge the state of humanity in the contemporary era. His work seeks to dismantle centrality and eliminate uniformity, closure, and reductionism while addressing the crises of modernity, including the exclusion and rejection of the "Other," the erosion of ethical standards in science and technology, and the insularity that arises from a refusal to engage in dialogue.

Conversely, Morin advocates for an openness to plurality and difference through a fluid paradigm that emphasizes dialogue among selves and coexistence of identities. This approach aims to lead human identity towards its essence by recognizing unity within diversity, thereby establishing a planetary universal identity that seeks to root a new meaning for humanity based on a renewed discourse surrounding selfhood.

Keywords: Western civilization, modernity, identity, planetary citizenship.

Résumé: L'observateur de l'état scientifique et technique actuel remarque, à travers la question de l'identité par exemple, la tentative de la civilisation occidentale de dépasser, voire d'exclure, les autres civilisations du monde. Cela se manifeste par une tendance instrumentale qui constitue l'un des principaux facteurs ayant creusé un fossé entre le centre et la périphérie, engendrant plusieurs fractures telles que l'exploitation, l'aliénation, l'occidentalisation et la chosification.Ces raisons ont été le principal moteur à partir duquel le philosophe et sociologue français Edgar Morin a cherché à déconstruire et à saper l'état de l'homme à l'époque contemporaine. Son objectif était de briser la centralité, d'éliminer l'homogénéité, le repli et la réduction, tout en dépassant les crises de la modernité, telles que: l'exclusion et le rejet de l'autre, la disparition des normes et des critères éthiques dans le domaine de la science et de la technique, ainsi que l'occidentalisation qui s'est enfermée dans l'homogénéité et a refusé le dialogue.En revanche, il s'agit d'ouvrir la voie à la pluralité et à la différence à travers un projet et un paradigme fluide, ouvert et enraciné dans un dialogue des subjectivités et une cohabitation des identités. Cela conduit l'identité humaine vers sa vérité et la ramène à son essence par la reconnaissance de l'unité dans le contexte de la pluralité. Ainsi, il s'agit d'établir une identité cosmique qui vise à ancrer un nouveau sens pour l'homme, dont le critère est le renouvellement du discours sur le moi et l'autre.

Mots-clés: civilisation occidentale, modernité, identité, cosmopolitisme